



فقه اللغة: العروبية

وخصائص العربية

أ.د. خالد نعيم الشناوي

٧ ٢ ⊕ ⊗ I ٢ ≃ Δ ^ ٩ ٤
+ W ٩ ϕ ٣ ٢ ٠ ₣ ٦ ٧ ٤



دار ومكتبة البصائر

للطباعة والنشر والتوزيع

ببيروت

الجنوب

للطباعة والنشر والتوزيع

العراق

فقه اللغات العروبية وخصائص العرِبيَّة

الكتاب: فقه اللغات العروبية وخصائص العربيّة

الجنوب
للطباعة والنشر والتوزيع

الناشر: دار ومكتبة البصائر
للطباعة والنشر والتوزيع

التنسيق الداخلي: www.jawadonline.net

الغلاف: جواد المظفر

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق العراقي ٣٤٠٣ لسنة ٢٠١٧

ISBN: 978-1-906228-69-9

دار ومكتبة البصائر
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت

الجنوب
للطباعة والنشر والتوزيع
العراق

محموطة
جميع الحقوق

□ جميع الحقوق محفوظة باستثناء اقتباس فقرات قصيرة لغرض النقد أو المراجعة، فإنه لا يجوز إعادة إنتاج أي جزء من هذا الكتاب أو تخزينه في نظام الاسترجاع أو نقله بأي طريقة من دون الحصول على إذن مسبق من المؤلف.

□ All rights reserved. Except for the quotation of short passages for purposes of criticism or review, no part of this publication may be reproduced, stored in retrieval system, or transmitted, in any form or by any means, without written permission of the publisher.

AL- JANOOB Co.

Republic Of Iraq

Al- Basrah - Ashar

P. Box. 2255

Mob: 009647801032308

E-mail: Jawadonlin@yahoo.com

AL- BASAFER Co.

Lebanon - Beirut

Safeer - Neighboring AL-Rayah Stadium

Mob: 03210986 - 01547698

الطبعة الثانية

2017

فقه اللغات العروبية وخصائص العرَبِيَّة

أ.د. خالد نعيم الشناوي

دار ومكتبة البصائر
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت

الجنوب
للطباعة والنشر والتوزيع
العراق

مُتَلَمَّتْ



الْحَمْدُ لِلَّهِ كَمَا يَنْبَغِي أَنْ يُحْمَدَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى نَبِيِّهِ أَبِي الْقَاسِمِ مُحَمَّدٍ، وَآلِهِ
وَصَحْبِهِ وَمَنْ سَارَ عَلَى تَهْجِهِ الْأَوْحِدِ.

وَبَعْدُ.

لَقِيَتْ مَوْضُوعَةً فَقَّهَ اللُّغَةَ عِنْدَ الْبَاحِثِينَ وَالدَّارِسِينَ الْعَرَبِ أَهْتِمَامًا وَاسِعًا فِي
سَنَوَاتٍ تَلَّتْ ظُهُورَ مُصْطَلَحِ فَقَّهِ اللُّغَةِ (philology) فِي الدَّرْسِ اللُّغَوِيِّ الْحَدِيثِ
لَا سِيَّامَا مَعَ بَدَايَاتِ الْقَرْنِ الْعَشْرِينَ، كَوْنَهَا أَصْبَحَتْ مِنَ الْمَقَرَّرَاتِ الْعِلْمِيَّةِ الْأَكَادِمِيَّةِ
التَّخْصُّصِيَّةِ فِي الْجَامِعَاتِ الْعَرَبِيَّةِ، وَمِنْ هُنَا شَرَعَ الْبَاحِثُونَ الْعَرَبُ بِتَحْدِيدِ مَا هِيَ هَذَا
المِصْطَلَحِ وَالنَّظَرِ فِي مَوْضُوعَاتِهِ اللُّغَوِيَّةِ لَا سِيَّامَا بَعْدَ النَّتَائِجِ الْإِجَابِيَّةِ الَّتِي حَقَّقَتْهَا
الدراساتُ اللُّغَوِيَّةُ الْحَدِيثَةُ عَلَى صَعِيدِ الْبَحْثِ اللِّسَانِيِّ النَّظَرِيِّ وَالتَّطْبِيقِيِّ مَعْتَمِدِينَ
مَا تَرَشَّحَ عَنِ الدَّرْسِ اللُّغَوِيِّ الْقَدِيمِ مِنْ مَصْنَفَاتٍ لُغَوِيَّةٍ تَشِي بِبَاهِيَّةِ هَذَا الْمِصْطَلَحِ
ومَوْضُوعَاتِهِ اللُّغَوِيَّةِ.

وقد بحثَ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ، وَكُتِبَ فِيهِ عَدَدٌ مِنَ اللُّغَوِيِّينَ وَالْأَكَادِمِيِّينَ، وَأَثِيرَتْ
حَوْلَهُ الْعَدِيدُ مِنَ الْإِشْكَالِيَّاتِ النَّظَرِيَّةِ وَالتَّطْبِيقِيَّةِ، لَا سِيَّامَا دَلَالَةُ الْمِصْطَلَحِ وَعِلَاقَتُهُ
بِعِلْمِ اللُّغَةِ، وَعِلْمِ الْفَنُولُوجِيَا، وَمَوْضُوعَاتٍ أُخْرَى، إِذْ تَمَثَّلَ ذَلِكَ فِي مَبَاحِثِ نَاقِدِي

التراث الذين زعموا أن القدماء ومن صنف تحت هذا الموضوع لم يقصدوا قصداً إلى هذا المصطلح بماهيته العلمية وجعلوا ذلك عيباً ونقصاً تجعل إصلاحه وإعادة النظر فيه ضرورة ملحة، ومهمة أساسية لمعرفة خصائص اللغة العربية.

ومن هذا المنطلق سعينا إلى تحديد موضوعات فقه اللغة العربية وعرضها مادة لغوية أكاديمية مطابقة لمفردات مناهج أقسام اللغة العربية في الجامعات العراقية وحسب مقترحات اللجنة العلمية المعنية بتحديث المناهج العلمية لذا جاء عنوان كتابنا هذا على النحو الآتي: «فقه اللغات العروبية وخصائص العربية» لأن البحث في الخصائص اللغوية لا بد له من الركون إلى أصولها التي ترشحت عنها، ومعرفة هذه الأصول تقتضي البحث في الخصائص اللغوية للغات العروبية والمقاربة بينها وبين ما هو كائن في لغة العرب.

هذا الكتاب استقراءً لجهد من صنف من القدماء والمحدثين في موضوع فقه اللغة أو ما كان يبحث في خصائص اللغة العربية وقضاياها، وما فضلنا فيه إلا شعب موضوعاته المتفرقة وتبويبها وشرح ما كان غلفاً في موضعه منها، والموائمة بين موضوعاته بمنهج علمي يتسبق والموضوعات العلمية المقررة لطبئة المرحلة الرابعة، وما يحتاجه الباحث والدارس في قضايا اللغة العربية وخصائصها.

والله من وراء القصد

الفصل الأول

قراءة في مصطلح فقه اللغة

يلحظُ القارئُ للتراثِ العربيِّ اضطراباً في استعمالِ المصطلحاتِ اللغويةِ التي تمثلتُ بموضوعاتها المختلفةِ، حتى أوجدَ بعضُ الدَّارِسِينَ علةً لذلك، وألها عدمُ التوافقِ على تلكِ المصطلحاتِ من قِبَلِ اللغويينَ، وثانيها اختلافُ المذهبِ والاتجاهِ في التحليلِ اللغويِّ، والغريبُ في الأمرِ أننا نجدُ الذينَ عابوا على القدماءِ ذلكَ لا ينفكُون من استعمالِ تلكِ المصطلحاتِ حتى توجَّهوا بها إلى حقلِ الدراساتِ الغربيةِ يقارنونَ بينها وبينَ ما هوَ علمٌ لسانيٌّ في الدراساتِ الغربيةِ علَّه يماثلُه في شيءٍ حتى تكونَ هذه التسميةُ أو تلكَ مصداقاً لهذا الإطلاقِ، ومن بينِ تلكِ المصطلحاتِ مصطلحُ فقهِ اللغةِ، إذ حظِيَ هذا المفهومُ بالعديدِ من الدراساتِ والمؤلفاتِ التي عنيتُ به كمصطلحٍ ومنهجٍ ومادةٍ، دون أن يكونَ ثمةَ اتفاقٌ على شيءٍ ممَّا تقدمَ من دراساتٍ ما خلا أمثلةً لا تقطعُ الطريقَ على إعادةِ النظرِ وإبداءِ الرأيِ وضبطِ المسائلِ^(١)، لذا أوجدَ بعضُ الباحثينَ أنَّ مصطلحَ فقهِ اللغةِ أكثرُ الاصطلاحاتِ إشكالاً إذ تتدخله مداليلٌ مختلفةٌ، وتعنُّ في توظيفه مقاصدٌ متضاربةٌ^(٢) أي ثمةَ أزمةٌ

١. يُنظَرُ: مدخلُ إلَّ فقه اللغة، د. احمد قدوره: ١٣

٢. يُنظَرُ: قاموس اللسانيات، عبد السلام المسدي: ٥٧، ومقدمة لدراسة فقه اللغة د. محمد أحمد أبو الفرج

: ١٢-١٤، ومحاضرات في فقه اللغة، د. عصام نور الدين: ١١، ٢٥-٢٧.

مبعثها اختلافاتٌ مصطلحيةٌ ومنهجيةٌ ومعرفيةٌ، ومبعثُ هذا الأمرِ هو محاولةٌ بعض الدارسين نبدًا المعارفِ القديمةً وهجرَ نظرياتها، والسعيَ إلى تبنيِ النظرياتِ الحديثةِ السائدةِ على ما فيها من تباينٍ واختلافٍ وعدمِ التدقيقِ في استعمالِ المصطلحاتِ. لذا تأتي هذه الدراسةُ للمراجعةِ والفحصِ العلميِّ، وإزالةِ ما بقيَ من غموضٍ وإشكالٍ في طبيعةٍ وماهيةِ هذا المصطلحِ.

مفهومُ فقهِ اللغةِ باعتبارِ معجميةِ

لاشكَّ أن لفظةَ فقهٍ تفصحُ لواردِ اللغةِ عن طريقِ المعجمِ العربيِّ عن المعاني الآتية:

العلمُ بالشيءِ، والفهمُ له، والفطنةُ فيه. ويقالُ: فقهَ الرجلُ فقاهاةً إذا صارَ فقيهاً، وفقهه، أي فهمَ فقهه^(١). وعن ابنِ فارسٍ ت «٣٩٥هـ» تقولُ: فقهتُ الحديثَ أفقهه، وكلُّ علمٍ بشيءٍ فهو فقهه^(٢)، والفقهُ بالكسرِ العلمُ بالشيءِ والفهمُ له والفطنةُ، وفقهه ككفرم فهو فقيهه، وفاقهه باحثه في العلم، ففقهه كنصره، غلبَ عليه^(٣).

وقد نقلَ الجاحظُ لفظةَ «فقهه» التي وردتُ في ثلاثةِ نصوصٍ من كتابه البيان والتبيينُ بدلالةٍ مغايرةٍ عما أوردناه من معنى في المعجمِ العربيِّ، وهذا ما تمثَّلَ في نصِّه الذي نقله عن كتابِ عمرَ بنِ الخطَّابِ (رضي الله عنه) «إلى أبي موسى الأشعريِّ قال: «وقد بلغَ أميرَ المؤمنينَ أنَّ ضبَّةً تدعو: يالَ ضبَّة! وإني والله ما أعلمُ أنَّ ضبَّةً ساقَ اللهُ بها خيراً قطُّ، ولا منعَ بها سوءاً قطُّ، فإذا جاءك كتابي هذا فنهكهم عقوبةً حتى يفرَّقوا أنْ لم

١. يُنظَرُ: لسان العرب لابن منظور: مادة (فقه) ١٣: ٥٢٢، والقاموس المحيط: مادة (فقه).

٢. يُنظَرُ: مجمل اللغة. مادة (فقه): ٣: ٧٠٣.

٣. يُنظَرُ: لسان العرب: مادة (فقه).

يفقهوا»^(١) أما النص الثاني فقد تمثل بوصية عبد الملك بن صالح ت «١٨٧ هـ» لابن له، قال: «عود نفسك السباح، وتخير لها من كل خلق أحسنه، فإن الخير عادة، والشر لاجبة، والصدود آية المقت، والتعلل آية البخل، ومن الفقه كتمان السر»^(٢)، والقول الثالث في غير موضعها من الدلالة قول الجاحظ في إياس «إنه كان من مفاخر مضر، ومن متقدمي القضاة، وكان فقيه البدن، دقيق المسلك في الفطن»^(٣) ولعل مرونة اللغة العربية هي التي سمحت بهذه الاستعمالات اللغوية التي خرجت عن المعنى الوضعي للكلمة. ففي النص الأول كان المعنى: إن لم يتتبعوا، وفي الثاني: ومن الحكمة. وفي الثالث: قصد: فراسته وتأديته إلى الفن بعينه ويده.

ومن باب التخصص يرى بعض العلماء أن مفهوم الفقه أخص من العلم. قال الراغب الأصفهاني «رحمه الله»: «الفقه هو التوصل إلى علم غائب بعلم شاهد، فهو أخص من العلم»^(٤). لذلك يقال للفقهاء عالم وفقيه ولا يقال للعالم فقيه. وقد وردت لفظة «فقه» في القرآن الكريم عشرين مرة تحمل المعاني التي ذكرت، فمن ذلك:

قَالَ تَعَالَى:

النساء: ٧٨	﴿قَالَ هُوَ لِأَيِّ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾
التوبة: ١٢٢	﴿فَلَوْلَا نَفْرَمِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لَيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾
الاسراء: ٤٤	﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾
طه: ٢٧ - ٢٨	﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾
الانعام: ٦٥	﴿انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾
الاعراف: ١٧٩	﴿هُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾

١. البيان والتبيين للجاحظ: ٢: ٢٩٣، تح: عبد السلام هارون.

٢. المصدق نفسه: ٤: ٩٤.

٣. المصدق نفسه: ١: ١٠١.

٤. مفردات غريب القرآن للراغب الأصفهاني: ٣٨٤، ط (١)

الانفال: ٦٥	﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾
التوبة: ٨١	﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾
التوبة: ٨٧	﴿وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾
التوبة: ١٢٧	﴿صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾
الكهف: ٩٣	﴿وَجَدَ مِنْ دُونِهَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾
الفتح: ١٥	﴿لَّا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾
الحشر: ١٣	﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾
المنافقون: ٣	﴿فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾
المنافقون: ٧	﴿وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾
الانعام: ٢٥	﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾
الاسراء: ٤٦	
الكهف: ٥٧	
هود: ٩١	﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ﴾
الانعام: ٩٨	﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾

وقد غلبَ استعمالُ «الفقه» على علومِ الدينِ لشرفِها وذلك من بابِ تخصيصِ الدلالة. وتستعملُ في غيرِ علومِ الدينِ بقريته. وقالَ صاحبُ اللسانِ: «وغلبَ على علومِ الدينِ لسيادتهِ وشرفه وفضله على سائرِ العلوم»^(١) ويرى ابنُ جنِّي «ت ٣٩٢هـ» أنَّ الفقهَ حُصِّ به علمُ الشريعةِ وعللهُ اعلامُ وإماراتُ لوقوعِ الأحكامِ من التحليلِ والتحریمِ^(٢) كونهُ يعنى بالأحكامِ الشرعيةِ العمليةِ والإفصاحِ عنها من أدلتها التفصيليةِ وقيلَ «هو الإصابةُ والوقوفُ على المعنى الخفيِّ الذي يتعلَّقُ به الحكمُ وهو علمٌ مستنبطٌ بالرأيِ والاجتهادِ ويحتاجُ فيه إلى النظرِ والتأملي»^(٣).

١. لسان العرب: مادة فقه، ١٣: ٥٢٢

٢. يُنظَرُ: الخصائص لابن جني: ١: ١٠١-١٠٢ «عبد الحميد هنداوي».

٣. كتاب التعريفات لعلي بن محمد الجرجاني: ١٧٥

أما تعريفُ كلمةِ «اللغةِ»: فاللغةُ مشتقةٌ من لغا يلغو، إذا تكلمَ فمعناها الكلامُ فهذا تعريفُها في اللغةِ.

أما في الاصطلاحِ فعرفتُ بتعريفاتٍ عديدةٍ أشهرُها ما ذكره أبو الفتحِ ابنُ جنِي في كتابه «الخصائصُ» حيثُ قال:

«حدُّ اللغةِ: أصواتٌ يعبرُ بها كلُّ قومٍ عن أغراضِهِم»^(١)

وهذا التعريفُ الذي تناقله علماءُ العربيَّةِ على اختلافِ تخصُّصاتهمِ يضارِعُ أحدثَ التعريفاتِ العلميَّةِ للغةِ، حيثُ ترى تلكَ التعريفاتُ أنَّ اللغةَ:

أ. أصواتٌ منطوقةٌ.

ب. وأنَّ وظيفتها التعبيرُ عن الأغراضِ.

ت. وإثما تعيشُ بينَ قومٍ يتفاهمونَ بها.

ث. وأنَّ لكلِّ قومٍ لغةٌ.

فهذه - تقريباً - هي الأركانُ التي يدورُ عليها تعريفُ اللغةِ عند جميعِ مَنْ عرفها^(٢) وإنَّ كانتْ بعضُ التعريفاتِ الحديثةِ للغةِ تتوسعُ فتُدخلُ في اللغةِ كلَّ وسيلةٍ تفاهمٍ. ولا تقتصرُ على الأصواتِ فتجعلُ فيها الإشاراتِ وتعبيراتِ الوجهِ ودقاتِ الطبولِ وغيرِها فإنَّ الأشهرَ هو حصرُ اللغةِ في الأصواتِ المنطوقةِ لأنَّ غيرها من الوسائلِ محدودةٌ وقليلةٌ القيمةُ.

ويرى بعضُ الباحثينَ أن تعريفها «اللغة» قد تخطَّى بفعلِ الدراساتِ اللغويةِ الحديثةِ التي قامتْ على أساسِ أنَّها فرعٌ من الفلسفةِ أو علمِ النفسِ أو علمِ الأنثروبولوجيا^(٣) القولَ بأنَّها نظامٌ من الرموزِ الصوتيةِ، أو مجموعةٌ من الصورِ

١. المصدَّرُ نفسه: ٨٧

٢. يُنظرُ: فقه في كتب العربية: (عبدة الراجحي): ٦٠.

٣. تعني كلمة الأنثروبولوجيا علم دراسة الإنسان لكن مصطلح الأنثروبولوجيا اللغوية يهدف إلى الكشف عن الأصول التاريخية لنشأة اللغة عموماً، والمجموعات المتشابهة فيها على وجه الخصوص،

اللفظية تختزن في أذهان أفراد الجماعة اللغوية وتستعمل للتفاهم بين أبناء جمع معين، كونها في نظر بعض الباحثين وسيلة للتعبير عن الأفكار والعواطف والرغبات، فهي وسيلة توصيل لما ذُكر عن طريق نظام من الرموز التي تصدر بطريقة إرادية^(١).

فقه اللغة مصطلحاً علمياً

لم نجد في كتب القدماء مدلولاً خاصاً بهذا المصطلح، وإنما جاء هذا المصطلح في بعض من صنف تحت هذا العنوان رغبةً واختياراً لمن أهدي له هذا المصنّف، أو أن صاحبه لم يكن يقصد إلى بيان ماهية المصطلح كونه لم يكن مفرداً بل جاء منسباً مع مجموعة كلمات، ككتاب ابن فارس «الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها» وكتاب أبي منصور الثعالبي «ت ٤٢٩ هـ»، «فقه اللغة وسر العربيت»، وقبل الشروع في بيان ومعرفة الموضوعات التي عالجها القدماء من قبل في هذين الكتابين، نحاول أن نطلق من الصياغة اللغوية للمصطلح علنا نقف على بعض حدوده اللغوية.

فقه اللغة من الناحية اللغوية هو: فهم اللغة والعلم بها، وإدراك كنهها، أي أنه العلم الذي يعنى بدراسة قضايا اللغة، التي تتمثل بالأصوات اللغوية، والمفردات الصرفية، والتراكيب النحوية «الجملة، والأساليب» فضلاً عن المستوى الدلالي «المعجمي»، وهذا يعني النظر في خصائصها الصوتية. والصرفية والنحوية

ويقارن اللغات بعضها ببعض ليحدد الظواهر اللغوية الشائعة بينها على وجه العموم، وعلى ضوء ذلك يتمكن من فهم العمليات والتطورات التي أدت إلى نشأة اللغة وتطورها واختلافها. وكذلك يسجل لغات المجتمعات البدائية ليحيلها إلى لغات مكتوبة تخضع للتحليل اللفظي ومن ثم يستخرج مضمونها الحضاري.

١. يُنظر: مقدمة لدراسة فقه اللغة، د. محمد أحمد أبو الفرج: ٢٥-٢٧

والدلالية، وما يطرأ عليها من تغييراتٍ وما ينشأ من لهجاتٍ، وما يُثارُ حولَ العَرَبِيَّةِ من قضايا، وما تواجهُه من مشكلاتٍ إلَّا غيرَ ذلكَ مما يجري ويدورُ في فلكِه مما سيأتي عندَ الحديثِ عن موضوعاتِ فقهِ اللغَةِ.

ويمكننا القولُ ابتداءً: هو العلمُ الذي يعنى بفهم اللغَةِ، ودراسةِ قضاياها وموضوعاتها. أو هو دراسةُ العربِ للغتهم كونهَا لغةً حيةً منطوقةً متمثلةً في النصِّ القرآنيِّ وقراءته وفي الحديثِ النبويِّ وفي دراسةِ كلامِ الصحابةِ وفي دراسةِ أشعارِ العربِ وخطبهم وأقوالهم وأمثالهم وقد درسوا اللغَةَ العَرَبِيَّةَ كونهَا وسيلةً لغايةٍ وهي فهمُ النصِّ القرآنيِّ، فهو وجهٌ من وجوهِ ترسُّمِ علماءِ العَرَبِيَّةِ للغتهم^(١).

١. في فقهِ اللغَةِ العَرَبِيَّةِ د. محمد فريد عبدالله: ٣٥.

فقه اللغة عند القدماء والمحدثين

فقه اللغة عند الأوائل «القدماء»

أطلق المؤلفون العرب على الاشتغال بالمفردات اللغوية جمعاً وتأليفاً مصطلحات عدة أقدمها مصطلح «اللغة». لقد وصف أبو الطيب اللغوي^(١) «ت ٣٥١ هـ» أبا زيد الأنصاري والأصمعي وأبا عبيدة بهذا الوصف، وقارن بينهم من جانب معرفتهم باللغة قال: «كان أبو زيد أحفظ الناس للغة، وكان الأصمعي^(٢) يجب في ثلث اللغة، وكان أبو عبيدة يجب في نصفها، وكان أبو المهدي يجب فيها كلها^(٣)»، والمقصود هنا بكلمة اللغة مجموع المفردات ومعرفة دلالاتها، وبهذا المعنى كانت كتب الطبقات تميز بين المشتغلين بالنحو أو العربية من جانب والمشتغلين باللغة من جانب آخر، لذلك عدّ سيويو والمبرد من النحاة بينما عدّ الأصمعي وأقرانه من اللغويين، وظل استعمال كلمة اللغة بهذا المعنى قروناً عدة، وأصبح اللغوي والباحث في مفردات اللغة جمعاً وتصنيفاً وتأليفاً يوصف بهذا الوصف. فالأصمعي عبد الملك بن قريش لغوي لأنه جمع ألفاظ البدو وسجلها في رسائل لغوية مصنفة في موضوعات دلالية، والخليل بن أحمد الفراهيدي لغوي كونه أول من حاول حصر الألفاظ العربية وتسجيلها في معجمه العين، والأمر ينسحب على ابن دريد صاحب «جمهرة اللغة»، والأزهري في التهذيب، وظل هذا المفهوم سائداً لقرونٍ خلت.

وفي القرن الرابع الهجري ظهر عند اللغوي العربي أحمد بن فارس^(٤) «ت ٣٩٥ هـ» مصطلح فقه اللغة، كونه أول من استعمله عنواناً لكتابه «الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها»، ثم نصادف هذا الاصطلاح بعد ذلك في عنوان كتاب الثعالبي. «فقه اللغة وأسرار العربية» ولكننا نجد مفهوم فقه اللغة مختلفاً عند الرجلين.

١. مراتب النحويين، لأبي الطيب اللغوي: ٤١.

يتبينُ المَطَّلَعُ على كتابِ ابنِ فارسٍ «الصاحبيِّ في فقه اللغة» أنه ينظرُ إلى هذا النوعِ من التَّأليفِ على أنه دراسةُ القوانينِ العامَّةِ التي تنتظمُ اللغةَ في جميعِ مستوياتها الصوتيةِ والصرفيةِ والنحويةِ والدلاليةِ والأسلوبيةِ، وهذا ما سنقفُ عند بيانهِ في موضوعاتِ كتابِ الصاحبيِّ في فقه اللغة.

إنَّ كِتَابَ القرنِ الرابعِ لم يَلتفتوا إلى تقسيمِ الموضوعاتِ تقسيماً منهجياً دقيقاً بل كان يغلبُ على عملهم الاستطراءُ وعدمُ المنهجيةِ لذلك نجدُ في الكتابِ عدداً من الموضوعاتِ عن اللغةِ وطبيعتها ثمَّ أنَّ هناكَ مسائلَ عن أصواتِ اللغةِ وعدداً من الأبوابِ تمثلتْ في الصوتِ والصَّرفِ والنحوِ والبلاغةِ ومسائلَ في الدلالةِ. وموضوعاتٍ في الأسلوبِ والاختلافِ حولَ نشأةِ اللغةِ.

ومن الموضوعاتِ المهمةِ في التي صادفتُها في كتابِ الصاحبيِّ:

١. بابُ القولِ على لغةِ العربِ أتوقيفُ أم اصطلاحٌ؟.

٢. اختلافُ لغاتِ العربِ:

أ. في الحركاتِ كقولنا: «نستعينُ، نستعينُ» الفتحُ لقريشٍ وأسدٍ، وغيرهما بالكسرِ.

ب. في الحركةِ والسكونِ: «مَعَكُمْ، مَعَكُمْ».

ت. في الأبدالِ: «أولئك، أولئك».

ث. في الهمزِ والتليينِ: «مستهزئون، مستهزؤون» إلى آخره من الاختلافاتِ اللهجيةِ.

٣. بابُ القولِ في اللغةِ التي نزلَ بها القرآنُ.

٤. بابُ القولِ في مأخذِ اللغةِ.

٥. بابُ القولِ في الاحتجاجِ باللغَةِ العَرَبِيَّةِ.
٦. بابُ القولِ على لغةِ العربِ هل لها قياسٌ وهل يُشتقُّ بعضُ الكلامِ من بعضٍ.
٧. بابُ مراتبِ الكلامِ في وضوحِه وأشكالِه.
٨. بابُ القولِ في الأسماءِ كيفَ تقعُ على المسمَّياتِ.
٩. موضوعاتٌ في الصرفِ «يدرسُ كيفيةَ تحولِ المعنى بالتصريفِ إلى معنى آخرَ، ويكونُ ذلكُ في الأفعالِ وفي الأسماءِ»^(١).
١٠. مسائلٌ نحويةٌ تركيبيةٌ.
١١. مسائلٌ دلاليةٌ «بابُ: معاني ألفاظِ العباراتِ التي يعبرُ بها عن الأشياءِ»^(٢).
١٢. مسائلٌ بلاغيةٌ.
١٣. بابٌ في الشعرِ.

بما أننا قد بينّا موضوعاتِ الكتابِ فلا بأسَ علينا من نقلِ بعضِ نصوصِ ابنِ فارسٍ التي شرحَ فيها بعضَ الموضوعاتِ التي بينّاها في أعلاه.

قال: «إن لعلم العرب أصلاً وفرعاً: وأما الفرعُ، فمعرفةُ الأسماءِ والصفاتِ، كقولنا: رجلٌ، وفرسٌ، وطويلٌ، وقصيرٌ، هذا الذي بيداً به عندَ التعلُّمِ. وأما الأصلُ، فهو على موضوعِ اللغةِ، وأوليئها، ومنشئها، ثم على رسومِ العربِ في مخاطباتها، وما لها من الافتنانِ تحقيقاً ومجازاً»^(٣)، وعلتهُ قصدُ بالأصلِ ما نفهمُه من مصطلحِ فقهِ اللغةِ لأنّه قالَ فيما بعدُ «الناسُ في ذلكَ رجلانِ: رجلٌ شغلَ بالفرعِ فلا يعرفُ غيرَه، وآخرُ جمعَ الأمرينِ معاً، وهذه هي الرتبةُ العليا، لأنَّ بها يُعلَّمُ خطابُ القرآنِ والسُنَّةِ، وعليها يُعولُ أهلُ النظرِ والفتيا»^(٤)، فالنظرُ في الأصلِ واجبٌ لأنَّ من دونِه لا يمكنُ

١. يُنظر: الصَّاحِبِيُّ: ١٩١-١٩٢.

٢. المَصَدَّرُ نفسه: ١٩٢.

٣. الصَّاحِبِيُّ: ٢٩.

٤. المَصَدَّرُ نفسه: ٢٩.

أَنْ يُفْهَمَ المرادُ من الخطابِ القرآنيِّ والسنةِ فضلاً عن كلامِ العربِ، وقد ساقَ ابنُ فارسٍ جملةً من الأمثلةِ لبيانِ ذلكَ فقالَ: «طالبُ العلمِ العُلويُّ يكتفي من الأسماءِ الطويلِ باسمِ الطويلِ، ولا يضيرُهُ ألاَّ يعرفَ الأثقَّ والأَمَقَّ، وإنَّ كانَ في علمِ ذلكَ زيادةٌ وفضلٌ، ولو أنَّه لم يعلمْ توسَّعَ العربِ في مخاطباتِها لعيِّ بكثيرٍ من محكمِ الكتابِ والسنةِ.... ولو قيلَ له: هل تتكلمُ العربُ في النفسِ بما لا تتكلمُ به في الإثباتِ؟ لم يعلمه. لنقصه ذلكَ في شريعةِ الأدبِ عن أهلِ الأدبِ، لأنَّ ذلكَ يُردي دينه أو يجره لمأثمٍ. كما أنَّ متوسماً بالنحوِ لو سُئلَ عن قولِ القائلِ:

لَهَنَّاكَ مِنْ عَسِيَّةٍ لَوْ سَمِيَةٌ عَلَى هَنَوَاتٍ كاذِبٌ مِنْ يَقُولِهَا

«الأصلُ: لأنك.....»

فتوقفَ أو فكَّرَ أو استمهلَ، لكانَ أمرُه في ذلكَ عندَ أهلِ الفضلِ هيئاً، ولكنْ لو قيلَ له مكانَ هُنكَ ما أصلُ القسمِ؟ وكمَ حرفُه؟ وما الأحرفُ الخمسةُ المشبهةُ بالأفعالِ التي يكونُ الاسمُ بعدها منصوباً وخبرُه مرفوعاً؟ فلمْ يُجِبْ! لِحُكْمِ عليه بأنَّه لم يُشامِ صناعةَ النحوِ قط، فهذا الفضلُ بينَ الأمرينِ»^(١) وليبانِ حدودَ هذا المصطلحِ وما هيئتهِ مقارنةً ابنِ فارسٍ بينَ أصولِ الفقهِ الشرعيِّ وأصولِ اللغةِ قالَ: «إنَّ العلمَ بلغةِ العربِ واجبٌ على كلِّ متعلِّقٍ من العلمِ بالقرآنِ والسنةِ والفُتيا بسببِ حتى لا غنى بأحدٍ منهم عنه. وذلكَ أنَّ القرآنَ نازلٌ بلغةِ العربِ ورسولُ الله ﷺ عربيٌّ فمَنْ أرادَ معرفةَ ما في كتابِ الله تعالى وما في سنةِ رسوله ﷺ من كلِّ كلمةٍ أو نظمٍ عجيبٍ، لم يجدْ من العلمِ باللغةِ بدءاً، لأنَّ ذلكَ غيرُ مقدورٍ عليه، ولا يكونُ إلاً لنبيٍّ... بل الواجبُ علمُ أصولِ اللغةِ والسُننِ التي بأكثرِها نزلَ القرآنُ وجاءتِ السنةُ...»^(٢)، ويجعلُ معرفةَ طرائقِ التَّأليفِ التي لا تحيدُ عن سننِ الاستواءِ من علمِ اللغةِ المشفوعِ بعلمِ العَرَبِيَّةِ «علمِ الإعرابِ» كونه الفارقَ بينَ المعاني يقولُ: «وعلمُ

١. المصدَّرُ السَّابِقُ: ٣٠-٣١

٢. الصَّاحِبِيُّ: ٦٤

اللغة كالواجب على أهل العلم، لئلا يجيدوا في تأليفهم أو فتياهم عن سنن الاستواء...»^(١)، وهذا يقودنا إلى القول إن ابن فارس لم يفرق بين مفهومي فقه اللغة وعلم اللغة^(٢) - علماً إن بعض المحدثين أشغل نفسه بالتفريق بين مضمون المصطلحين - وجعل معرفتهما واجباً على أهل العلم والفتيا بعدما جاء بجملته من أخطاء الإمام الشافعي التي غلطه فيها أبو بكر بن داود:

القول في إيجاب ترتيب أعضاء الموضوع في الموضوع من قوله تعالى: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ المائدة: ٦، مع إجماع أهل العربية على أن الواو تقتضي الجمع المطلق لا التوالي^(٣).

والقول في التزويج إذا قال الوالي: «زوجتك فلانة» فقال الزوج: «قد قبلتها»، قال: إن ذلك ليس بنكاح حتى يقول: «قد تزوجتها»، وقال: ومعلوم أن الكلام إذا خرج جواباً فقد فهم أنه جواب عن سؤال^(٤).

والقول في تسمية «البكر» التي لا تُوطأ حائلاً، ونقل ابن فارس عن ابن داود، أن المرأة تُسمى حائلاً إذا كانت حاملاً مرة، أو تُوقَّع منها حمل فحالت، وكذلك القول في «الطائفة» كونها تدل على الثلاثة من الأنفس أو أكثر، ونقل ابن فارس قول مجاهد الذي يرى فيها معنى الواحدة^(٥)، من هذا المعنى القول في «القروء» هل هي للحيض

١. المصَدَّرُ نفسه: ٦٦.

٢. فقد استخدم هذا المصطلح عند بعض اللغويين المتأخرين وكان المقصود منه دراسة الألفاظ مصنفة في موضوعات مع بحث دلالاتها، فالرضي الأسترآبادي يفرق بين علم اللغة وعلم التصريف، فموضوع الأول: دراسة الألفاظ، والثاني: معرفة القوانين الخاصة ببنية هذه الألفاظ (شرح الكافية: المقدمة المؤلف، أما أبو حيان فيرى في مصطلح علم اللغة، دراسة مدلول مفردات الكلم، وهو عينه عند ابن خلدون، أي بيان الموضوعات اللغوية والمقصود بذلك الدلالات التي وضعت لها المعاني. مقدمة بن خلدون) ١٢٥٨.

٣. الصاحبى: ٦٤.

٤. المصَدَّرُ نفسه: ٦٤ - ٦٥.

٥. يُنْظَرُ: الصاحبى: ٦٥.

أم للأطهار؟ وينقل عن العرب أنهم أرادوا فيها معنى الأطهار، ثم نقل قول أبي بكر إذ قال: ومن العظيم أن علياً وعمرَ (رضي الله عنهما) قد قالوا: والقروء: الحيض، فهل يجترأ على تجهيلهما باللغة^(١).

ويرى ابن فارس من المعيب على من غلط من جهة اللغة فيما يغير به حكم الشريعة، فهو يرى أن الجهل في معرفة وظيفة الواو في آية الوضوء، وعدم العلم والمعرفة بمعنى ودلائل تلك الكلمات التي أوردناها، عيباً لغوياً فاحشاً، لأن الغلط والجهل فيها يؤدي إلى تغيير الحكم الشرعي الذي ترتب أساساً على ذلك الأثر اللغوي^(٢).

فابن فارس أول من استعمل هذا المصطلح بمعناه اللغوي وجعل علم اللغة مصطلحاً مرادفاً له، وهذا متأث من الصلة التي كان يراها بين اللغة والدين على وجه العموم وبين اللغة وعلم الفقه على وجه الخصوص^(٣).

مفهوم فقه اللغة عند الثعالبي

إنَّ القارئَ لكتابِ أبي منصورِ عبدِ الملكِ بنِ محمدِ الثعالبيِّ «ت ٤٢٩ هـ» «فقه اللغة وسر العربية» يلحظُ أنَّ مصطلحَ فقه اللغة عنده علمٌ خاصٌّ بفقه وفهم المفردات. وتمييزُ مجالاتها واستعمالها الخاصة والاهتمامُ بالفروق الدقيقة بين معانيها، إذ قسّم كتابه الذي اقتفى آثار ابن فارس في تصنيفه وتسميته فضلاً عن نقله لأبوابٍ أكملها دون تغيير^(٤)، على قسمين، سُمِّي القسمُ الأولُ بـ«فقه اللغة» فيه

١. الصاحبي: ٦٥.

٢. يُنظر: المصدر نفسه: ٦٦.

٣. يُنظر: فقه اللغة في كتب العربية، د. عبدة الراجحي: ٤٢.

٤. يُنظر: فصل في إضافة الشيء إلى من ليس له لكن أضيف إليه لا تصله به، الصاحبي: ٢٤٣، وفصل في الإشباع والتوكيد، الصاحبي: ٢٧١، وفصل في النحت، الصاحبي: ٢٧١..... إلخ

ثلاثون باباً وكلُّ بابٍ قُسمَ على فصولٍ عدَّةٍ، وهذا القسْمُ ومن حيثُ التصنيفِ عُدَّةٌ معجماً من نوعٍ خاصٍّ جُمعتُ فيه الألفاظُ التي تتصلُّ بموضوعٍ واحدٍ، وقد رُتبتُ مادُّتهُ العلميَّةُ حسبَ موضوعاتها، بدأ ذلك ببابِ الكلياتِ وهي الكلماتُ التي صاحبَتها في التفسيرِ كلمةُ «كلُّ» لذلك قالوا: كلُّ ما علاك وأظلك فهو سَاءٌ، كلُّ أرضٍ مستويةٌ فهي صعيدٌ، وكلُّ حاجزٍ بين شيئينِ فهو موبقٌ، وكلُّ بناءٍ مربعٌ فهو كعبةٌ^(١). وقد ترجمَ هذه الفكرةَ عنه بشكلٍ واضحٍ ابنُ خلدونٍ في مقدمتهِ حيثُ قالَ: «ثمَّ لما كانتِ العربُ تضعُ الشيءَ لمعنى على العمومِ ثمَّ تستعملُ في الأمورِ الخاصةِ ألفاظاً أخرى خاصةً بها فَرَّقَ ذلكَ عندنا بينَ الوضعِ والاستعمالِ واحتاجَ الناسُ إلى فقهٍ في اللغةِ عزيزٍ المأخذِ كما وضعَ الأبيضُ بالوضعِ العامِّ لكلِّ ما فيه بياضٌ ثمَّ اختصَّ ما فيه بياضٌ من الخيلِ بالأشهبِ ومن الإنسانِ بالأزهرِ ومن الغنمِ بالأملاحِ حتى صارَ استعمالُ الأبيضِ في هذه كلها لحناً وخروجاً عن لسانِ العربِ واختصَّ بالتأليفِ في هذا المنحى الثعالبيُّ وأفردهُ في كتابٍ له أسماه «فقهَ اللغةِ»^(٢).

أما القسمُ الثاني فهو «سرُّ العرَبِيَّةِ» إذ جعلَ مِنْهُ مُلْحَقاً بالقسمِ الأولِ، وهو عنده في مجاري كلامِ العربِ والاستشهادِ بالقرآنِ على أكثرِها^(٣)، وهو في هذا القسمِ أرادَ أنْ يفصحَ عن بعضِ خصائصِ اللغةِ العرَبِيَّةِ التي تتميزُ بها عن غيرها فضلاً عن عرضه لجملةٍ من قوانينها المتمثلةِ بلغةِ الاستعمالِ، وعلى المستوياتِ اللغويةِ كافةٍ كالمستوى الصوتيِّ «مثلاً في فصلٍ في الإتياعِ» والمستوى الصرفيِّ «كفصلٍ في أبنيةِ الأفعالِ، الاشتقاقِ...» والمستوى النحويِّ «كفصلٍ حروفِ المعاني»، والمستوى الدلاليِّ الذي تمثَّلَ ببعضِ الموضوعاتِ ذاتِ الجانبِ الدلاليِّ، ولا يخفى على القارئِ من موضوعاتِ بلاغيةٍ في علميِ البديعِ والبيانِ.

١. يُنظَرُ: فقه اللغة وسر العربية، للثعالبي: ١١.

٢. يُنظَرُ: المقدمة لابن خلدون: ١٢٥٨.

٣. يُنظَرُ: فقه اللغة للثعالبي: ١٥٣.

ويبدو لنا أن ثمة اختلافاً قد نتج عن استعمال كلمة «لغة» عند ابن فارسٍ والثعالبيِّ، فابنُ فارسٍ استعملها بمعناها العامِّ المطلقِ أي تلك الوسيلة المتعددة المستويات التي يستعملها الناسُ في التفاهمِ فيما بينهم لذا جاء مفهومُ فقه اللغَةِ عنده واسعاً وشاملاً لجميع مستويات اللغَةِ.

أما الثعالبيُّ فقد استخدم كلمة «لغة» في معناها الخاصِّ الذي يقابل كلمة نحوٍ، وهو معرفة المفردات ومعانيها لذا نرى فقه اللغَةِ عنده هو فقهٌ للمفردات لا التراكيبِ والأساليبِ.

ولم يصرِّحْ أيُّ منهما بحدود ذلك المصطلح الذي استعمله في عنوان كتابه ولو بإشارةٍ في مقدمة الكتابِ.

قال ابنُ فارسٍ في مقدمة كتابه الصاحبِيُّ:

«إنَّ لعلمِ العربِ أصلاً وفرعاً، أمَّا الفرعُ فمعرفةُ الأسماءِ والصفاتِ كقولنا، «رجلٌ» و «فرسٌ» و «طويلٌ» و «قصيرٌ». وهذا هو الذي يبدأ به عند التعلمِ، وأمَّا الأصلُ فالقولُ على موضوعِ اللغَةِ وأوليئِها ومنشئها ثمَّ على رسومِ العربِ في مخاطبتِها وما لها من الافتنانِ تحقيقاً ومجازاً والناسُ في ذلك رجالان: رجلٌ شغلَ بالفرعِ فلا يعرفُ غيره، وآخرُ جمعَ الأمرينِ معاً، وهذه هي الرتبةُ العُلَيَا، لأنَّ بها يُعلِّمُ خطابُ القرآنِ والسنةِ وعليها يعولُ أهلُ النظرِ والفتيا وذلك أنَّ طالبَ العلمِ العلوِيَّ يكتفي من سماءِ «الطويلِ» باسمِ الطويلِ ولا يضيرُهُ أن لا يعرفَ «الأشق» و «الأمق» وإن كان في علم ذلك زيادةً فضلٌ وإنما لو يضرُّه خفاء ذلك عليه لأنه لا يكادُ يجدُ منه في كتابِ اللهِ جَلَّ ثناؤه فيحوجُّ إلى كلمةٍ»^(١).

أما الثعالبيُّ قال في مقدمة مصنِّفه: «فإنَّ مَنْ أَحَبَّ اللهُ أَحَبَّ رَسولَهُ المصطفى (ﷺ) وَمَنْ أَحَبَّ الرَّسولَ أَحَبَّ العَرَبَ، وَمَنْ أَحَبَّ العَرَبَ أَحَبَّ اللغَةَ

١. الصاحبِي: ٢٩.

العَرَبِيَّةَ التي نزلَ بها أفضلُ الكتبِ على أفضلِ العربِ والعجمِ، ومن أحبَّ العَرَبِيَّةَ عُني بها، وثابرَ عليها، وصرفَ همَّتَه إليها... إذ هي أداةُ العلمِ، ومفتاحُ التفقُّهِ في الدينِ، وسببُ إصلاحِ المعاشِ والمعادِ»^(١).

ومن خلال مقدمة كتابِ الصاحبِي لابنِ فارسٍ وفقهِ اللغةِ للثعالبيِّ لم نلاحظْ تحديداً للمصطلحِ، بل وجدنا القولَ في موضوعاتٍ لغويةٍ تتمثلُ بقضايا اللغةِ المختلفةِ وخصائصِ العَرَبِيَّةِ وبيانِ سننِ العربِ في كلامِها، فجاءتْ عنايتُهم بالأصواتِ والمفرداتِ والتراكيبِ والصرفِ والنحوِ والدلالةِ واللهجاتِ، فضلاً عن روايةِ اللغةِ ومعرفةِ أصولِ اللغةِ ومصادرها، وعللِها، ومظاهرِ تطوُّرِها، ففقهُ اللغةِ عندَ القدماءِ يفصحُ عن حدودِه من خلالِ النظرِ في تلكِ المصنفاتِ كونهِ يدلُّ على شموليةِ الدرسِ اللغويِّ عندهم، لأنَّهم لم يفصلوا بين تلكِ المسائلِ اللغويةِ في مباحثهم بلْ جاءتْ متداخلةً لا يمكنُ الفصلُ بينها نظراً لغيابِ المصطلحِ اللغويِّ وضبايتهِ أولاً، وكونِ الدرسِ اللغويِّ في بداياتهِ لم يكنْ درساً تعليمياً كي يقننُ القواعدَ ويشعبُ قضايا اللغةِ عن قضايا النحوِ ثانياً، لذلك نلاحظُ في مؤلفاتِ القدماءِ تبعاً مثل هذا التداخلِ في المادةِ اللغويةِ.

□

١. فقه اللغة وسر العربية: ٩.

أُستعمل مصطلحُ فقه اللغة في الدرس اللغوي الحديث مع بدايات القرن العشرين في الجامعة المصرية، حينما جاء جماعة من المستشرقين للتدريس في مصر، يقول الدكتور زكي المبارك: «ذكر السنيور جويدي في محاضراته الأولى بالجامعة المصرية (٧ أكتوبر سنة ١٩٢٦) أن كلمة *philology* تصعبُ ترجمتها إلى العربية، وأن لها في اللغات الغربية معنى خاصاً لا يتفق عليه أصحاب العلم والأدب. فمنهم من يرى أن هذا العلم مجردُ درسِ قواعدِ الصرف والنحو ونقدِ نصوص الآثار الأدبية، ومنهم من يرى أنه ليس درساً للغة فقط ولكنه بحثٌ عن الحياة العقلية من جميع وجودها، وإذا صحَّ ذلك فمن الممكن أن يدخل في دائرة «الفيلولوجي» علم اللغة وفنونها المختلفة، كتأريخ اللغة ومقالات اللغات والنحو والصرف والعروض وعلوم البلاغة وعلم الأدب في معناه الأوسع، فيدخل تاريخ الآداب وتاريخ العلوم من حيث تصنيف الكتب العلمية، وتاريخ الفقه من حيث تدوينه في الجامعات والمجلات، وتاريخ الأديان من حيث درس الكتب المقدسة وتأليف الكتب الدينية واللاهوتية، وتاريخ الفلسفة من حيث تأليف كتب الحكمة وكتب الكلام. ولا سبيل إلى معرفة هذه الحياة العقلية إلا بدرس أحوال المركز الذي نشأت فيه تلك الآثار الأدبية»^(١).

ويرى الدكتور زكي المبارك أن العمل وفق هذا التحديد يجعل من مهمة الباحث في هذا المجال من الدرس شاقّة عسيرة إن لم تكن مستحيلة، كونه يرد ما تميز من العلوم وكان مستقلاً منها إلى علم واحد، فلا يمكن للباحث إلا أن يجيد في جزء

١. النثر الفني في القرن الرابع الهجري، د. زكي المبارك: ٢: ٣٧-٣٨.

واحدٍ منها^(١). ويرى بعضُ المستشرقين أن استعمالَ مصطلحِ فقهِ اللغةِ في البحثِ عن أوليةِ اللغةِ ليس إلا كنايةً مؤقتةً عما يُسمى بتاريخِ اللغةِ العربيَّةِ، لأنَّ ما يقصدُ إليه البحثُ ابتداءً إنما هو الكشفُ عن نشأةِ اللغةِ العربيَّةِ وتطورها^(٢).

وقد ذهبَ بعضُ باحثينا العربِ إلى المقاربةِ بينَ مصطلحِ فقهِ اللغةِ ومصطلحِ (*philology*) نظراً للتماثلِ في الدلالةِ اللغويةِ، فقد جاءتْ في أحدِ معاجمِ الاصطلاحاتِ اللغويةِ كما ينقلُه الدكتورُ زكي المبارك، بعدَ الترجمةِ «العلمُ الذي يدرسُ اللغةَ وكلماتها وقوانينها، وقد يدخلُ في فهمِ الاصطلاحِ «الأدب» خاصةً النصوصُ القديمةُ منه»^(٣).

وترى بعضُ المدارسِ اللغويةِ الغربيةِ أنَّ فقهَ اللغةِ (*philology*) هو علمُ اللغةِ (*linguistics*)، إذ جاءَ في دائرةِ المعارفِ البريطانيةِ في مادِ ما (*philology*) هو مقابلٌ لهذا التعريفِ، إذ يغلبُ على هذا المصطلحِ في إنجلترا الإشارةُ إلى علمِ اللغةِ بما في ذلك معنى الاصطلاحِ في أمريكا^(٤)، لأنَّ فقهَ اللغةِ عندهم مهتمُّ بالجانبِ اللغويِّ للأدبِ وصيغِ الفنونِ المماثلةِ كما أنه يهتمُّ إلى حدِّ ما بالوثائقِ الثقافيةِ والاجتماعيةِ بأنواعها^(٥).

أما الباحثون العربُ فقد نقلَ الدكتورُ صبحي الصالح عن معجمِ روبيرِ الفرنسيِّ أنَّ مصطلحَ (*philology*) يتألفُ من كلمتين من أصلِ إغريقيٍّ وهما (*philos*) وتعني الصديقُ أو المحبُّ و (*logos*) الخطبةُ أو كلام، وأنَّ واضعَ هذه التسميةِ لاحظَ أنَّ هذا المصطلحَ يقومُ على حبِّ الكلامِ للتعَمُّقِ في دراسته من حيث قواعده وأصوله

١. يُنظَرُ: المَصَدْرُ نفسه: ٢: ٣٨

٢. يُنظَرُ: قولِ كراوس في مقدمة كتاب فقه اللغة وسر العربية للثعالبي.

٣. مقدمة لدراسة فقه اللغة: ١٣

٤. يُنظَرُ: المَصَدْرُ نفسه: ١٤

٥. المَصَدْرُ نفسه: ١٤

وتاريخه^(١) ولهذا المصطلح معنى اصطلاحى: هو علمٌ تاريخيٌ يهدف إلى دراسة الحضارات العابرة من خلال الوثائق المكتوبة التي تركها السلف للخلف، مما يسمح لنا بفهم المجتمعات القديمة، وهو يعمد إلى دراسة النصوص الأدبية المكتوبة، فهو إذا علمٌ مساعدٌ للتاريخ، كما يعمد إلى نقد النصوص داخلياً وخارجياً، وذلك بمقابلة النصوص ودراسة رواياتها، دراسة تاريخ المخطوطات، وبكلمة موجزة هو دراسة النصوص وإعدادها للنشر، وهذا ما مهّد إلى ظهور علم اللغة التاريخي^(٢) ويشدّد دوسويسر على إن الفيولوجيا يدرس اللغات المكتوبة ويستثني اللغات المنطوقة أو يهملها^(٣). ويرى الدكتور صبحي الصالح أن مصطلح فقه اللغة عند الغربيين لا ينصرف إلا إلى دراسة اللغتين الإغريقية واللاتينية، ومصطلح فقه اللغة مصطلح عربي قديمٌ ويجب على الباحث العربي ألا يستبدل هذه التسمية القديمة شيئاً^(٤)، وفي ذلك إشارة إلى من جعل فقه اللغة علماً مرتبطاً بعلوم أخرى كالفلسفة وعلم الكلام أو علم المنطق فضلاً عن ما أشرنا إليه آنفاً.

ومن بعد عرضه لأسلوب كتابه «دراسات في فقه اللغة»، وحكمه في الباب الأول منه بأن فقه اللغة وعلم اللغة دراستان متداخلتان ومن العسير الفصل بينهما وتحديد الفروق الدقيقة بينهما^(٥)، ذهب إلى تحديد مصطلح فقه اللغة، قال هو: «منهج للبحث استقرائيٌ وصفيٌ تعرف به أصل اللغة التي يُرادُ درسها، وموطنها، وفصيلتها، وعلاقتها باللغات المجاورة أو البعيدة، الشقيقة أو الأجنبية، وخصائصها وعيوبها،

١. يُنظر: دراسات في فقه اللغة العربية، د. صبحي الصالح: ٤.

٢. محاضرات في فقه اللغة، د. عصام نور الدين: ٢٧.

3.Saussure f de cours de linguistique generale Paris edition payotheque 1980 p: 13-14

نقلاً عن محاضرات في فقه اللغة: ٢٧.

٤. يُنظر: دراسات في فقه اللغة: ١٩.

٥. لقد ذهب الأستاذ محمد الأنطاكي في كتابه (الوجيز في فقه اللغة)، والدكتور محمد أحمد أبو الفرج في كتابه (مقدمة لدراسة فقه اللغة). إلى التسوية بين مفهومي فقه اللغة وعلم اللغة.

ولهجاتها، وأصواتها، وتطور دلاليتها، ومدى نمائها قراءةً وكتابةً»^(١).

أما الدكتور عبد الصبور شاهين فقد جعل مصطلح «فقه اللغة» في العربية، يضارع مصطلح (philology) في هذا العصر، كونه يدل على ما كان يدل عليه مصطلح فقه اللغة عند القدماء^(٢).

أما الدكتور أحمد محمد قدورة وبعد عرضه جملةً من الآراء التي صدرت عن باحثي اللغة العربية المحدثين في تحديد ماهية وحدود مصطلح فقه اللغة وعلاقته بعلم الفيلولوجية وعلم اللغة، فقد خلص إلى أن الباحث مدعو إلى إنعام النظر في تلك المصطلحات تجنباً لأي لبس وهم^(٣)، لأن مصطلح فقه اللغة الذي وصفه عنده بالعربي القديم الذي «بُعث في هذا العصر وأُشرب معاني جديدة لا تخرج عن دراسة بعض الأصول السامية القديمة وثمرات المنهج المقارن»^(٤)، وفي هذه الحال لم نجدّه يختلف كثيراً عن سابقه في عرض ومناقشة هذا المصطلح غير أنه تبناه بوضوح للدلالة على الدرس الخاص بالعربية وخصائصها كونه الأصلح لدرسنا اللغوي^(٥).

أما الدكتور تمام حسان في كتابه الأصول دراسة أبستمولوجية «معرفية» فقد وقف عند حدود هذا المصطلح وعرض لدلالته القديمة التي ترشحت عن المصنفات التي حملته عنواناً لها، والحديثة المتمثلة بالدراسة المقارنة للغات العروبية، ودراسة اللهجات، وأصوات العربية^(٦).

وكانت دراسة الدكتور تمام حسان تنظر إلى فقه اللغة ومن وجهة أبستمولوجية، من باب العلم غير المضبوط أو المعرفة، يحصل بالاستيعاب، وهو قائم على الاستقراء

١. المصَدَّرُ نفسه: ٦.

٢. يُنظَرُ: في علم اللغة العام: د. عبد الصبور شاهين: ٥-٨.

٣. يُنظَرُ: مدخل إلى فقه اللغة: ٣٦.

٤. المصَدَّرُ نفسه: ٣٦.

٥. المصَدَّرُ نفسه: ٣٨.

٦. يُنظَرُ: الأصول دراسة أبستمولوجية، د. تمام حسان: ٢٧٠.

التامّ أي الإحصاء، لذلك خالفَ علمَ اللغةِ كونَ الأخيرِ يقومُ على الاستقراءِ الناقصِ بغيّةِ ضبطِ النتائجِ والتحقّقِ منها، فضلاً عن ذلكَ قيامه على «أعني علمَ اللغةِ» الشمولِ والقياسِ لسدِّ النقصِ الحاصلِ في الاستقراءِ، والتماسكِ والاقتصادِ^(١).

ويتضحُ من خلال ما تقدّم أنّ علماء القرنِ الرابعِ الهجريّ قصدوا إلى دراسةٍ جديدةٍ للغةِ العربيّةِ، إذ تمثّل ذلك الأمرُ بطرائقِ تأليفِ الكتبِ المتخصصةِ في اللغةِ العربيّةِ وخصائصها وما يتعلّقُ بها من مسائلٍ وقضايا لغويّة، وصارتِ المادةُ اللغويّةُ محتاجةً إلى نظرٍ كليّ يتجاوزُ «أصولَ النحو» ليصيرَ علماً لأصولِ اللغةِ عامّةً، ولم يكنْ ثمةَ ما يلبي هذه الحاجةَ إلا محاكاةُ علمِ أصولِ الفقهِ وعلمِ الكلامِ لما عُرفا به من تَأصيلٍ للظواهرِ واستخلاصِ القواعدِ وضبطٍ للمسائلِ.

وبهذه الحال وفي أدنى مقارنةٍ لا يمكنُ أن ندرجَ تلكَ الموضوعاتِ في بابِ الفيلولوجيا الغربيةِ، لأنّ فقهَ اللغةِ عندَ ابنِ فارسٍ يعنى بدراسةِ اللغةِ على المستوياتِ الصوتيةِ والصرفيةِ والنظميةِ أو التركيبيةِ والدلاليةِ والأسلوبيةِ والبلاغيةِ، فضلاً عن ذلك نجدُ أنّ معظمَ موضوعاتِ الكتابِ متداخلةٌ متداخلاً شديداً بحيثُ يصعبُ فصلُ كلّ موضوعٍ عن الآخرِ لأنّ كلاً من هذه المستوياتِ لا بدّ من أن يرتكنَ في عمليةِ التحليلِ إلى المستوى الآخرِ، وتلكَ كانتِ سمةَ العصرِ التي تميّزُ منهجَ القدماءِ في التأليفِ أو فقدانِ المنهجِ كما يقولُ بعضُ المحدثينَ.

فمصطلحُ فقهِ اللغةِ العربيّةِ كما أوردَهُ اللغويونَ العربُ القدماءُ والمحدثونَ علمٌ يعنى بدراسةِ لغةِ العربِ كونها لغةً حيّةً منطوقةً متمثلةً بالقرآنِ الكريمِ وقراءتهِ وفي الحديثِ النبويّ الشريفِ وفي دراسةِ كلامِ الصحابةِ، وفي دراسةِ أشعارِ العربِ وخطبهم وأقوالهم وأمثالهم.

وقد درسوا اللغةَ العربيّةَ بكونها وسيلةً لغايةٍ، وهي فهمُ النصِّ القرآنيّ، ومعنى ذلكَ أنّهم ينتهونَ بها إلى درسِ لغةِ القرآنِ الكريمِ، والحقُّ أنّ العربَ وإن كانوا قد

١. يُنظَرُ: المصدِرُ السَّابِقُ: ١١-١٧، ٢٧٢-٢٧٥

اتخذوا الدرسَ اللغويَّ وسيلةً، فإنَّ هذا الدرسَ قد انتهى بهم إلى أن يكونَ غايةً في حدِّ ذاته لأنهم درسوا اللغةَ العَرَبِيَّةَ في مستوياتها الصوتيَّةِ والصرفيَّةِ والتركيبِيَّةِ والدلاليَّةِ وكانتْ دراساتهم تلحظُ هذه المستوياتِ دونَ أن تفرِّقَ بينها فهي عندهم كلُّ متكاملٌ وقد تكونُ منهجيَّتُهُم في الدرسِ أقربَ إلى روحِ اللغةِ العَرَبِيَّةِ وسننِها في بقيةِ المناهجِ.

الفصل الثاني

نشأة اللغة في البحث اللساني قديماً وحديثاً

مدخل إلى نشأة اللغة

أصبحت مشكلة نشأة اللغة من المعضلات الفلسفية التي حفل تأريخها بالمجازبات الحادة، دون أن تنتهي إلى رأي قاطع، إذ أخذ البحث في نشأة اللغة طابعاً ميتافيزيقياً، وهذا ما جعل علماء اللغة يُجمعون عن البحث في هذه الإشكالية، لعدم إمكانية الوصول إلى القول الفصل، مما حدا بالجمعية الفرنسية إلى أن تمنع إلقاء المحاضرات من هذا النوع بموجب قانونٍ يلزم الباحثين بهذا القيد^(١) فالقول بأولية اللغة يحتاج إلى شيءٍ من التأمل، كون الأمر فيها خفي لا يعلمه إلا الله وحده سبحانه، وهذا ما جعل علماء اللغة القدماء والمحدثين مترددين في قبول هذه النظرية أو تلك، وعلى الرغم من أننا لا يمكننا أن ندرك كينونة اللغة، وكيف كانت في أوليتها، وربما يكون من العبث إثبات كل شيء، ولكن العمل وفق الخصائص والمعالر الواضحات يمكن إثبات ما يكون قابلاً للإثبات، لذا يمكننا الوصول إلى اللغة من خلال ذاكرة اللغة نفسها حسب ارتباطها بالأشياء، لا سيما القضايا العامة اليقينية التي ما تزال محفورة في ذهن البشري، وفق الأنموذج اللغوي الذي

١. يُنظر محاضرات في اللهجات وأسلوب دراستها، أنيس فريحة: ١٢-١٣، معهد الدراسات العربية، القاهرة، ١٩٥٥م.

لا يمكن تجاهله ألا وهو النصُّ القرآنيُّ، فضلاً عن ذلك ندرُكُ بأنَّ اللُّغةَ من الأشياءِ الحيةِ وهنالك من يبرُّرُ وجودَها أو بالأحرى ارتباطَها بما هو كائنٌ متحركٌ يعتمدُ خصائصَ ذهنيةً قائمةً في الذهنِ، مستقرةً في الأشياءِ الحيةِ نفسها، ومع ذلك أعتقدُ أنَّ من الممكنِ أن تتجاوزَ تلكَ النظرياتِ ونسلكَ ما نسمِّيه اليقينَ في فهمِ اللُّغةِ، ما دامتِ العلاماتُ والإشاراتُ تذهبُ بنا إلى أبعَدَ مما ذهبَ إليه القدماءُ، وسيكونُ حالنا يقيناً بأنَّ اللُّغةَ وجدتْ قبلَ خلقِ الإنسانِ، ومن العبثِ أن نشكَّ بهذه الحقيقةِ ما دُمنا مؤمنينَ باللهِ تعالى، وما دمنَّا لا نضعُ اليدَ على قولِ صدرَ عن القدماءِ في حقيقةِ هذا الأمرِ، لأنَّ القولَ في أوليةِ اللُّغةِ وما فيه من نقصٍ يعرِّضُ المتلقي إلى الاضطرابِ في الذهنِ، لذلك أتجهُّنا إلى هذه الوجهةِ الحسنةِ لفهمِ حقيقةِ وطبيعةِ الخلقِ لهذه اللُّغةِ.

أصلُ اللُّغةِ في مباحثِ القدماءِ والمحدثينَ

قالوا بأنَّها وحيٌّ من عندِ الله تعالى، أو أنَّ أصلَها لأبَدٍ فيه من المواضعِ، أو أنَّها وجدتْ بفعلِ الأصواتِ والمسموعاتِ، ولكلِّ نظريةٍ من تلكِ مذهبٌ واعتلالٌ.

قيلَ إنَّ أكثرَ أهلِ النظرِ يرونَ أنَّ أصلَ اللُّغةِ تواضعٌ واصطلاحٌ، لا وحيٌّ وتوقيفٌ^(١)، وأنَّ أصحابَ هذه النظريةِ يرونَ أنَّ مستعملَ اللُّغةِ هو مصدرُها، وهذا يتَّضحُ في ما حدَّدهُ أفلاطونُ في أنَّ الاسمَ الَّذي نطقه على الشيءِ هو الاسمُ الصحيحُ، فإذا استعصنا عنه أتى الثاني صحيحاً كالأولِ نُغيِّرُ أسماءَ عبيدنا بدونِ أن يكونَ الاسمُ الجديدُ أقلَّ حظاً في الدقةِ من السابقِ، فالتسميةُ وليدةُ التكرارِ والعادةِ

١. يُنظر الخصائص لابن جني: ١-٩٤

عند الذين زاولوا فعلها^(١) وهذا يتسق مع قول القائل «وذلك كأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعداً، فيحتاجوا إلى الإبانة عن الأشياء والمعلومات، فيضعوا الكل واحداً منها سمةً ولفظاً، إذا ذُكر عُرفَ به ما مسماه، ليمتازَ به من غيره، وليغنيَ بذكره عن إحصاره إلى مرآة العين، فيكون ذلك أقرب وأخف وأسهل من تكلف إحصاره لبلوغ الغرض في إبانة حاله»^(٢).

وحاول ابن جنِّي تقريبَ هذه النظرية من ذهن المتلقي علَّه يقنعُ بها، بذكره لجملة من اختراعات الصناعات آلات صنائعهم من الأسماء «النجارة، والصائغ، والبناء» ودلَّل على تواضعها من قبَل العامة بقوله: «قالوا ولكن لا بدَّ لأولها من أن يكون متواضعاً بالمشاهدة والإيحاء، قالوا والقديمُ سبحانه لا يجوزُ أن يوصفَ بأنَّه يواضعُ أحداً من عباده على شيءٍ، إذ قد ثبتَ أنَّ المواضعة لا بدَّ معها من إيحاء وإشارة بها منه، فبطَّلَ عندهم أن يصحَّ المواضعة على اللُّغة منه، تقدستُ أسماؤه، قالوا يجوزُ أن ينقلَ اللهُ اللُّغةَ التي قد وقعَ التواضعُ بين عباده عليها، بأن يقولَ: الذي كنتم تعبرونَ عنه بكذا عبَّروا عنه بكذا والذي كنتم تسمونه كذا ينبغي أن تسموه كذا جوازُ هذا منه سبحانه كتجوزه من عباده»^(٣)، وعلى هذا تكونُ اللُّغة من ابتكارِ البشرِ - عن طريق التواضع والتوافق والارتجال، وهذا ما ذهبَ إليه المعتزلةُ لاسيَّما شيخُهم عبدُ السلام الجبائيُّ «ت ٣٢١هـ»، إذ ذهبَ إلى أنَّ اللغات لا تدلُّ على مدلولاتها العقلية، ولهذا المعنى يجوزُ اختلافُها، ولو ثبتَ توقيفُها من جهة الله تعالى ينبغي أن يُخلَقَ اللهُ العلمَ بالصيغة، ثمَّ يخلَقَ لنا العلمَ بالمدلول، ثمَّ يخلَقَ لنا العلمَ بجعلِ الصيغة دليلاً على ذلك المدلول، ولو خلقَ لنا العلمَ بصفاته لجازَّ أن يخلَقَ لنا العلمَ بذاته، ولو خلقَ لنا العلمَ بذاته بطلَ التكليفُ وبطلتِ المحنة^(٤)، لذلك قيلَ إنَّ اللُّغة وليدةُ اجتماعِ الناسِ لقيامهم بعملٍ مشتركٍ، والأصواتُ التي صدرتْ عنهم كانتْ نتيجة ذلك

١. يُنظر فلسفة اللغة، كمال يوسف الحاج، دار النهضة: ١٨.

٢. المصدر نفسه: ١-٩٦.

٣. المصدر نفسه: ١-٩٧.

٤. يُنظر المزهري في علوم اللغة وأنواعها للشيخ جلال الدين السيوطي: ١-٢٠.

العمل، وهذا ما يتمثل بالّلغة النّفعيّة عند العامّة من البشر، لذلك عدّة الأصوات اللغويّة على الرغم من تمايزها واختلافها من حيث الأداء والوظيفة اللغويّة البوّرة الأساسيّة لنشوء اللّغة.

ومن الباحثين المحدثين الذين قالوا بالمواضعة والاصطلاح «جون لوك» وينقل الأستاذ كمال الحاج حجة جون في التواطؤ مع من يمتلك الكفاية اللغويّة والقدرة على ابتكار الألفاظ، يرى أنّ الكلمة تدلّ على معنى والمعنى لا يأتي من الشيء الماديّ «أي الواقع الخارجيّ» فالكلمة الدالّة مع المجرّد هي التي تعني، والذي يعني في الكلمة هو الفكر، فالفكر عانٍ «فاعل»، والإنسان هو مصدر الفكر، وقد لوحظ أنّ هذه التواطؤية ذات قاعدة، يعني أنّ وضع الكلمات يتطور من الحسّ إلى المجرّد، ومن المنظور إلى اللامنظور، ومن الخاصّ إلى العام^(١). ومن المآخذ على هذه النظريّة، هو أنّ الكلام لو كان اصطلاحاً لما جاز أن يصطّح عليه إلاّ قوم قد كملت أذهانهم وتدرّبت عقولهم وتمتّ علومهم، ووقفوا على الأشياء كلّها الموجودة في العلم وعرفوا حدودها واتفاقها واختلافها وطبائعها^(٢) وقيل أيضاً إنّ «الاصطلاح يقتضي وقتاً لم يكن موجوداً قبله، لأنّه من عمل المصطلحين، وكلّ عمل لابدّ من أن يكون له أول، فكيف كان حال المصطلحين على وضع اللّغة قبل اصطلاحهم عليها؟ فهذا من الممتنع المحال ضرورة^(٣)»، وقيل في بطلان القول بالتواضع إنّّه لا يكون ضرورةً إلاّ بكلام متقدم بين المتواضعين على وضع اللّغة، أو بإشارات قد اتفقوا على فهمها، وهذا لا يكون إلاّ بكلام ضرورة، ومعرفة جوهر الأشياء وطبائعها التي يعبر عنها بالألفاظ لا يكون إلاّ بكلام وتفهم، فبطل الاصطلاح على ابتداء الكلام^(٤)، وينقل الدكتور هادي نهر نصاً للدكتور محمد المبارك^(٥) في بيان ضعف مذهب القائلين

١. يُنظر فلسفة اللّغة: ٢٤-٢٥.

٢. يُنظر الإحكام في أصول الأحكام، لابن حزم، تج: أحمد شاكر، نشر: زكريا علي يوسف، مطبعة القاهرة: ١-٢٨.

٣. المصدر نفسه: ١-٢٨.

٤. يُنظر الإحكام في أصول الأحكام: ١-٢٩.

٥. يُنظر: فقه اللّغة وخصائص العربية: ٦٦.

بالمواضعة، قَالَ «فلا يُعقلُ أنْ يخلُقَ خالقٌ شيئاً لا يملكُ عنه أيةَ فكرةٍ، ولكي توجدَ هذه الفكرةُ عن اللُّغةِ عند الإنسانِ يجبُ أنْ يكونَ مفكراً، أي أنْ يكونَ لاغياً ومعنى هذا أنه لكي يخلُقَ الإنسانُ اللُّغةَ يجبُ أنْ يكونَ مالِكاً للغةِ، وبعبارةٍ أخرى أنْ وجودَ اللُّغةِ شرطٌ لخلقِ اللُّغةِ، أو أنَّ اللُّغةَ واجبٌ وجودٌ لمنشأ اللُّغةِ ذاتها، ولما كانَ هذا مستحيلاً على الإنسانِ فقد وجبَ أنْ تكونَ اللُّغةُ هبةً من لدنِ الله»^(١)، وإلا كيفَ لنا أنْ نفسِّرَ قوله تعالى في قصةِ عيسى «الصلِّواتُ» ﴿قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا * قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ مريم: ٢٩، ٣٠.

أمَّا القولُ بالتوقيفِ كونها إلهاماً من الله تعالى فمبنيٌّ على ما جاء من دليلٍ في بعضِ الحواراتِ القديمة التي ترشَّحُ عن الفلسفةِ اليونانيةِ كونَ الأسماءِ تُعطى من قوَّةِ إلهية^(٢) وفي العصرِ الوسيطِ آمنَ بعضُ علماءِ الدينِ المسيحيِّ بحرفيةِ ما وردَ في الكتبِ السماويةِ ففي الإنجيلِ نجدُ قوله: ﴿في البدءِ كانتِ الكلمةُ وكانتِ الكلمةُ هي اللهُ﴾^(٣)، وهذا يدعو إلى أنَّ اللُّغةَ وحيٌّ من السماءِ، وأنَّ منشأها توقيفيٌّ من عندِ الله، وأخذَ هذا الاتجاهُ مجاله في العصرِ الحديثِ على «دي بونالد» الذي يرى «أنَّ اللُّغةَ ليستُ تواطؤيةً من خلقِ الإرادةِ البشريةِ، والناسُ لم يتفقوا فيما بينهم على أنْ تكونَ ثمةَ لغةٌ فكانَ هناكَ لغةٌ سابقةً، هذا التفكيرُ السكونيُّ لمنشأ اللُّغةِ بعيدٌ كلَّ البعدِ عن واقعِ الحقيقةِ، لأنَّ الإنسانَ لا يقدرُ على خلقِ شيءٍ ما لم يكنْ لديه فكرةٌ صريحةٌ عنه، ولكي يحصلَ على هذه الفكرةِ الصريحةِ ينبغي له أنْ يعبرَ عنها. إذاً اللُّغةُ واجبٌ وجودٌ لمنشأ اللُّغةِ ذاتها، مما يفيدُ أنَّ اللُّغةَ ليستُ من عملِ القويِّ البشريةِ، إنما هبةٌ من لدنِ الله»^(٤)، وإلى جانبِ دي بونالد نجدُ «أرنلديز» يسيرُ في الاتجاهِ نفسه كونَ اللُّغةِ إبداعاً إلهياً يقولُ: «والقضيةُ هنا ليستُ قضيةَ الكلامِ، ولكنَّ القضيةَ قضيةَ تكوينِ أو خلقِ، أو تعليمِ الكلامِ، فالفاعلُ يجبُ إذاً أنْ تكونَ لهُ الأُسقيةُ بالنسبةِ للفاعلِ، ولكنَّ الإنسانَ

١. الأساس في فقه اللغة: ٥٣.

٢. يُنظر في فلسفة اللغة: ١٨.

٣. الإنجيل: ف: ٢، الآية (٢٠).

٤. في فلسفة اللغة: ٢١-٢٦.

لا يمكن أن يعيش بدون لغة قبل أن وجد هذه اللغة، إذًا فالإنسان ليس الفاعل، وبما أنه كائن ولا يمكن أن ينتج خلقاً إلهياً، إذن يكون إله هو الذي أبدع اللغة وعلمها للإنسان»^(١)

أما في العصر الوسيط لاسيما في الثقافة العربية الإسلامية، نجد أعلام الفكر الإسلامي قالوا بالتوقيف، إذ لا بد من التوقيف في أصل اللغة الواحدة لاستحالة وقوع الاصطلاح على اللغات من غير معرفة المصطلحين بعين ما اصطلحوا عليه^(٢)، ومن هنا ذهب مفكرو العرب إلى القول بالتوقيف معتمدين على أدلة نقلية متمثلة بالقرآن «وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا»^(٣)، وهذا النص القرآني الذي يفصح عن كيفية الإلهام ورد عينه في الإنجيل بقوله: «فَدَعَا آدَمُ جَمِيعَ الْبَهَائِمِ وَطَيْرِ السَّمَاءِ وَجَمِيعَ وَحْشِ الصَّحَرَاءِ»^(٤)، والنظر في تلك النصوص المقدسة لا يقطع الطريق أمام منكري هذه النظرية فضلاً عن القائلين بالمواضعة أو المناسبة الطبيعية، كونها لا تدل دلالة قاطعة على معنى ومفهوم الإلهام لأن النص القرآني في أعلى تنمة تتمثل بقوله تعالى: «ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ» لم يقل سبحانه «ثُمَّ عَرَضَهَا» نعني بذلك عودة الضمير على الأسماء فضلاً عن ذلك العرض يعني المعاينة للأشياء وهذا لا ينسجم مع مدلول الآية، ثم قال سبحانه: «فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ» واسم الإشارة هذا يدل على جماعة من العقلاء، وإنكار الملائكة لهم دليل على أنه سبحانه وتعالى لا يعني بتعليم آدم «الكلية» أسماء المخلوقات أو أنه تعالى عرضها على آدم «الكلية» ليدعوها بأسمائها، لأننا في هذا المقام نتحدث عن أولية اللغة ونجعل بدايتها مع هذا النص لاسيما لفظة «أسماء»، ولم نلتفت إلى أن الأمر سابق لذلك كون الحديث أو «الحوار» قدر جرى ابتداءً مع الله تعالى وملائكته وكانوا مدركين لحقيقة هذا اللغة وهذا الخلق «الخليفة في الأرض» الذي يفسد ويسفك، وهذا دليل على أن الملائكة يعرفون معنى

1. amaldz: grammaire et the oioigie chez ipn hazm p:43-44

٢. يُنظر فلسفة اللغة: ٢١.

٣. سورة البقرة: ٣١.

٤. الإنجيل: ف-٢، الآية (٢٠).

ودلالة القتل والسّفك والفساد ويعرفون دلالة الحمد والتّسبيح والتّقدس ويعرفون دلالة العلم من غيره، وهذه الطّائفة من الكلمات هي من مجمل الأسماء التي عُرضت على الملائكة ولم يعرفوها على رأي من يعتقد أنّه علّم آدم (عليه السلام) الأشياء كلّها!.

وإلى جانب ذلك نجد الدكتور هادي نهر قد بين وجهة نظره في هذه النّظريّة بطرح جملة من المآخذ عليها، كونها تنطلق في البحث عن أولية اللّغة، وتنازع الجنس البشريّ في ادعاء شرف النّشأة الأولى للغة، فضلاً عن أنّ هذه النّظريّة تغفل المشكلة الرئيسيّة وهي البحث عن العوامل التي دعت إلى ظهور اللّغة في صور أصوات مركبة ذات مقاطع متميِّزة، والكشف عن الصورة الأولى التي ظهرت بها تلك الأصوات، فضلاً عن الأسلوب، والأسباب الموجبة له دون غيره^(١).

نحن لا ننكر أنّ اللّغة من عند الله لكننا لا نعتقد بأنّها توقيفٌ ووحىٌّ لأتّها لو كانت كذلك فما هو السبيل إلى تحديد اللغات الأخرى هل هي توقيفٌ ووحىٌّ؟ والقول إنّ «الله تعالى علّم آدم (عليه السلام) أسماء جميع المخلوقات بجميع اللغات العربيّة والفارسيّة والسرّانية والبرانيّة والروميّة وغير ذلك من سائر اللغات، فكان آدم وولده يتكلمون بها ثم تفرّقوا في الدنيا وعلّق كلّ منهم بلغة من تلك اللغات فغلبت عليه واضمحلت عنه ما سواها»؟^(٢) وهل الأمر منوطٌ بالنصوص المقدّسة التي تمثلت بخليقة آدم (عليه السلام)؟ وهل الأسماء التي أنبأ عنها آدم (عليه السلام) بجميع اللغات في المقام نفسه؟.

ثمّ من هم ولد آدم (عليه السلام) الذين اكتسبوا تلك اللغات؟ القرآن والكتب السماويّة أشارت إلى ولديّ آدم (عليه السلام) وهما قابيلٌ وهابيلٌ، وقتل هابيلٌ على يد أخيه قابيلٌ «وهذه القصة معروفةٌ عند جميع الأمم»، ومن العقل والمنطق أن يكتسب

١. يُنظر الأساس في فقه اللغة العربيّة وأرومتها: ٤٧-٤٨.

٢. الخصائص: ١-٩٤.

الأبناء لغة الأب، ومن المنطق للابن أن يعلّق بلغة أبيه، وإن قبلنا جدلاً بوجود أكثر من أخ لقبيل، فلم تذكر الروايات أو كتب الأساطير تفرّقهم في الأرض أولاً، ومهما كثر عددهم فإنهم قد اكتسبوا لغة الأب ثانياً. والذي نعلمه أن أولاد نوح (عليه السلام) هم من تفرّقوا وكل أصاب لغته بعد الطوفان! وهذا فيه نظر، لا أن الله تعالى يقول ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ البقرة/ ٢١٣.

ينقل لنا ابن جني تأويله لقول أبي عليّ الفارسيّ الذي يرى بأنّ اللّغة هي من عند الله، وأنّه تعالى «أقدر آدم على أن واضع عليها، وهذا المعنى من عند الله سبحانه لا محالة»^(١).

ويرى ابن فارس «أنّ الله تعالى «علّم بعد آدم (عليه السلام) من الأعراب الأنبياء (عليهم السلام) نبياً نبياً ما شاء الله أن يعلمه، حتى انتهى الأمر إلى نبينا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فاتاه الله (لا) من ذلك ما لم يؤتّه أحداً قبله تماماً على ما أحسنه من اللّغة المتقدمة ثم قرّ الأمر قراره»^(٢)، وسنستثمر تلك المقولات والروايات فيما يأتي من الدراسة بعد عرضنا لجملة من النظريات التي عيّنت بنشأة اللّغة.

وذهب بعض العلماء إلى أنّ اللّغة محاكاة لأصوات الطبيعة، أو القول بالتكوين التدريجيّ للغة، والذين ذهبوا في هذا الاتجاه، رفضوا أن تكون الأسماء وليدة الاتفاق العابث وهذا متأّت من التواطؤ، وكذلك رفضهم للتوقيفية، رغبة منهم في إيجاد قاعدة إيجابية لبحث اللّغة كعلم صحيح، وهذا يتطلب نهجاً استقرائياً قليلاً بنظريات ذاتية^(٣)، ويرى أصحاب هذه النظريّة أنّ اللّغة نشأت من الإشارات الطبيعية المقصودة، ثم من تقليد أصوات الطبيعة أي «من الأصوات المسموعات كدويّ الريح، وحنين الرعد، وخرير الماء، وشحج الحمار، ونعيق الغراب، ونحو ذلك، ثم

١. الخصائص: ١-٩٤

٢. الصاحي: ٣٣

٣. يُنظر فلسفة اللغة: ٢٧.

وُلِدَتْ اللُّغَاتُ عَنْ ذَلِكَ فِيهَا بَعْدُ»^(١).

وقيل إنَّ الإنسانَ في بادئِ الأمرِ كانَ مقلِّداً ومحاكياً للأشياء، ومستعيناً في بعضِ ضروبِ القولِ بالإشارةِ للإبلاغِ عمَّا في نفسه وإيصالِ ما يريدُ إيصاله للآخر^(٢)، ويرى الفارابيُّ «أنَّ الإنسانَ إذا احتاجَ أنْ يعرفَ غيرهَ ممَّا في ضميره أو مقصوده بضميره، استعملَ الإشاراتِ أولاً في الدلالةِ على ما كانَ يريدُ ممَّنْ يلتمسُ تفهيمه إذا كانَ ممَّنْ يلتمسُ تفهيمه بحيثُ يُبصرُ إشارته، ثم استعملَ بعدَ ذلكَ التصويتَ»^(٣)، وبنموُّ اللُّغةِ نمتْ وتطورتْ آلياتُ الفهمِ لدى الإنسانِ حتى تحلَّى عن بعضها كونها لا تتناسبُ ورفيعةُ العقليِّ والحضاريِّ، ووجدنا هذه النَّظريَّةَ «محاكاةً لأصواتِ الطبيعةِ» مقبولةً عند ابنِ جنِّي ويراها وجهاً صالحاً، ومذهباً متقبلاً^(٤). وإنَّ القولَ بالمحاكاةِ ينسجمُ والمراحلُ أو الأطوارَ الثلاثةَ التي مرَّتْ بها اللُّغاتُ جميعها المرتقية وهي القابلةُ للتصريفِ وللاشتقاقِ، وغيرُ المرتقية وهي اللُّغاتُ التي تكونُ أدنى بياناً وأبسطَ ألفاظاً^(٥).

وقد نُقضتْ هذه النَّظريَّةُ، كونَ الطبيعةِ لا تفعلُ إلاَّ فعلاً واحداً لا أفعالاً مختلفةً، وإنَّ تأليفَ الكلامِ اختياريٌّ متصرِّفٌ في وجوهٍ شتى^(٦)، فضلاً عن أنَّ الذينَ قالوا بها من العربِ المسلمينَ لم يلتفتوا إلى طبيعةِ تلكَ المخلوقاتِ كونها أمماً مثلنا وحالها كحالنا، كلُّ يسبِّحُ لله وإنَّ كُنَّا لا نعلمُ تسبيحهم. فكيفَ لنا أنْ نقلدَ أصواتَ الحيواناتِ والجماداتِ؟.

وينقلُ لنا إبراهيمُ أنيسُ أنَّ من الباحثينَ مَنْ هو آخذٌ بنظريَّةِ داروين في تطورِ الكائناتِ الحيَّةِ، وعلى ذلكَ تكونُ اللُّغةُ قد نشأتْ عن الانفعالاتِ والغرائزِ أو ما

١. الخصائص: ١-٩٩.

٢. يُنظر في فقه اللغة العربية: ٢٩.

٣. كتاب الحروف للفارابي، تج: محسن مهدي، ١٣٥، بيروت، ١٩٧٠ م.

٤. يُنظر الخصائص: ١-٩٩.

٥. يُنظر الأساس في فقه اللغة: ٥٩، وسنأتي على هذا الموضوع وبيانه بعد عرضنا لتلك النظريات اللغوية.

٦. يُنظر الأحكام في أصول الأحكام: ١-٢٩.

يعتري الإنسان من حالات شعورية كالفرح والحزن^(١)، ومن أشهر من ذهب هذا المذهب «ماكس مولر، ورينان» وقيل إنَّ «الغريزة تحمل كل فرد على التعبير عن كل مدرك حسي أو معنوي بكلمة خاصة به، كما أنَّ الغريزة هي التعبير الطبيعي عن الانفعالات التي تحمل الإنسان على القيام بحركات وأصوات خاصة، وأنها كانت متحدة عند جميع الأفراد في طبيعتها ووظائفها وما يصدر عنها، وأنه بفضل ذلك اتحدت المفردات وتشابهت طرق التعبير عند الجماعات الإنسانية الأولى واستطاع الأفراد التفاهم فيما بينهم، وأنه بعد نشأة اللغة الإنسانية الأولى لم يستخدم الإنسان هذه الغريزة فأخذت تنقرض شيئاً فشيئاً»^(٢).

ويرى الشيخ عبد الله العلايلي أنَّ هذه الاختلافات في أولية اللغة «في أساسه وجوهره لا يُراد منه اللغة، وإنما غاية كلامية بحثة، ولذا لا تكاد تسقط على مبحث من الطراز عند اللغويين القدماء، وإنما سري، أو عدا بسرِيانه إلى اللغويين الذين نشأوا بعد استشراء الخلاف الكلامي الذي كانت هذه إحدى مسأله»^(٣).

وهذا ما نلاحظه عند القدماء من اللغويين لاسيما ابن جني الذي ظل متردداً في ترجيحه لتلك النظريات وأيها أقرب إلى الواقع اللغوي، والسبب في ذلك، أنه لم تنته إليه موضوع أولية اللغة من شيوخه، ولم نلاحظ عند الرعيل الأول من علمائنا كآبي عمرو بن العلاء والخليل بن أحمد وسيبويه والكسائي وغيرهم من القدماء أيَّ جهد أو بحثٍ يعنى بتاريخ اللغة وأوليتها. قال ابن جني: «واعلم فيما بعد، أنني على تقادم الوقت، دائم التنقيح والبحث عن هذا الموضوع، فأجد الدواعي والخوارج قوية التجاذب لي، مختلفة جهات التعلُّول على فكري، «أي مشتبهة ومتناكرة» وذلك أنني تأملتُ حال هذه اللغة الشريفة، الكريمة اللطيفة، وجدتُ فيها من الحكمة والدقة، والإرهاق، والرقعة، ما يملك عليَّ جانب الفكر، حتى يكادُ يطمحُ به أمام غلوة

١. يُنظر دلالة الالفاظ: ١٩.

٢. نشأة اللغة عند الإنسان والطفل، د. علي عبد الواحد: ٣٤.

٣. مقدمة لدرس لغة العرب: ١٨٩.

السحر، فمن ذلك ما نبّه عليه أصحابنا رحمهم الله، ومنه ما حدّوثه على أمثلتهم، فعرفتُ بتتابعه وانقياده، وبُعدِ مراميه وآماده، صحة ما وفقوا التقديمه منه. ولطف ما أسعدوا به وفُرق لهم عنه، وانضافَ إلى ذلك واردة الأخبار الماثورة بأنها من عند الله جلّ وعزّ، فقوي في نفسي اعتقادُ كونها توفيقاً من الله سبحانه وأنها وحيٌّ.

ثمّ أقولُ في ضدّ هذا: كما وقع لأصحابنا ولنا، وتنبّهوا وتنبّهنا، على تأمل هذه الحكمة الرائعة الباهرة، كذلك لا ننكرُ أن يكونَ اللهُ تعالى قد خلقَ من قبلنا - وإنّ بُعدَ مداهُ عنّا - مَنْ كانَ اللطفُ منّا أذهاناً، وأسرعُ خواطرُ وأجرأُ جناناً. فأقفُ بين الخلتينِ حسيراً، وأكاثُرهما فأنكفي مكنوراً، وإنّ خطرَ خاطرٍ فيما بعدُ، يعلقُ الكفُّ بإحدى الجهتين، ويكفيها عن صاحبتيها، قلنا به، وبالله التوفيقُ^(١)، نلاحظُ من خلال هذا النصّ أن ابنَ جنّي وأصحابه الذين وقع لهم مثل الذي وقع له من أمر هذه اللُغة قد تردّدَ بين الإلهام والمواضعة وما يراه «من المحاكاة» وجهاً صالحاً، ومذهباً متقبلاً^(٢)، لذلك حاولَ أن يزاوجَ بين فعلَي التوقيفِ والمواضعة تاركاً أمرَ المحاكاة بعدما قبله، كونَ الإنسان مولوداً على الفطرة، وهذه الفطرة أو الغريزة متنامية شأنها في ذلك شأنُ اللُغة، فبدأتُها توقيفٌ حتى وصلت في المجتمعات البدائية إلى منتهاها نتيجة الغرائز المتوافقة ابتداءً، ثم إعادة نموّها من خلال مواضعاتِ العامة بعدما استوت عندهم الملكة اللغوية. لكن ما هي وسيلة المتواضعين في التفاهم والاصطلاح بينهم ليقفوا على الفاظ ذات دلالة ومعنى؟ لأنّ القولَ بالتفاهم يكونُ مبنياً على لغةٍ موجودةٍ من قبل.

١. الخصائص: ١-٩٩

٢. يُنظر الخصائص: ١-٩٩

أولية اللغة والواقع اللغوي المغلوط

على الرغم من أن النظريات التي عُرضت في أعلاه، ظلت من الموضوعات المبهمة كونها لا ترتكن إلى واقع لغوي، وانطلقت من الحدس وانتهدت إلى التخمين، لذا جيء بنظريات تعرّضت لمسائل اللغة من ناحية قواعدها الصوتية والصرفية، والبحث في المراحل التي عُرف فيها الاسم من الفعل والحرف، فضلاً عن بيان حال المفردة وأيّها أسبق في الوجود بحسب معانيها ودلالاتها العامة والخاصة^(١).

والذي يعيننا من بين تلك النظريات القول باللغات المرتقية، كون اللغات جميعاً مرتت في تلك المراحل أو الأطوار من حيث نظامها اللغوي الذي تشكلت منه، أي أن هذه الأطوار مجتمعة أو كون أولها أسهم في رقيّ ثانيها، وهكذا إلى الطور الثالث، هي عماد الثروة اللغوية.

فاللغات ذات المقطع البسيط تمثل الطور الأول، كونها تعتمد على أدنى المقاطع الصوتية نحو ﴿الله﴾، وقيل إن هذا الطور في غايته ولّد المقاطع الواحدة المجموعة في حرف الهجاء، أي ولّد الجدول الهجائي، فمثل لذلك بـ«عو» قيل يدلُّ على الحيوانات الزئيرية، و«وا» يدلُّ على الصوت المتكرّر بحركة الفكين، وعنه نشأ في العبرية «وو» بمعنى «وصل»^(٢).

وهذا الطور يمثل الأصوات غير المشكّلة أي التي لم تنطبع بطابع خاص يميزها بل كانت تُقال اضطراراً أي الأصوات التي تتولّد نتيجة الانفعالات، كأصوات المتوجعين، والمغمومين، والصوت الحاصل من تردّد الزفير هما أو حزنًا، إذ أن هذه

١. يُنظر تفصيل تلك النظريات في: تهذيب المقدمة اللغوية للشيخ عبدالله العلابي: ٤٤-٤٥. ونشأة اللغة، د.

علي عبد الواحد: ٤٩-٥٨، واللسان والإنسان د. حسن ظاظا: ١٥١-١٥٣.

٢. يُنظر مقدمة لدرس لغة العرب: ١٩١.

الأصوات لا تتميز فيها المقاطع^(١).

ويرى الشيخ العلابي أن هذا الطور «قد امتد كثيراً وعاصر الإنسان أطوال العمر في حلقات لا سبيل إلى تمييزها على وجه الدقة والوضوح»^(٢).

والملاحظ على هذه الأصوات في هذا الطور أنها هي من كَوْنَتْ أو شَكَلَتْ اللُّغَةَ الفطرية التي توصل إليها الإنسان بالمصادفة والمحاكاة والتقليد، وهذا يعني أن لكل صوت معنى ودلالة، ومثال ذلك كلمة «شجر» التي نُحِلُّ إلى «ش» ومعناه سِنٌّ وهو ينظرُ إلى مُطلقِ النبات، و«ج» ومعناه جملٌ وهو ينظرُ إلى مُطلقِ الارتفاع، و«ر» ومعناه رأسٌ. والمعنى المؤلفُ من تلك الأصوات «نباتٌ وارتفع له رأسٌ»، وهو تمام معنى ودلالة شجر^(٣) وكذلك كلمة «جبل» التي تحلُّ إلى «ج» ومعناه ينظرُ إلى الارتفاع، و«ب» ومعناه بيتٌ، و«ل» ومعناه الملاصقةُ والمساسُ، والمعنى المؤلفُ: بيتٌ مرتفعٌ وكأنه ملاصقٌ للسحابِ أو الأرض^(٤)، وهكذا نجدُ الشيخَ العلابي يبرعُ في تحديد دلالة تلك الأصوات أو الحروف ذات المعاني الجنسية، ويرى أن اللُّغَةَ العربيةَ قد انفصلتُ عن هذا الطور ثنائيةً فثلاثيةً، ويبطلُ المبالغةَ في تقديرِ عملِ النحتِ في الساميةِ على الإطلاقِ وخصوصاً في الأدوات، لأن هذه الأدوات كانت لها معانٍ أوليةٌ تحجرتُ وبقيتُ على حالتها التي انتهت إليها، وعلى هذا الأساس يمكنُ اعتمادُ الجدولِ الأبجديِّ بمعانيه في تحليلِ الكلمات، وردّها إلى معانيها الأولية^(٥).

أمَّا الطورُ الثاني فيُعرَفُ «بذي المقطعين»، أي حرفانِ بصوتين، وحرفانِ بصوتٍ واحدٍ، وقيلَ هذا الطورُ نشأً مصادفةً، وبمحاكاةِ الطبيعةِ بمختلفِ أصواتها، ومن خلالِ هذا الطورِ سعى الإنسانُ إلى التأليفِ من منطِقِهِ، فحينما أرادَ التدليلَ على أنَّ

١. يُنظر المصدر نفسه: ١٩٥.

٢. المصدر نفسه: ١٩٥-١٩٦.

٣. يُنظر المصدر نفسه: ٢٠١.

٤. يُنظر المصدر نفسه: ٢٠١.

٥. يُنظر المصدر نفسه: ٢٠٢.

الحيوان يعوي، عمدَ إلى حرفِ «ع» ذي الصوتِ المضمومِ «عو» الذي يدلُّ على الحيوانِ المفترسِ، والحرفِ الواوِ ذي الصوتِ «وا» الذي يدلُّ على الصوتِ المتكرِّرِ بحركةِ الفكيْنِ، فأدغمَهما وتوصَّلَ إلى «عوا» بمعنى: حيوانٍ يصوتُ أو يواصلُ التصويتَ^(١) ونلاحظُ هذا الأمرَ في العربيةِ وخاصةً في الصيغِ المعتلَّةِ فهي ثنائيةُ الوضعِ مؤلَّفةٌ من مقطعينِ، وبعدها استقرتِ العربيةُ عندَ البناءِ الثلاثيِّ صُحَّحَ هذا الأصلُ.

إنَّ العملَ وفقَ هذا الطورِ لا يعني أنَّ الإنسانَ الفطريَّ كانَ يسعى إلى ذلكِ القصدِ من التَّأليفِ والتركيبِ، بل انتزعَ تلكَ التراكيبَ الصوتيةَ انتزاعاً من خلالِ ضمِّ المقاطعِ التي يستدعيها التعبيرُ خاصةً إذا كانتِ هذه المقاطعُ تدلُّ على معنى شخصيٍّ واحدٍ، ولعلَّ هذه النظريَّةُ مقبولةٌ إلى حدِّ ما إذا ما علمنا أنَّ اللغاتِ الجزريةَ وفي هذا الطورِ لم يكن أصحابُها على درجةٍ من التواصُلِ اللغويِّ في المعاملاتِ اليومية، بل كانتِ عمليةُ التواصُلِ مقيدةً باستعمالِ صيغةِ الطلبِ أي الأمرِ والنهيِّ افعَلْ ولا تفعلْ.

ثمَّ يرى الشيخُ العلايليُّ أنَّ التضعيفَ في الثنائيِّ جيءَ به لطرْدِ كلمِ العربيةِ على ثلاثةِ أحرفٍ والتحليلِ من الصوتيةِ، ومثَّلَ لذلكِ بـ: شَحَّ التي بمعنى «بخَلَّ» ينظرُ إلى «شَيْح» و«شَحَّ» بمعنى وسعَ ينظرُ إلى «شَحَى»، وقد عُولِجَ هذا الضربُ من المباني بالصقلِ اللغويِّ مما أدَّى إلى قلةِ **المعل** مما سيُشعرُ بأنَّه أخذَ بالإماتة^(٢).

أمَّا الطورُ الثالثُ والأخيرُ، فقد كانَ الإنسانُ قاصداً إليه قصداً، لأنه سعى إلى ضمِّ المقاطعِ الصوتيةِ البسيطةِ والمركبةِ ويؤلفُ منها تركيباً ذا دلالةٍ بعينها، وفي هذا الطورِ استقرتْ بعضُ اللغاتِ لاسيَّما اللُّغةُ العربيةُ في النظامِ الثلاثيِّ للكلمةِ.

وتميَّزَتِ اللُّغةُ في هذا الطورِ بأنَّها لغةٌ مصطنعةٌ من قِبَلِ الإنسانِ لبيانِ تصوراتِهِ وأفكارِهِ ومكوناتِ نفسه، فضلاً عن اختراعِهِ للكتابةِ التي عملتْ على التقليلِ

١. يُنظر مقدمة لدرس لغة العرب: ١٩٢.

٢. المصدر نفسه: ٢٠٩.

والتهديبِ وتقديمِ النماذجِ اللغويةِ للمقارنةِ فضلاً عن دعوتها للإماتةِ والإيجادِ، والاختزالِ والإطنابِ. واستطاعَ الإنسانُ فيه معرفةَ الألوانِ، على الرغمِ من أنَّ الساميينَ كانوا لا يعرفونَ إلاَّ الألوانَ الواضحةَ كالسوادِ والبياضِ. وفي هذا الطورِ اكتسبتِ اللغاتُ التصريفَ لاسيَّما مع الأزمنةِ والضمائرِ والإلحاقِ والإلصاقِ، وتحديدِ بنيةِ الكلمةِ الثلاثيةِ والرباعيةِ، والزيادةِ في المباني، وإقرارِ الأفعالِ على بابها والمصادرِ والجموعِ، حتى استوتْ على حالها التي عليها^(١).

إنَّ القولَ في مجملِ هذه النظرياتِ التي حاولتْ أن تقتربَ من أوليةِ اللُغةِ محلُّهُ التصوُّرُ والاعتقادُ، لأننا لا نسمحُ لأنفسنا ولو مجردُ تصوُّرٍ أو شبهُ اعتقادٍ بأنَّ الإنسانَ «الحليقةُ أي عامة البشرِ» قد ترشَّحَ وتشعَّبَ عن شخصيةٍ بدائيةٍ جهولةٍ تمثلتْ اللُغةُ عندهُ بتلكِ الأطوارِ أو الأطوارِ الثلاثةِ!.

فَصُلاً عن ذلكَ أنَّ العملَ وفقَ تلكِ التصوراتِ يفصحُ عن إنسانٍ هو خالقُ للمعرفةِ، بحيثُ يَعرفُ دلالاتِ الأصواتِ وبالتالي هو خالقُ للُغةِ! وهذا غيرُ ممكنٍ، لا اعتبارينِ الأولِ في مسألةِ خَلقِ اللُغةِ لا بدَّ من معرفةٍ تسبقُ خَلقَ اللُغةِ، الثاني التباينِ والاختلافِ بينَ اللغاتِ، أمَّا القولُ بضمِّ المقاطعِ كي تصبحَ كلاماً فيفصحُ بأنَّ الناسَ قد أحدثوا لُغةً واحدةً ووقفوا عليها، بها علموا ماهيةَ الأشياءِ وكيفياتها وحدودها، فلماذا هذا التشعُّبُ والاختلافُ في اللغاتِ حتى صُنِّفتْ إلى مرتقيةٍ وغيرِ مرتقيةٍ؟.

إنَّ النَّظريَّةَ التي قامتْ على تلكِ الأطوارِ مقبولةٌ من جانبها الكتابيِّ أي التَّأصيلِ لتاريخِ الكتابةِ أو النَّظَرُ للرُسومِ أو ما يُعرَفُ بالكتابةِ الصوريةِ التي عُثِرَ عليها في الكهوفِ والمغاراتِ وبعضِ الأماكنِ الأثريةِ القديمةِ والمقارنةُ بينها وبينِ النقوشِ التي صاحبتهَا وبالتالي فكُ رموزها وتحليلها لغوياً وإعادةُ تشكيلها من جديدٍ وإخضاعها لقانونِ التطورِ اللغويِّ، وجعلُ الأمرِ في سلسلةٍ لغويةٍ لا يمكنُ فرطُ عقدها.

١. يُنظر تلك الموضوعات في الطور الثالث وحلقاته الخمس من المقدمة لدرس لغة العرب

إنَّ حقيقةَ الأمرِ بعدَ هذا التباينِ في آراءِ القدماءِ والمحدثينَ في تحديدِ الأسسِ الَّتِي بُنيتْ عليها أوليةُ اللُّغَةِ، يمكننا أن نلمسَ هذه اللُّغَةَ بدايةً، مبتعدينَ عن المتناقضاتِ اللغويةِ واختلافاتها الكبيرة.

نقولُ: إنَّ اللُّغَةَ هي المعرفةُ، والبشرُ لا يستطيعُ خلقَ تلكِ المعرفةِ، فلا بدَّ من خالقٍ فاعلٍ لها، ولا يمكنُ للغةٍ أن تتشكَّلَ أصواتُها ومبانيها وتراكيبُها دونَ مصوِّتٍ لهذه الأصواتِ، وناطقٍ بتلكِ المباني والكلماتِ، ومعربٍ للمعاني والدلالاتِ. نعم إنَّه الإنسانُ الذي له القدرةُ على فعلِ كلِّ ذلكِ في شتى استعمالاته اللغويةِ، ونظراً لما لوجودِ الله تعالى من ارتباطٍ ضروريٍّ بوجودنا، فإنَّ أفكارنا الَّتِي يمكنُ أن نحصلَ عليها عن شيءٍ ما، لن نثبتَ وجودَ هذا الشيءِ، بأكثرَ ما يمكنُ أن يثبتَ الإنسانُ نفسه في الوجودِ، لذلكِ نحنُ نبحثُ عن المعرفةِ بأثباتِ وجودنا والغايةِ من هذا الوجودِ، ونعتقدُ بوجودِ الأشياءِ وخلقِها، تلكِ الَّتِي نراها أو نحسُّها أو هي جزءٌ من كينونتنا.

خلقُ اللُّغَةِ

إنَّ إشكاليةَ خلقِ اللُّغَةِ من المسائلِ الشَّائكةِ الَّتِي تحتاجُ إلى استدلالٍ عقليٍّ وحدسٍ عرفانيٍّ، لأنَّ موضوعها خفيٌّ، أعمقُ من أن يُضربَ له المثالُ، لذا يجبُ علينا أن نجهدَ الفكرَ ونكدِّه ونردِّدَ النظرَ في معرفةِ الكيفيةِ الَّتِي خُلقتْ بها اللُّغَةُ، وأنَّ معرفةَ الموجوداتِ بطريقةِ الاستدلالِ العقليِّ لا تعطي كُنهَ المعرفةِ، وإنما تعرِّفُ الأشياءَ على حقيقتها من ابتدائها وإنشائها وجمعِ مركباتها من مفرداتها وإظهارِ عللها من معلولها.

فبات من الواضحِ وبعدَ عرضِ جملةٍ من النظرياتِ ندركُ بأنَّ اللُّغَةَ ليستُ من اختراعِ الإنسانِ، ولا هي من فعلِ الطبيعةِ، بل هي مخلوقةٌ من طرفِ الله تعالى، ونعتقدُ بأنَّ الله تعالى خلقَ اللُّغَةَ معَ المخلوقِ الأولِ وهو موجودٌ واحدٌ خُلِقَ بطريقٍ مباشرٍ خلقه بذاته ولذاته في بدءِ الخليفةِ، وهذا الموجودُ الأوَّلُ هو جنسُ الملائكةِ،

«وهذا الخلق ليس صدوراً ضرورياً بل هو فعل إرادة مطلقة تامّة لها معرفةٌ وشعورٌ بما تفعلُ وجميعُ المخلوقاتِ ترجعُ إلى الله بالذاتِ»^(١)، ولعلَّ اللُّغَةَ من الأشياءِ الَّتِي خَلَقَهَا اللهُ تَعَالَى وهو جوهرٌ بسيطٌ مجردٌ مغايرٌ لهذهِ الأَجْسَامِ والأَعْرَاضِ، شَأْنُهَا فِي الخَلْقِ شَأْنُ الرُّوحِ، لَكِنَّهَا قَدِيمَةٌ فِي الذَّاتِ الإِلَهِيَّةِ، حَادِثَةٌ فِي مَخْلُوقَاتِهِ، كَوْنَهَا حَصَلَتْ بِفِعْلِ اللهِ تَعَالَى وَتَكْوِينِهِ وَإِيجَادِهِ، ثُمَّ احْتِيَجَ إِلَى الحَدُوثِ عِنْدَ البَشَرِ لِأَنَّ المَلَائِكَةَ، كَوْنَهَا تَكُونُ مُصَاقِبَةً لِلرُّوحِ فِيهِ بِسَيْطَةٍ فِي مَبْدَأِ الفِطْرَةِ ثُمَّ تَحْصُلُ فِيهَا المَعْرِفَةُ، وَمَا تَزَالُ فِي تَغْيِيرٍ وَنَمُوٍّ وَتَبَدُّلٍ وَتَلْكَ مِنْ إِمَارَاتِ الحَدُوثِ.

فمتى تكلم الإنسان بلغته؟

الإِنْسَانُ يُمَثِّلُ الطَّوْرَ الثَّانِيَّ مِنَ الخَلَاتِقِ، بَعْدَ جِنْسِ المَلَائِكَةِ. وَالمَلَائِكَةُ وَمَنْ خِلَالَ النِّصِّ القُرْآنِيِّ يَمْتَلِكُونَ مَلَكَةً لُغَوِيَّةً تَوَاصِلِيَّةً سِوَاءَ بَيْنِهِمْ وَبَيْنَ اللهِ تَعَالَى أَوْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الخَاصَّةِ مِنَ البَشَرِ أَلَا وَهَمَّ الأَنْبِيَاءُ وَالمُرْسَلُونَ أَوْ مَن حَبَاهُمُ اللهُ بِمَنْزَلَةٍ مِنْهُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَنَادَتْهُ المَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي المِحْرَابِ﴾ آل عمران: ١٨، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ المَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ﴾ آل عمران: ٤٢، وَقَوْلِهِ ﴿إِذْ قَالَتِ المَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾ آل عمران: ٤٥، وَقَوْلِهِ ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾ النِّسَاءُ: ١٦٦، وَقَوْلِهِ: ﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ المُرْسَلُونَ * قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ * قَالُوا بَلْ جِنَّاتِكُمْ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ * وَأَتَيْنَاكِ بِالحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ الحِجْر: ٦١-٦٤، وَكَثِيرٌ مِنْ هَذِهِ النُّصُوصِ الَّتِي تُفْصِحُ عَنِ العَمَلِيَّةِ التَّوَاصِلِيَّةِ بَيْنَ المَلَائِكَةِ وَجِنْسِ البَشَرِ، فَضْلاً عَنِ ذَلِكَ هُنَالِكَ نِصُوصٌ تَوَاصِلِيَّةٌ بَيْنَ اللهِ تَعَالَى وَالمَلَائِكَةِ لِأَجْلِ لَذِكْرِهَا فِيهِ كَثِيرٌ وَتُفْصِحُ عَمَّا نَرِيدُ بَيَانَهُ، ثُمَّ هُنَالِكَ شَيْءٌ وَجَدَ ابْتِدَاءً وَهُوَ تَسْمِيَةُ المَلَائِكَةِ بِأَسْمَائِهِمْ وَلَوْ أَنَّ النِّصَّ القُرْآنِيَّ لَمْ يَفْصِحْ لَنَا عَنِ جَمِيعِ تِلْكَ الأَسْمَاءِ، فَإِنَّ الأَسْمَاءَ هَذِهِ هِيَ مِنَ عِنْدِ اللهِ تَعَالَى وَكُلُّ يَدُلُّ عَلَى مُسَمَّاهُ وَهَذِهِ الأَسْمَاءُ

١. يُنْظَرُ أَبُو البَرَكَاتِ البَغْدَادِيُّ وَفَلَسَفَةُ الإِلَهِيَّةُ: ١١٤.

أطلقت على الملائكة من قبله تعالى، بعد الاستواء على العرش وخلق السماوات والأرض، وأخذ الملائكة يسبحون ويهللون تحت العرش ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ الزمر: ٧٥، فاكسبوا ما اكتسبوا من لغة عبادية من عند الله تعالى في بادئ الأمر.

ثم خلق الله الإنسان فأحسن خلقه ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ البلد: ٩، وقال تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ التغابن: ٣.

إذن ما هي الحكمة من خلق الإنسان؟ الجواب حاضر من عنده تعالى قال ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الذاريات: ٥٦، وقال ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ البقرة: ٢١ ثم تكرر هذا المطلب على جميع الأنبياء والرسل، وإليك جملة من الآيات في هذا المعنى:

قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ النحل: ٣٦

﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا﴾ نوح: ٢-٣

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ الاعراف: ٦٥

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ هود: ٦١

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ النحل: ١٢٠

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ الشعراء: ١٦١-١٦٣

﴿إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ البقرة: ١٣٣

وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْعَنكَبُوتَ: ٣٦
الْآخِرَ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّأَ لِقَوْمِكُمْ بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا يونس: ٨٧

بُيُوتَكُمْ قِبَلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾

أذن هي العبادة لله سبحانه وتعالى التي خلق الإنسان من أجلها، فكيف للإنسان أن يؤدي طقوس هذه العبادة؟ قال الله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ البقرة: ٣٧، في هذا المقام دعا آدم ربه ليغفر له سيئته وطلب التوبة والمغفرة، وهذا الأمر كان عن طريق التوجه بالدعاء والتوسل لله سبحانه وتعالى، أي ثمة عملية لغوية تواصلية بين العبد وخالقه ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ طه: ١٢٢.

إذن العبادة ممارسة عملية عقلية وروحية وجسدية تتجلى من خلالها عظمة الخالق و وحدانيته، وأساس ذلك وعماده الإقرار قولاً بـ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ومن ثم تأتي الأفعال العبادية.

فاللغة مخلوقة قبل خلق الإنسان، لأنها مستعملة عند الله تعالى جدّه وملائكته قبل خلقه للإنسان ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ الرحمن: ٣ والله سبحانه حينما خلق الإنسان خلق له آلة اللغة وهي «اللسان»، كما خلق الجسد آلة للروح، فاللغة وجدت قبل وجوده لأن النص القرآني أعرب عن ذلك من خلال وصف الله للخلق السماوات والأرض وبين لنا طبيعة ذلك من خلال استعماله سبحانه وتعالى لمفردات هذه اللغة، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ الأنبياء: ٣٠، ثم نجد سبحانه استعمال العدد في بيان مدة الخلق ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ السجدة: ٤، وقوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾ الملك: ٣، وهذه الأمور قد حدثت

ابتداءً وقبل كل شيء، ثم استعملت اللُّغَةُ بين الله سبحانه وتعالى وملائكته قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ البقرة: ٣٠، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ الكهف: ١٨، وقول إبليس عليه اللعنة: ﴿أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ الإسراء: ٦١، ثم قال: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنِ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ الإسراء: ٦٢. تلحظ أن اللُّغَةَ مخلوقةٌ ومستعملةٌ قبل خلق الإنسان، فخلق الإنسان وبُثَّتْ في داخله تلك اللُّغَةُ كأثما الروح التي بين جنبيه، قال تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ ص: ٧٢. لأنه بعد ذلك عقل أسماء الأشياء وحدثت الملائكة وأخبرهم بأسماء من جهلوه، ثم كانت له محاوراته مع إبليس في الجنة وعن الملك الذي لا يفنى، فهذه الأشياء نراها دلائل على مخلوقية اللُّغَةَ فريثا خرجت الروح خرجت اللُّغَةُ من الإنسان، إلا أنها ظلت مصاقبةً للروح ووجه الاستدلال في ذلك ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بـ«أنَّ حَالَ كَوْنِ الْجَسَدِ مَحْمُولًا عَلَى النِّعْشِ بَقِيَّ هُنَاكَ شَيْءٌ يَنَادِي وَيَقُولُ: يَا أَهْلِي وَيَا وَلَدِي جَمَعْتُ الْمَالَ مِنْ حِلِّهِ وَغَيْرِ حِلِّهِ» وهذا تصریح بأنَّ في الوقت الذي كان الجسد ميتاً محمولاً على النعش كان ذلك الإنسان حياً باقياً فاهماً ناطقاً^(١).

١. يُنظَر: بحار الأنوار: ٨٠-٥٨ «باب ٤٢- حقيقة النفس والروح وأحوالهما).

الله سبحانه وتعالى صورَ المخلوقاتِ كُلِّها في علمه الأزليِّ بإرادةٍ أزليةٍ قديمةٍ، ثمَّ أخرجها إلى حيزِ الوجودِ بإرادتهِ المتجددةِ والمستمرةِ على الدوامِ، واللُّغةُ من قبيلِ تلكَ المخلوقاتِ المتجددةِ والمتحولةِ، وبوصفِها وسيلةً تفاهمٍ بينَ الناسِ كونها أداةً توصيلٍ ما في النفسِ لما استبانتهِ عن الأشياءِ الموجوداتِ إلى نفسِ المخاطبِ بصوتِ مفهومٍ مؤلفٍ من حروفٍ مقطعاتٍ هي أساسُ المباني والكلماتِ، ومن خلالِ ما تقدمُ ندركُ بأنَّ اللُّغةَ هي موجودٌ واحدٌ قديمٌ، ترشحتُ عنه تلكَ اللغاتُ المختلفةُ بفعلِ الخلقِ المستمرِّ، فضلاً عن كونها آيةً من آياتِ الله تعالى بحيثُ ربطَ بينَ اختلافِ الألسنِ واختلافِ الصورِ، ونحنُ نعلمُ بأنَّ الخلقَ في تناسلهِ يعودُ إلى آدمَ عليه السلامِ، وبالمقابلِ فإنَّ هذهِ الألسنَ هي الأخرى تعودُ إلى أصلٍ هو أتمُّ اللغاتِ وأبينها عبارةً، وأقلها إشكالاً، وأشدُّها اختصاراً، وأكثرها وقوعاً أسماءً مختلفةً على المسمياتِ كُلِّها المختلفةِ من كلِّ ما في العالمِ من جوهرٍ أو عَرَضٍ^(١)، فمسألةُ التحولِ والتشعبِ والتطورِ تتمظهرُ بتنظيمِ جديدٍ للفعلِ الإلهيِّ القديمِ ويكونُ ذلكَ عن طريقِ الملائكةِ، والفعلُ هنا هو التعليمُ والإرشادُ والدعوةُ إلى الابتكارِ معَ الحفاظِ على جوهرِ الأصلِ، وكلُّ ذلكَ لا يخرجُ عن الإرادةِ الإلهيةِ، فتشعبُ اللغاتِ واختلافُ الألسنِ، قد جاءَ في سِفْرِ التكوينِ الأصحاحِ الحادي عشرِ- الآيةِ الأولى قوله: ﴿وكانَ لأهلِ الأرضِ لغةٌ واحدةٌ وكلامٌ واحدٌ﴾ فلما رحلوا من المشرقِ وجدوا بقعةً في سهلِ شنعارٍ، فأقاموا هناكَ ﴿وقالَ بعضهم لبعضٍ﴾ تعالوا نصنعُ لبناً ونشويه شيئاً ﴿فكانَ لهم اللبنُ بدلَ الحجارةِ والترابُ الأحمرُ بدلَ الطينِ﴾ وقالوا ﴿تعالوا نبني مدينةً وبرجاً رأسه في السماءِ، ونقيمُ لنا اسماً فلا نتشتتَ على وجهِ الأرضِ كُلِّها﴾ ونزلَ الربُّ لينظرَ المدينةَ والبرجَ اللذينِ كانَ بنو آدمَ يبنونها ﴿فقالَ الربُّ: ها

١. يُنظرُ الإحكامُ في أصولِ الأحكام: ٣٠.

هم شعبٌ واحدٌ، ولهم جميعاً لغةٌ واحدةٌ! ما هذا الذي عملوه إلاّ بدايةً، ولن يصعبَ عليهم شيءٌ مما ينوون أن يعملوه! *فلننزلْ ونبلبلْ هناك لغتهم، حتى لا يفهمَ بعضهم لغةَ بعضٍ»^(١)، ومضمونُ هذا النصِّ يتسقُ مع قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا﴾ البقرة: ٢١٣، وهذا يعني أن الناسَ وفي هذه الحال كانوا يتواصلون بلغةٍ واحدةٍ، ونعتقدُ بأنّها اللُّغةُ العربيَّةُ كونَ القرآنِ جاءَ بهذه اللُّغةِ الَّتِي تجلَّتْ فيها عظمةُ الخالقِ، ودلَّتْ على ذاتها بذاتها من خلالِ النصوصِ القرآنيَّةِ الَّتِي أوردناها تبياناً لها، فضلاً عن كونها اللُّغةُ العروبيَّةُ الَّتِي ما تزالُ مستعملةً إلى يومنا هذا، لابل ستبقى ما بقيَ الليلُ والنهارُ، وبها وبأصواتها تقالُ كلمةُ الفصلِ ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيَاهِهِمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ (٤٨) أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ (٤٩)﴾ الأعراف/ ٤٨ - ٤٩.

١. سفر التكوين الأصحاح الحادي عشر.

الفصل الثالث

فقه اللغات العربية

في بعض الأحيان تكون المصطلحات المستعملة سبباً في إشكالية الفهم والتحديد، وكيف بنا ونحن نتأرجح بين ثلاثة مصطلحات «اللغات السامية، أو الجزرية أو العروبية» ولعلّ القارئ لا يدرك أيها أقرب إلى الواقع اللغوي؟ لو أخذنا بالمصطلح الأول سيكون لزاماً علينا إبعاد اللغة الحبشية عن أرومة تلك اللغات فضلاً عن اللهجة البونية الفينيقية. أمّا إذا قلنا بالمصطلح الثاني «الجزرية» نسبة إلى جزيرة العرب، فهذا أيضاً تحديداً غير دقيق للغات الجزرية وهذه التسمية لا تنطبق على بعض اللغات التي خرجت عن هذا التحديد لاسيما اللغات التي وجدت في شمال أفريقيا ومنطقة سيناء والحبشة. إلاّ إنّ بعض الباحثين يرى أنّ مصطلح اللغات العروبية أو الجزرية بديلاً صحيحاً لما يُعرف باللغات السامية، ونحن نرى أنّ مصطلح اللغات العروبية وحده هو البديل لتلك المصطلحات، كون اللغات العروبية قد ترشحت عن اللغة الأم وأخذت منها خصائص لغوية أصبحت فيما بعد خصائص لغوية مشتركة، واللغة العربية جمعت جميع تلك الخصائص اللغوية فضلاً عن كونها اللغة الوحيدة التي ما زال يتكلم بها أبناؤها، كأنها هي اللغة الأم، لذلك اصطُح على هذه اللغات هذا المصطلح كونها تنتمي إلى لغة أو أصل لغوي واحد يضارع اللغة العربية.

فالأستاذُ عباسُ محمودُ العقادُ يبحثُ في كتابه^(١) مسائلَ تتعلقُ بالعروبةِ، يرى أنَّ الصحيحَ هو تسميةُ الشعوبِ السَّاميةِ بالعربيَّةِ وتسميةُ لغاتها بالعربيَّةِ القديمةِ. أمَّا الأستاذُ طه باقرُ «في دراسته للدخيلِ في لغةِ العربِ» فيرى مُصطَلَحَ أقوامِ الجزيرةِ أو الأقوامِ العربيَّةِ القديمةِ صحيحاً من النَّاحيةِ التاريخيَّةِ والقوميَّةِ والجغرافيَّةِ، وذهبَ الدكتورُ نجيبُ البهيتيُّ هذا المذهبَ، في كتابه «المعلقةُ العربيَّةُ الأولى»^(٢) ملحمةُ كلِّكاش، إذ يذكرُ أنَّ الشعوبَ التي هاجرتُ من الجزيرةِ صدرتُ عن اليمنِ، لأنَّ اليمنَ أصلُ المعدنِ، إذ يصفُهم بالعربِ البائدةِ العاربةِ، أمَّا ما دخلَ عليهم بعدَ ذلكَ من إسماعيلَ وأبنائه فهمُ من العربِ المستعربةِ، فإسماعيلُ «الآكاديُّ» الذي نشأ في الحجازِ بين قبيلةِ جُرهمِ العربيَّةِ القديمةِ، تعلَّمِ العربيَّةَ القديمةَ ممزجةً بآثارِ من الآكاديَّةِ والمصريَّةِ التي كانتَ لغةَ أمِّه، فكانَ من جماعِ ذلكَ كلُّه نشأةُ اللهجةِ العربيَّةِ العدنانيةِ التي صارتُ بين يديِّ أبنائه لينةً فحملتُ عواطفهم وعقولهم. ويذهبُ البهيتيُّ إلى أنَّ السُّومريينَ هم الموجاتُ اليمنيَّةُ الأولى التي انثالتُ على العراقِ بعدَ الطوفانِ، واستناداً إلى تلكَ المُعطياتِ يرى أنَّ ملحمةَ كلِّكاشِ عربيَّةٌ ملءُ الفمِ والشدقِ^(٣).

ويرى الأستاذُ محمدُ خليفةُ التونسيُّ في كتابه^(٤) أنَّ مُصطَلَحَ «العروبيَّةِ» أقربُ إلى الواقعِ اللغويِّ كونَ تلكَ اللغاتِ شقيقاتٍ للغةِ العربيَّةِ، وإلى ذلكَ ذهبَ الدكتورُ علي فهمي خشيم ويراها «أعني مُصطَلَحَ العروبيَّةِ» بديلاً صالحاً لمُصطَلَحِ اللغاتِ السَّاميةِ.

والحقُّ أنَّ مُصطَلَحَ العروبيَّةِ مُصطَلَحٌ موافقٌ في صحَّةِ دلالتِهِ اللغويَّةِ والتَّاريخيَّةِ، فالعروبةُ هي التي تربطُ بينَ جميعِ الشعوبِ المهاجرةِ من الجزيرةِ لأنَّها جزيرةُ العربِ،

١. أبو الأنبياء: ١٤٨-١٦٤.

٢. المعلقة العربية الأولى: ١-٥٨-٦٢.

٣. يُنظرُ: رأي الدكتور نجيب البهيتي في المعلقة العربية الأولى: ١-٦٠، ٥٨.

٤. أسرة اللغة العروبية السامية: ١٦٩.

ولأنَّ العروبةَ صفةٌ لتلك الخصائص اللغوية المشتركة بين لغات المهاجرين من أقوام الجزيرة والمقيمين فيها على حدٍّ سواءٍ، وليس أدلَّ من ذلك من أنَّ لغة القرآن العربية الفصحى هي أقرب اللغات إلى الأصل الذي دُعي باللغة السَّاميةِ الأمِّ، والسَّاميةُ مجردُ تسمية افتراضية. ولكي يستقرَّ مُصطَلحُ العروبية في ذهن الباحثين ويستقرَّ في الدراسات اللغوية الأكاديمية لا بدَّ من الشروع والانتشار، وهذا ما نسعى إليه.

حقيقة وطبيعة هذه اللغات

يرى الدكتور سامي سعيد الأحمد أنَّ مُصطَلحَ السَّاميةِ الذي أصبح شائعاً في حقل الدراسات اللغوية الحديثة يطلق على مجموعة من اللغات المتقاربة نسبةً إلى سام أحد أولاد نوح (عليه السلام)، إذ أُطلق هذا الاسم على العرب والكنعانيين والآراميين والفينيقيين والعبريين والبابليين والآشوريين، وهذه التسمية «لا تستند على أساس رصين من الواقع التاريخي ولا تدعمها المصادر المعتمدة والأدلة المستندة على التمحيص الموضوعي والدقة العلمية»^(١)

و أول من أطلق تلك التسمية الباحث: شلوتسر على تلك الشعوب مستنداً إلى العهد القديم، عندما كان يبحث عن تسمية مشتركة للعبريين والعرب والأحباش الذين ظهر في لغاتهم تشابهٌ وصلاتٌ قرابة، وقد استند في هذه التسمية إلى نصِّ توراتي يتحدث عن أنسابِ نوح بعد الطوفان^(٢). «وكان بنو نوح الذين خرجوا من السفينة ساماً وحاماً ويافثاً، وحام هو أبو كنعان، هؤلاء الثلاثة هم بنو نوح ومنهم

١. المدخل إلى دراسة تاريخ اللغات الجزرية: ٣.

٢. يُنظر: علم اللغة العربية: ١٣٢.

انتشر كل سكان الأرض»^(١).

فالساميون هم أبناء سام بحسب ما ورد في النص التوراتي الذي أتى على ذكر شعوبهم وفق ما أراده اليهود، إذ أبعاد اليهود الشعب الكنعاني عن دائرة الشعوب السامية - إن صحّت هذه التسمية - وأدخلوا بالمقابل شعبي آخرين هما عيلام ولود في جدول بني سام على الرغم من أنه ليست هنالك صلة قرابة بين هذين الشعبين من جهة، كما أنه ليست بينهما وبين الشعوب السامية أية قرابة من جهة أخرى^(٢)، وهذا ما قال به كثير من باحثينا العرب، إلا أننا راجعنا تاريخ الشعوب في سفر التكوين الفصل العاشر الصفحة التاسعة فوجدنا الآتي: «٢١ وولد لسام أيضاً بنون، وهو أبو جميع بني عابر، وأخو يافث الأكبر ٢٢، وبنو سام: عيلام وآشور، وأرفكثاد، ولود، وآرام»^(٣).

مهما يكن من شيء حول طبيعة هذا التقسيم للشعوب التي صدرت عن أنساب نوح (عليه السلام)، فإنها من أصل لغوي واحد، وهذا ما يعيننا في هذا المقام، ودليل ذلك هو إفادة الأوربيين من البحث في اللغة العربية في القرن السادس عشر، بهدف قراءة العهد القديم في نصه العبري، لذلك استعين باللغة العربية لفهم بعض الجوانب الغامضة في النص العبري للعهد القديم^(٤)، وهذا ما يجعل الباحث يذهب إلى أن اللغة العربية هي أقرب اللغات العروبية إلى اللغة الأم إن لم تكن هي عينها تلك اللغة التي خلقت قبل خلق الإنسان وهي لغة أهل الجنة.

أما طبيعة تنظيم تلك اللغات وجمعها فلم تكن في بادئ الأمر تتركن إلى تنظيم منهجي واضح، لكن القائمين على هذه اللغات قد توسّلوا أخيراً بالمنهج العلمي

١. سفر التكوين: الفصل التاسع: ٧.

٢. فقه اللغات السامية: ١١.

٣. سفر التكوين: الفصل العاشر.

٤. يُنظر: علم اللغة العربية: ١٣٢.

الذي أُعْتَمِدَ في تصنيفِ اللغاتِ الهندوأوربية، وكانَ لهذا المنهجِ أثرُه في أبحاثهم التاريخية والأثرية، وحصيلةُ هذا الجهدِ العلميِّ الكشفُ عن الآلافِ من النقوش تنوعتْ بين أكادية وفينيقية وعربية بائدة، ومن نتائجِ هذه الأبحاثِ أنَّها أثبتتْ أنَّ هذه اللغاتِ تتشابهُ في ما بينها من حيثِ المادةِ اللغوية، فضلاً عن أنَّ اللغاتِ الحديثةَ منها التي ترشحتْ عن ذلكِ الأصلِ القديمِ ما زالتْ تحتفظُ بجملةٍ من الخصائصِ اللغويةِ المشتركةِ.

موطنُ العربيين «الجزيرين» - الساميين

وقع الدارسون في اختلافٍ كبيرٍ حولَ تحديدِ الأصلِ الذي بدأتِ الموجاتُ السَّامِيَّةُ تخرجُ منه تبعاً، قيلَ إنَّ موطنهم منطقةُ أرمينيةَ وهذا له صلةٌ بقصةِ الطوفانِ، وقيلَ شمالُ أفريقيا وخرجوا إلى آسيا عن طريقِ السويسِ، وقيلَ بلادُ الحبشةِ ومنها انتشروا عن طريقِ بابِ المندبِ، وقيلَ العراقُ وهذا مذهبُ جويدي، وقيلَ بلادُ الشامِ حيثُ موطنُ الكنعانيين، وقيلَ بلادُ الحجازِ ونجدِ واليمنِ وهو مذهبُ رينان و بروكلمان وغيرهما^(١) لأنَّ ثمةَ أسباباً تؤيدُ هذا المذهبَ منها:

إنَّ هذا الموطنَ هو المكانُ الَّذي بدأتْ منه الهجراتُ السَّامِيَّةُ الأولى كالبابليين والأشوريين وإنَّ أولَ من هاجر إلى الحبشةِ من اليمنِ فضلاً عن اشتراكِ الشعوبِ السَّامِيَّةِ بصفاتٍ لغويةٍ واحدةٍ ترجعُ جميعاً إلى المحسوساتِ الماديةِ التي لا تنشأُ إلاَّ في مواطنَ صحراويةٍ قليلةٍ الظواهرِ الطبيعيةِ فقيرةِ المناخِ وهذا ما يتمثلُ بالجزيرةِ العربيةِ كونها الموطنَ الأصليَّ لتلكِ الشعوبِ^(٢).

١. يُنظَرُ: المفضل في تاريخ العرب قبل الإسلام: ١/٢٢٩-٢٤٤.

٢. يُنظَرُ: المدخل إلى دراسة اللغات السامية: ٤ وما بعدها.

لقد ثبت تاريخياً أنّ هذه المواطن كانت كثيفة السكان والخيرات خصبة الأرض لكنها أصيبت بتغيرات مناخية وجيولوجية أدت إلى تركيها والنزوح عنها إلى منطقة بلاد الرافدين أو ما يُعرف بالجزيرة الفراتية، إذ وُجد كثيرٌ من المستوطنات التي تعود إلى العصر الأكدّي، وهذا ما يتّسق وتاريخ نزوح أول جماعة عروبية من مكانها الذي كانت فيه^(١).

وتتكون هذه البيئة الجغرافية من بيئات صغيرة ذات موارد مياهاً محدودة يسهل التحكم فيها، وقيل لصغر تلك المستوطنات من حيث المساحة جعلها عرضةً لأن تضيق بسكانها بعد مدةٍ من الزمن ما يستوجب خروج جماعاتٍ منها على شكل هجراتٍ بشريةٍ قصدت مناطق السهول من أرض العراق وسوريا وفلسطين^(٢).

والملاحظ أنّ هذه الشعوب تمتلك قدرًا من الحضارة والرقّي وهذا الأمر قد تمثل بما عُثر عليه من نقوشٍ ومسكوكاتٍ وحليٍّ، فضلاً عن كون عائلتها اللغوية تنتمي إلى أصل لغوي^(٣)، إذ تشترك اللغات «العروبية» السامية بخصائص وصفات تدل على وحدة المنشأ والتناسل ولكن أي واحدةٍ منهن لا تدل على أنّها الأصل لجميع اللغات السامية.

وحاول الباحثون المستشرقون الوصول إلى معرفة أقدم لغةٍ ساميةٍ فكانت ثمة

١. يُنظر: المصدر نفسه: ٧.

٢. المصدر نفسه: ٩.

٣. روي عن النبي ص أنّه قال: «خمسة أنبياء من العرب وهم: محمد وإسماعيل وشعيب وصالح وهود»، في رواية عن العرب القدماء: أنّهم عرفوا بالعرب لأنّ لسانهم عربي، هذه الرواية تدل على أنّ اللسان العربي قديم، وهؤلاء الأنبياء عرب وكانوا يسكنون بلاد العرب. ونلاحظ أنّ سلسلة الرجال بين سام و هود: قيل إنّ هود (عليه السلام). هو ابن شالح بن أرفخشذ بن سام. وعن ابن عباس: أنّ هوداً أول من نطق بالعربية، **مساكن قوم هود**، كانت مساكن عاد أرض الأحقاف أي في شمال الربع الخالي، وهذا ما يتسق مع ما ذهب إليه بعض الباحثين في تحديد البيئة الجغرافية التي انطلقت منها الجماعات السامية فضلاً عن التماثل اللغوي الذي يرجع إلى أصل لغوي هو أقرب إلى اللسان العربي.

خلافاتٍ يرجع بعضها إلى عواملٍ عصبيةٍ و أخرى إلى عواملٍ علميةٍ صرفةٍ، فاليهودُ يعدّون العبريةَ أقدمَ لغةٍ ساميةٍ، وهذا الأمرُ قد أشرنا إليه في سببِ تسمية تلك اللغاتِ باللغاتِ السّاميةِ، ويعتقدُ آخرونَ أنّ الأكديةَ هي الأقدمُ وهذا مرتبطٌ بالتسلسل والتوزيع الجغرافي لهجراتِ تلك الشُّعوبِ، على حين تنقصُ الدّاهيينَ هذا المذهبَ دلائلٌ كثيرةٌ أهمُّها:

قلّةُ ما وردَ من نصوصٍ آشوريةٍ أو بابليةٍ واختلاطُ الكثيرِ منها بكلماتٍ سومريةٍ يتعدّدُ معرفةَ قديمها، كونَ بعضهم يرى أنّ اللغةَ السومريةَ هي اللغةُ الأقدمُ والأبعدُ زمنًا عن الأكديةِ، كونَ الأخيرةِ قد حوتْ جملةً من الكلماتِ السومريةِ في معجمها اللغويّ.

وقد حاولَ آخرونَ أن يجمعوا الأمورَ المشتركةَ بين اللغاتِ السّاميةِ في البنية والتنظيم والأصواتِ ليتخذوا منها صورةً للغةٍ السّاميةِ الأولى، غيرَ أنّهم قد فاتهم أنّ هذه اللغاتِ جميعاً قد مرتْ بمراحلٍ من التطوّرِ فتركتْ أشياءً واستحدثتْ أشياءً وتفاعلتْ مع غيرها من اللغاتِ المجاورةِ فأخذتْ وأعطتْ جرّياً مع القوانينِ الطّبيعيةِ للغةِ الإنسانيّةِ.

التوزيع الجغرافي اللغات العروبية «السامية»

أولاً: اللغات الشرقية

ومن لغاتها: الأكديّة

تُسببُ إلى مدينة أكاد التي بناها سرجون الأكدي في الجزء الشمالي من أرض بابل وهي أولى الدول التي أنشأها الساميون في أرض الرافدين، ولا بد لنا أن نعتقد بأن وجودهم في جنوب العراق كان سابقاً لوجود السومريين^(١)، إلا أن الأستاذ محمود فهمي حجازي ينقل لنا أن الأكديين قد اختاروا هذه التسمية لهم وأطلقوها على لغتهم تمييزاً لها عن اللغة السائدة في جنوب أرض الرافدين وهي اللغة السومرية^(٢). وهذا يعني أن اللغة السومرية أقدم وجوداً من الأكديّة.

ومن خلال ما قام به العالم الإنكليزي «رولنسون» في منتصف القرن التاسع عشر من الكشف عن كثير من النقوش وحل رموزها بدت لنا خصائص هذه اللغة^(٣)، إذ اعتمد الأكديون الكتابة المسماة واستعملوها نطقياً باستعمال علامة واحدة وهذا ما يعني أن ثمة ازدواجاً لغوياً بين الشعب الأكدي والسومري استمر أكثر من ستة قرون (٢٥٠٠-١٩٠٠ ق.م) أدى في النهاية إلى سيادة اللغة الأكديّة في تلك البيئة الجغرافية^(٤).

١. يُنظر: المدخل إلى دراسة تاريخ اللغات الجزرية: ١٣.

٢. يُنظر: علم اللغة العربية: ١٥١.

٣. يُنظر: فصول في فقه اللغة العربية: ٢٧.

٤. يُنظر: علم اللغة العربية: ١٥٣.

خصائص اللغة الأكديّة:

اعتمادها الكتابة المسماة التي تقوم أساساً على المقطع الصوّتيّ، أي أنّ الكلمة تقسم على مقاطعها التي كونتها، ولكلّ مقطع رمزٌ كتابيٌّ يُعرفُ به، وهي بذلك تختلف عن الكتابة الهيروغليفيّة التي ظهرت في الوقت نفسه في مصر لأنّ الأخيرة لا تدون الصّوت المنطوق بل الكتابة فيها كتابةً صوريّةً.

وجود حرفيّ الحلق «الهزمة، والحاء» وسقوط أو اختفاء «العين، والغين، والحاء، والهاء».

بعل	be:l	العين	يُنطقُ بمدّ الحركة
قمح	qe:m	الحاء	يُنطقُ بمدّ الحركة
نهر	na:r	الهاء	يُنطقُ بمدّ الحركة

ويمكنُ أن نلمسَ هذا الأمرَ في الكلمة السومرية التي كانت تُنطقُ خاليةً من صوت الحلق، وظلت على حالها في الأكديّة «ekallum» هيكل «بمعنى البيت الكبير أو القصر أو المعبد» ثمّ انتقلت إلى اللغّة العبريّة والعربيّة بمعناها الأخير مع نُطق صوت الحلق^(١).

وجودُ شا الشرطيّة، والشرط لا يشابهُ بالوظيفة ما نراه في اللغات الجزرية بل هو نوعٌ من النهايات الظرفيّة للفعل المحدد الزمن^(٢).

اختزال الحروف الصحيحة مما جعل حروفها قليلةً، مثلاً: اختزال «ث، ش، س» في «ش» واختزال «ز، ذ» في «ز» واختزال «ص، ض» في «ص»^(٣).

١. يُنظر: المصدر نفسه: ١٥٦.

٢. يُنظر: المدخل إلى دراسة تاريخ اللغات الجزرية: ١٦.

٣. يُنظر: المدخل إلى دراسة تاريخ اللغات الجزرية: ١٦.

وجود كلمات مكونة من حرفين صامتين مثل: لقلقو «لقلق» و ثلاثة أحرف وهي الغالبة في هذه اللغة، أو من أربعة أحرف نحو: بورشؤو «برغوث» و خندشانو «عريس»^(١).

يُعرَّبُ الاسم في اللغة الأكدية، فقد ظهرَ ومن خلال النقوشِ على ثلاثة أشكال، إذ يطابق في أحد هذه الأشكال حالة الرفع في العربيَّة، وفي الثانية حالة النصب، وفي الثالثة حالة الخفض، واستعملت التميم مقابلاً للتنوين في العربيَّة.

<i>Kalbu</i>	في حالة الرفع	<i>kalbum</i>	في حالة الرفع والتنوين
<i>Kalba</i>	في حالة النصب	<i>kalbam</i>	في حالة النصب والتنوين
<i>Kalbi</i>	في حالة الجرِّ	<i>kalbim</i>	في حالة الجرِّ والتنوين ^(٢)

وجود ضمائر منفصلة ومتصلة في اللغة الأكدية:

فمن ضمائر الرفع المنفصلة: «أناكو: أنا» «أتتا: أنت» «أتتي: أنت للمؤنث» «أتتونو: أنتم» «شوو: هم» «شي: هي» «شونو: هم» «شينا: هن»^(٣).

ومن الضمائر المتصلة: النون في بداية الفعل للدلالة على المتكلم الجمع، والتاء في البداية للمفرد المخاطب، والياء في النهاية للمفرد المتكلم نحو: يلي «ربي»، وكا وكي للمتكلم المفرد المذكر والمؤنث «بيتكا) بيتك»^(٤).

يكون الجمع في اللغة الأكدية بتطويل حرف العلة بعد إسقاط التميم:

Kalbum *kalbuu*

وأحياناً يكون الجمع بإضافة «anu» في حالة الرفع و«ane» في حالة النصب

١. يُنظر: المدخل إلى دراسة تاريخ اللغات الجزرية: ١٦.

٢. يُنظر: المصدر نفسه: ١٥٤، و المدخل إلى دراسة تاريخ اللغات الجزرية: ١٦.

٣. يُنظر: المدخل إلى دراسة تاريخ اللغات الجزرية: ١٦.

٤. يُنظر: المصدر نفسه: ١٦.

والجرّ.

رب Eil eilanu
ملك^(١) Sharru sharranu

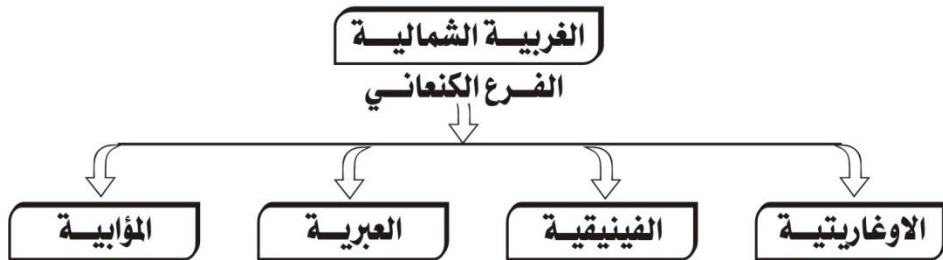
فضلاً عن وجود التثنية في اللغة الأكدية القديمة.
Shiuerin aneam هذين الخاتمين^(٢).

وخلاصة القول في هذه اللغة أنّها من أهم اللغات العروبية لغةً وحضارةً فضلاً عن كونها أقدم لغةٍ مدونةٍ، وشابهت اللغة العبرية في كثيرٍ من خصائصها اللغوية.

وباتت هذه اللغة تحتضرُ بنهاية الدولة الآشورية في القرن السابع قبل الميلاد أي أنّها عاشت أكثر من خمسة وعشرين قرناً، وفي هذه الحال أخذت اللغة الآرامية بالانتشار كلغة استعمال، وهذا لا يعني أنّ اللغة الأكدية لم تندمج أو تؤثر باللغة الآرامية بل على العكس من ذلك إذ بدأ ذلك الاندماج واضحاً من خلال حركة التغير البطيء الذي ظل قائماً لقرونٍ عدة بين الأكدية والآرامية.

ثانياً اللغات الغربية

ومن لغاتها



١. يُنظرُ: المصدر نفسه: ١٦.

٢. يُنظرُ: المصدر نفسه: ١٦.

الكنعانية

تمثلت هذه اللغة بالكنعانيين السكان الأوائل لمنطقة الهلال الخصيب منطقة بلاد الشام وساحل البحر المتوسط (شمال أفريقيا) وهذا يعني أن مجموع هذه اللهجات غادرت بيئاتها اللغوية إلى بيئات أخرى بل خرج بعض منها عن هذا التحديد الجغرافي لاسيما اللغة الآرامية والفينيقية التي وصلت إلى بعض جزر البحر المتوسط^(١).

وباعتماد التوزيع الجغرافي اللغوي يمكن لنا أن نقسم اللغات أو اللهجات الكنعانية على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: يُعرف بالكنعانية الشمالية ويتمثل باللغة الأوغاريتية، أما القسم الثاني فيعرف بالكنعانية المتوسطة ويتمثل هذا القسم باللغة الفينيقية، أما القسم الثالث فيعرف بالكنعانية الجنوبية ويتمثل بالعبرية والمؤابية.

القسم الأول

الأوغاريتية: عُرِفَتْ بهذه التسمية نسبةً إلى منطقة «أوغاريت» شمال مدينة اللاذقية السورية، وقد عُثِرَ على بقايا لهذه اللغة في منطقة «رأس شمرا» سنة ١٩٢٨م، وهي عبارة عن مجموعة نقوش مدونة على ألواح من الطين، كُتِبَتْ بخط مسماري يسير على النظام الأبجدي خلافاً للغة الأكديّة التي اعتمدت النظام المقطعي في طريقة الكتابة^(٢)، علماً إن الأكديين استعملوا مئات الرموز، ولكن الأوغاريتيين كتبوا برموز قليلة لا

١. يُنظر: الأساس في فقه اللغة: ١١٦.

٢. يُنظر: مدخل إلى فقه اللغة العربية: ٥٩، والأساس في فقه اللغة: ١١٦.

يتجاوزُ عددُها الثلاثينَ، وهذا يعني أنَّ الأوغاريتين بسّطوا نظامَ الكتابةِ، فلم تُعدَّ هناك حاجةٌ لتعلمِ مئاتِ الرموزِ^(١).

أهمُّ خصائصها:

١. كتابتها بالخطِّ المسمايِّ الذي يسيرُ على النظامِ الأبجديِّ خلافاً للأكدية التي تسيرُ على النظامِ المقطعيِّ.
٢. تقومُ كتابتهم على الحروفِ الساكنةِ، وتركوا كتابةَ الحركاتِ مثلَ اللغةِ الفينيقيةِ.
٣. خلتْ كتابتها من حرفِ الفاءِ التي استُعِيضَ عنها بالباءِ.
٤. تركوا علاماتِ الإعرابِ.
٥. وجودُ أصواتِ الإطباقِ كاملةً أمَّا أصواتُ الحلقِ فقد سقطَ منها صوتُ: الحاءِ، المهمزةِ.
٦. تقترُبُ من العربيةِ في:

- ميّزتُ بين صوتي الحاءِ والحاءِ.
- ميّزتُ بين العينِ والغينِ، لكنَّ العربيةَ جعلتُ منهما صوتاً واحداً وهو «العين».
- انتظمتُ عندهم حروفُ الهجاءِ على النحوِ الآتي:
أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت^(٢).

فالنقوشُ الأوغاريتيةُ من الناحيةِ الزمنيةِ تلي اللغةَ الأكديّةَ، لذلكَ تحملُ سماتِ لغويةً قديمةً تختلفُ عن بعضِ اللغاتِ العروبيةِ، وتقترُبُ من اللغةِ العربيةِ كونَ الأخيرةِ احتفظتُ بصفةٍ عامةٍ بالأصواتِ العروبيةِ.

١. يُنظرُ: علم اللغة العربية: ١٥٩.

٢. يُنظرُ: المدخلُ إلى دراسة اللغاتِ الجزرية: ٢٣، وعلم اللغة العربية: ١٦٠.

الفينيقية: انتشرت في كثير من البلاد الواقعة على سواحل البحر المتوسط، كسوريا وفلسطين وبعض الجزر، وقيل إن موطنها «صورٌ وصيدا وجبيلٌ وقبرص»^(١) وقد عُثِرَ على نقوش كثيرة في قبرص وعلى ساحل البحر المتوسط، وكان يُطلَقُ على اللغة الفينيقية في المغرب العربي اسمُ اللغة البونية التي قُسمت على قسمين البونية القديمة التي انتشرت في الساحل التونسي حوالي القرن التاسع قبل الميلاد وانتهت بسقوط الدولة على يد الرومان، الذين نازعوا الفينيقيين على سيادة البحر المتوسط، وبعد سقوط قرطاجنة، تبدأ المرحلة الثانية في حياة اللغة البونية الحديثة التي تأثرت باللغة اللاتينية، إذ أدى هذا التأثير إلى ضعف النطق بأصوات الحلق فضلاً إلى عدم تمييزهم في الكتابة بين العين والهمزة وبين الحاء والهاء، والخلط بين الألف والهاء. وفي مرحلة متأخرة استعملت أصوات الحلق وسيلةً لكتابة الحركات القصيرة^(٢).

ومن خصائص اللغة الفينيقية عامة:

١. شابهت العبرية في طبيعة الأصوات الساكنة التي تتكون منها الكلمات، وهي أطول عمراً من اللغة العبرية.
٢. لم يستعملوا حروف العلة لذلك لم يستعملوا علامات الإعراب.
٣. احتفظ الفينيقيون بفكرة النظام الأبجدي الذي أوجده الأوغاريتيون^(٣).

١. يُنظَرُ: الأساس في فقه اللغة: ١٢٠.

٢. يُنظَرُ: علم اللغة: ١٦٣.

٣. يُنظَرُ: المدخل إلى دراسة تاريخ اللغات الجزرية: ٢٢-٢٤، وعلم اللغة العربية: ١٦١-١٦٣. ومدخل إلى

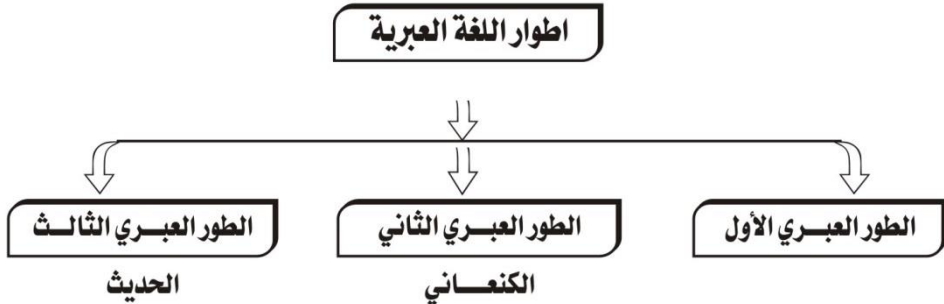
القسم الثالث

أولاً: العبرية

وهي من أهم اللغات العروبية، وأوسعها وأكثرها إنتاجاً في فنون القول والأدب والتاريخ، ويمكن تحديد بدايات هذه اللغة مع بدايات القرن الثاني عشر قبل الميلاد، عندما دخلت قبيلة إسرائيل أرض فلسطين، ويكاد العهد القديم يكون المصدر الوحيد للتعرف على تاريخ اللغة العبرية^(١). ومن أقدم المصادر عن اللغة العبرية نقش السلون الذي عُثر عليه في بيت المقدس^(٢).

ويقال إن العبرية عُرِفَتْ بهذا الاسم نسبةً إلى «عبرا» أو «عابرا» الذي يعدُّه اليهود أباً لهم، ويرى ولفنسون أن كلمة «عبري» مثل كلمة «بدوي» وترتبط بكلمة «عربي» ارتباطاً لغوياً، لأنَّهما مشتقتان من أصل واحد وتدلَّان على معنى واحد^(٣).

ويمكن تقسيم اللغة العبرية على ثلاثة أطوار:



فقه اللغة العربية: ٦١.

١. يُنظَرُ: علم اللغة: ١٦٥.

٢. يُنظَرُ: مدخل إلى فقه اللغة: ٦٠.

٣. يُنظَرُ: تاريخ اللغات السامية: ٧٨.

الطورُ العبريُّ الأولُ:

كَانَتْ اللُّغَةُ العِبرِيَّةُ الَّتِي تَكَلَّمُ بِهَا العِبرَانِيُونَ الأَوَائِلُ الَّذِينَ سَكَنُوا مِصْرَ قَبْلَ هِجْرَتِهِمْ إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ، وَكَانَ العِبرَانِيُونَ عَلَى صِلَةٍ بِالكَنْعَانِيِّينَ الشَّرْقِيِّينَ لَا سِيَّمَا بَعْدَ ظُهُورِ الجَمَاعَاتِ العَمُورِيَّةِ فِي فِلَسْطِينَ، وَكَانَتْ هَذِهِ اللُّغَةُ لَا تَحْتَوِي عَلَى نِهَائِيَّاتٍ إِعْرَابِيَّةٍ فِي الأَسْمَاءِ العِبرِيَّةِ.

الطورُ العبريُّ الثَّانِي «الكَنْعَانِيُّ»

الَّذِي تَمَثَّلَ فِي لُغَةِ العَهْدِ القَدِيمِ، وَهُوَ الكِتَابُ المَقْدَسُ عِنْدَ اليَهُودِ، إِذْ دُوِّنَ العَهْدُ القَدِيمُ بِالخَطِّ العِبرِيِّ غَيْرِ المَضْبُوطِ بِالشَّكْلِ، أَيَّ أَنَّهُ اعْتَمَدَ الصَّوَامَتَ فِي التَّدْوِينِ وَأَهْمَلَ الحَرَكَاتِ، وَفِي هَذِهِ الحَقْبَةِ التَّارِيخِيَّةِ مِنْ عَمْرِ اللُّغَةِ العِبرِيَّةِ كَانَ العَهْدُ القَدِيمُ يُتَلَى بَعْدَ أَنْ يُحْفَظَ، فَلَمْ تَكُنْ هُنَالِكَ نِصُوصٌ مَدُونَةٌ تَذَكَّرُ القَارِئُ بِالنُّطْقِ، ثُمَّ أَخَذُوا يَسْتَعْمِلُونَ بَعْضَ الحُرُوفِ كَعَلَامَاتٍ لِلحَرَكَاتِ تَسَاعِدُهُمْ عَلَى ضَبْطِ النُّطْقِ وَحِفْظِ الكَلِمَاتِ مِنَ التَّحْرِيفِ، وَكَانَتْ «الأَلْفُ وَالهاءُ وَالواوُ» تَقُومُ بِهَذِهِ الوَظِيفَةِ^(١).

وَفِي هَذِهِ المَرِحَلَةِ تَأَثَّرُوا بِالقَلَمِ الأَرَامِيِّ، إِذْ نَشَأَ عِنْدَهُمْ نَوْعٌ جَدِيدٌ مِنَ الرِّسْمِ عُرِفَ بِ«الرِّسْمِ العِبرِيِّ الحَدِيثِ» أَوْ «المَرَبَّعِ»: الَّذِي اسْتَعْمَلَ أَوَّلًا فِي الشُّؤْنِ الدِّينِيَّةِ، حَتَّى نِهَائِيَّةِ القَرْنِ الثَّانِي ق.م. وَفِي القَرْنِ السَّادِسِ المِيلَادِيِّ اسْتَعْمَلُوا حُرُوفَ العِلَّةِ كَعَلَامَاتٍ

١. يُنظَرُ: المدخل إلى تاريخ اللغات الجزرية: ٦٥.

للحركات، وفي بداية القرن الثامن الميلاديّ اخترعوا
أبعاض الحروف كنظام للحركات يضارع ما موجود في
لغة العرب، واتخذ ثلاث طرق:

١. طريقة طبرية: وترمز إلى أصوات المد القصيرة
تحت الحروف.

٢. الطريقة البابلية أو العراقية ترمز إلى أصوات
المد فوق الحروف.

٣. الطريقة الفلسطينية شابهت الطريقة العراقية
لكنها تختلف في الصورة والدلالة.

فهي مادة جديدة أُعيد بناؤها بصورة جبرية لتكون
لغة مجاميع بشرية هي ليست لغتهم ويرفض علم اللغة
الحديث أن تكون هذه وسيلة التفاهم الطبيعية لهذه
الجماعات المتنافرة، فمن الناحية الصوتية تأثرت العبرية
الحديثة باللغات الأوربية مثلاً إن الصاد باتت تُنطق z
إلى جانب كون العبرية الحديثة مليئة بالكلمات والألفاظ
والتراكيب والتعابير الأوربية^(١).

الطور العبري الثالث « الحديث »

ثانياً: المؤابية: وهي لهجة المؤابين نسبة إلى بلاد
«مؤاب» في الجنوب الشرقي من البحر الميت، ويعود
أصل المؤابين إلى نبي الله لوط (ع)، وأهم ما وصل إلينا
من بقايا هذه اللغة نقش الملك المؤابي «ميشع» الذي
سجل فيه حروبه وغزواته لملك بني إسرائيل، ويرجع
تاريخه إلى حوالي «٨٥٠» ق.م. ولا تختلف لغة هذا

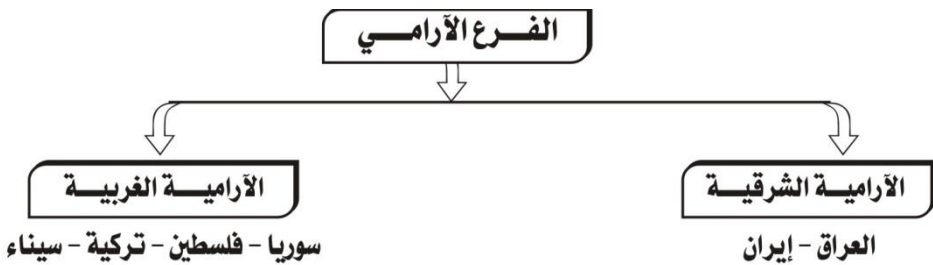
١. يُنظر: علم اللغة العربية (حجازي): ١٧١، والمدخل إلى تاريخ اللغات الجزرية: ٦٩.

النقش أو أسلوبه كثيراً عن لغة العهد القديم وأسلوبه،
ومن المؤكّد أنّ اللغة في فهم المؤابيين تختلف عنها في
فهم اليهود من الناحية الصوتية، لأنّ النقوش تهمل
الحركات أو بعض الأصوات وحتى نبر الصوت^(١).

الفرع الآرامي

وهو الفرع الثاني من اللغات الغربية الشمالية، ويضمُّ هذا الفرع مجموعة من
اللهجات المتقاربة في بنيتها اللغوية، وقد اتسع المجال الجغرافي لهذا الفرع حتى شمل
كلّ بلاد الشام وفلسطين، فضلاً عن بلاد وادي الرافدين وغرب جبال أرمينا
وكردستان، وقد سُمّيت هذه البيئة ومنطقة مدائن الملوك الساسانيين «بلد
الآراميين» أو «بلد السريان»^(٢).

والآرامية، وهي لغة من تنقل في أطراف الجزيرة العربية بالقرب من الخليج
العربي فضلاً عن مناطق جنوب سورية، وتقسّم على قسمين: شرقية وغربية.

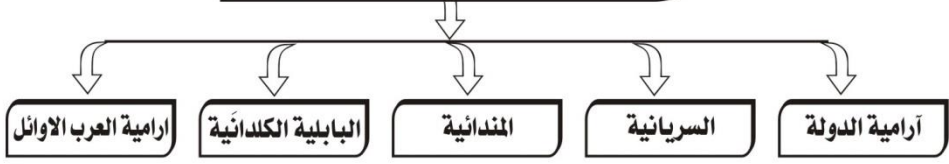


أما الشرقية فشملت آرامية العراق وإيران:

١. يُنظر: الأساس في فقه اللغة (هادي نهر): ١١٩.

٢. يُنظر: الأساس في فقه اللغة العربية: ١٢٠.

اللهجات الشرقية لأرامية العراق وايران



ومن أهم لهجاتها^(١):

١. آرامية الدولة: وهي اللغة المستعملة في الكتابات قبيل القرن السابع إلى الخامس قبل الميلاد، وسميت بهذه التسمية لأن الدولة الأخمينية قد اعترفت رسمياً باللغة الآرامية كلغة رسمية للدولة.
 ٢. السريانية وقيل هي الأثرية إذ أطلقت هذه التسمية على جماعة من السريان النساطرة الذين يسكنون أورمية إيران فضلاً عن مناطق شمال العراق وتركيا، وكانوا يتكلمون اللهجة الآرامية العامة. وبعد انقسام الكنيسة السريانية انقسمت اللغة السريانية على قسمين:
 ١. السريان الغربيين الذين خضعوا للإمبراطورية اليونانية الذين اعتنقوا مذهب «يعقوب بارادوس» القائل بوحدانية المسيح، وقد عرفوا «باليعاقبة».
 ٢. السريان الشرقيين الذين خضعوا لسلطة الإمبراطورية الإيرانية الذي اعتنقوا مذهب «نستوريوس» القائل بازدواج طبيعة المسيح «الطبيعة الإلهية والطبيعة الإنسانية» وعرفوا بالنساطرة.
- ومن خصائصها: استبدال صوت «ح» بـ «خ» والـ «هـ» بـ «ء»، وفقدان فعلي الماضي والمضارع والاستعاضة عنهما باسمي الفاعل والمفعول.
٣. المندائية: وهي لهجة آرامية شرقية ارتبطت بجماعة دينية عُرفت

١. يُنظر: تاريخ اللغات السامية: ١١٥، والأساس في فقه اللغة: ١٢١.

باسمِ الصابئة، وللمندائيين كتابٌ مقدسٌ يعرفُ «جنزا» أي الكنز، وقد جمعوا في هذا الكتابِ ترانيمهم الدنيئة وآراءهم في الدين، وما زالَ المندائيون يتعاملونَ داخلياً بلهجتهم الآرامية^(١) ومن بعضِ خصائصِ هذه اللهجة^(٢):

- عنايةُ الشديدةُ بأصواتِ المدِّ حتى أنها لم تتركْ صوتاً دونَ أنْ يُرمزَ إليه.
- استحالةُ صوتِ «الحاءِ» إلى صوتِ «الهاءِ» وقد يذوبُ هذا الصوتُ تاركاً محلّه صوتَ الألفِ أو الفتحة، أو يتحولُ إلى ياءٍ.
- تكتبُ العينُ وتلفظُ همزةً أو هاءً.
- يجذفُ صوتُ الحاءِ من الكلمةِ تاركاً تشديدَ الحرفِ الذي سبقه.
- تُبدلُ القافُ كافاً مثلَ «كوشطا» «قسطا» «قشتا».
- سقوطُ واوِ الجماعةِ من فعلِ الأمرِ.

٤. آراميةُ التلمودِ البابلي^(٣): وهي الآراميةُ التي دُوِّنَ بها التلمودُ البابليُّ بالآراميةُ الشرقية التي كانتْ سائدةً في العراقِ، إذ ارتبطتْ هذه اللهجةُ بكتبِ اليهودِ المقدسة، فقد سلكَ علماءُ اليهودِ في بابلَ إلى شرحِ «المنشا» وهو نصٌّ دينيٌّ يهوديٌّ أُلفَ بعدَ سنةِ «٧٠» ميلاديةً حينَ انتهى آخرُ كيانِ يهوديٍّ في فلسطينَ، بالآراميةُ في أسفارٍ عُرفتْ بـ«الجمارا».

٥. آراميةُ الكلدان: وهي اللغةُ التي يتكلمُ بها الكلدانيونَ في شمالِ العراقِ، وقد تأثرتْ هذه اللهجةُ كثيراً باللغةِ العربيَّةِ والكرديَّةِ والتركيَّةِ.

١. يُنظَرُ: علم اللغة العربية: ١٨٢-١٨٣.

٢. يُنظَرُ: المدخل إلى دراسة تاريخ اللغات الجزرية: ٣٣.

٣. يُنظَرُ: علم اللغة العربية: ١٦٩-١٧٠.

٦. آرامية العرب الأوائِل: إذ تكلم بها:

■ التدمريون: ولهجتهم قريبة الشبه باللهجة النبطية التي كانت على صلة تجارية معها، وقد تأثرت هذه اللهجة أيضاً باللغة اليونانية واللاتينية، وذلك لكثرة الكلمات التي تعود إليهما مثل: جراماتس، أركونيا، سدقيا، هبطيقيا، بيلوطا^(١) من خصائص هذه اللهجة:

١. أسماؤهم عربية خالصة.

٢. تمثلت كتاباتهم بالألفاظ والتعابير العربية.

٣. تضمنت بعض أسماء الأسر والقبائل قبلها لفظة

«بني» بمعنى «آل».

■ والحضريون: هم من سكنوا مدينة الحضر في مدينة الموصل، من خصائص هذه اللهجة:

١. وجد كثير من الأسماء والأعلام العربية.

٢. خلت من علامات الإعراب.

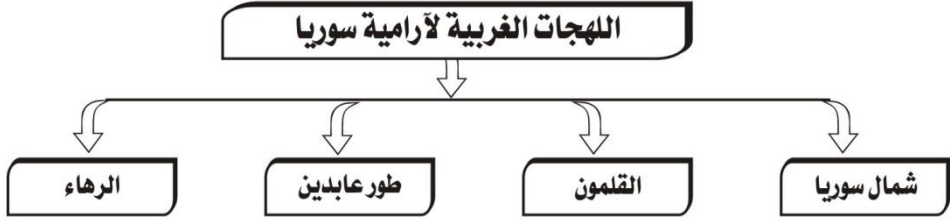
■ والأنباط^(٢): هم العرب الذين سكنوا شرق الأردن وسينا وشمال بلاد العرب، عُرف عنهم الخط النبطي الذي امتاز بالميل إلى ربط الحروف مع بعضها، فضلاً عن قراءة السين شيئاً مع وجود حرف السين، واستعمال التاء محلّ الطاء والعكس. كما تُدغمُ الغينُ والخاءُ عند اجتماعهما، استعملوا الإعراب بحركاته الضمة والفتحة والكسرة. ليس للتنوين وجود في النبطية، غالبية أسماء الأنباط عربية «حسنو» حسن، «لطفو» لطف، أداة التعريف فيها هي الألف الممدودُ بنهاية الاسم «نفسا» نفس.

١. يُنظَرُ: المدخل إلى دراسة تاريخ اللغات الجزرية: ٣٤.

٢. يُنظَرُ: علم اللغة العربية: ١٨١-١٨٢.

تصغيرُ الأسماءِ عندهم يكونُ باستعمالهم وزنَ «فَعِيلٍ وفُعَيْلتٍ» بضمِّ
الفاءِ وفتحِ العينِ.

أما الغربيةُ ومن لهجاتها «آراميةُ سوريا، وفلسطينية، وتركية، وآراميةُ سينا»



آراميةُ سوريا

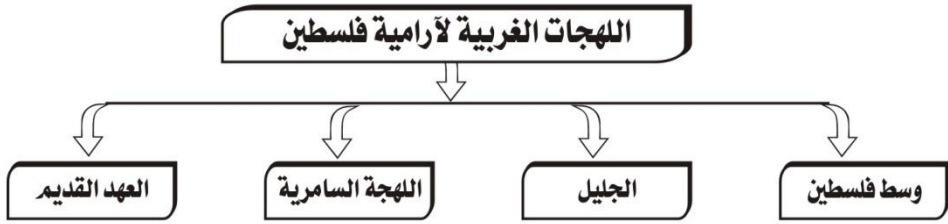
- آراميةُ دويلاتِ شمالِ سوريا: وهي أقدمُ اللهجاتِ الآراميةُ التي وصلتُ من خلال التماثيلِ والهياكلِ وما دوّنَ على الصخرِ، إذ تعدُّ مدوناتُ الملكِ شمئَل من أقدمِ المدوناتِ التي تمثلُ دويلاتِ سوريا من القرنِ الثامنِ قبلَ الميلادِ. ومن خصائصِ هذه اللهجة: استعمالها صوتَ «القافِ» الذي تحوّلَ في اللهجاتِ الأخرى إلى صوتِ «العينِ» مثلاً ذلك كلمةُ «أرقا» بمعنى «الأرضِ» إلى «أرعا»^(١).
- آراميةُ قرىِ منطقةِ القلمونَ: وهي لهجةٌ آراميةٌ حديثةٌ يتكلمُ بها الآنَ بعضُ قرىِ هذه المنطقةِ لاسيما قريةً معلولة، وتتميزُ بقلبِها القافَ إلى كافٍ في كثيرٍ من الألفاظِ.
- آراميةُ طورِ عابدينَ: وهي لهجةٌ حديثةٌ، تُعرَفُ بالطورانيةِ يتكلمُ بها

١. يُنظَرُ: علم اللغة العربية: ١٧٣.

سكان المنطقة الجنوبية الشرقية من تركيا، وتحتوي هذه اللهجة على كثير من الكلمات العربية والكردية والتركية، وتستعص عن الفعل الماضي والمضارع باسمي الفاعل والمفعول.

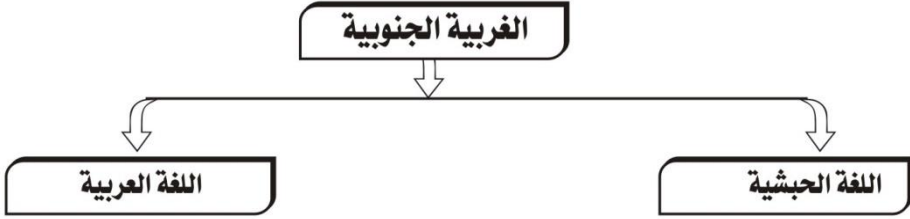
- آرامية الرهاء «أديسا» وتُعرف أيضاً بالسريانية، ومن سماتها مدُّهم للحرف «أ» الطويل إلى «واوٍ طويلةٍ»، الشرقيون يقولون «الها» الله والغربون يقولون «الوهو» دون تشديد.

آرامية فلسطين:



- آرامية وسط فلسطين: وهي اللهجة التي كانت سائدة في العهد الروماني وقد جاءت متأثرة بالعبرية.
- آرامية الجليل: وهي مشابهة للسابقة.
- اللهجة السامرية: وهي لهجة تكلم بها قوم كانوا بالأصل من اليهود وانفصلوا عنهم في أواخر القرن الثامن ق.م. وهذه اللهجة في الحقيقة خليط من آرامية سوريا وبابل، وقيل إن لهجتهم لم تختلف كثيراً عن آرامية وسط فلسطين والجليل، ومن خصائص هذه اللهجة أن أصوات الحلق (الحاء والهاء والعين، تُلْفِظُ همزة).
- آرامية أسفار العهد القديم: تتمثل هذه الآرامية بالفصول المدونة بالآرامية من العهد القديم من أسفار عزرة ودانيال.

الغربية الجنوبية ومن لغاتها/الحبشية والعربية



أولاً: الحبشية قيل: هي لغة القبائل العربية التي هاجرت من جنوبي الجزيرة العربية، وأهم هذه القبائل، قبيلة حبشت وقبيلة الأجعازي، وسُميت هذه المنطقة بالحبشة نسبةً إلى القبيلة الأولى، ولعلَّ أصل أقوام هذه البيئة جعل منها بيئةً ساميةً.

وقيل إنَّ العشائر اليمنية التي هاجرت إلى الحبشة قد امتزجت مع السكان الأصليين في هذه البيئة اللغوية، وأثرت فيهم لغوياً، إذ تركت اللغة اليمنية القديمة آثارها الواضحة على اللهجة الحبشية، ويمكن أن نلاحظ هذا التأثير في المستوى الصوتي والتركيبى فضلاً عن المفردات، وإلى جانب ذلك ظلَّ الخطُّ السبئيُّ والحبشيُّ يُستعملان معاً مدةً طويلةً^(١).

أشهر اللهجات الحبشية

اللهجة الجعزية: التي تُعرف بالحبشية القديمة، وقد عُثر على نقوشها في منطقة «كيسوم» وتُنسب نقوشها إلى الملك «عزانا» والملك «آل عميد» وقد اميت هذه اللغة

١. يُنظر: الأساس في فقه اللغة: ١٢٨،

بعد قيام مملكة «كوا» الأمهرية^(١) ومن خصائصها: كُتبت بخطّ مقطعيّ يتكون من «١٨٢» رمزاً أي لكل صوتٍ صامتٍ مع الحركة التالّية رمزٌ مُستقل، وعدد رموزها ٢٦ صوتاً صامتاً، ولها سبع حركاتٍ هي، فتحةٌ قصيرة، وفتحةٌ طويلة، وفتحةٌ ممالّةٌ طويلة، وفتحةٌ قصيرةٌ ممالّة، وضمّةٌ طويلة، وضمّةٌ قصيرة، وكسرةٌ طويلة. تُستعمل الفتحة في النصب «نيكوشا» ملك، والضمّة في حالة الرفع «نيكوش» والجمع «نيكوشان»، والتأنيث بإضافة التاء «نيكشت»، يكون التعريف بإضافة «يا» نقول: ساو «رجل» ياساو «الرجل».

مرّ الخطّ الجعزيّ بثلاثة أطوار:

- الطور الذي خلت فيه الكتابات من الحركات
- الطور الذي ظهرت به الحركات.
- الطور الذي ظهرت به الحركات شبيهة بتلك الحركات الموجودة في الكتابات المتأخرة.

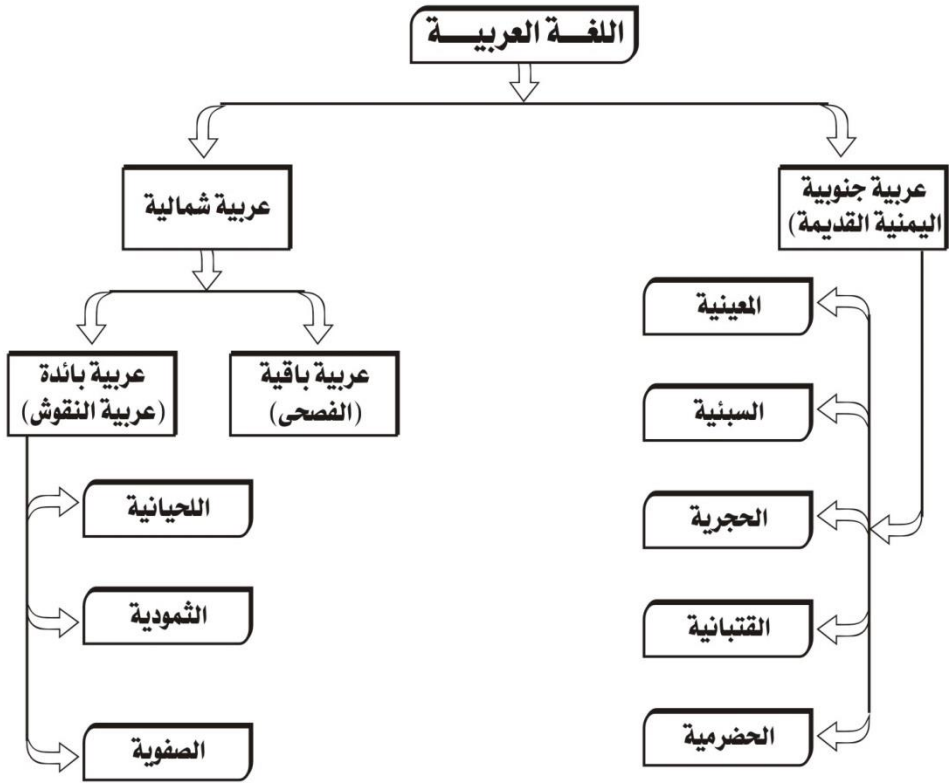
اللهجة الأمهرية وهي اللهجة المستعملة بين العامة والخاصة في أغلب مناطق الحبشة إلى يومنا هذا، وقيل إنّ هذه اللغة تعود إلى أصل جزريّ، غير أنّها أشدّ تأثراً باللغة الحامية، لأنّ أغلب مفرداتها مأخوذة عن الحامية الكوشية^(٢) ومن خصائص هذه اللهجة، وجود أصوات الحلق «الهاء والهمزة»، استعارتها لكثير من الكلمات الأفريقية من البيئات المجاورة.

الضائر في اللغة الحبشية: أنا...أنا، أنت...أنت، يعيتو... هو يعيتي... هي «ينحنا...نحن» أنتيمو...أنتم وأنتن «أيونتو هم» أيأنتو ويعيتون هن.

ومن أسماء الإشارة: «زه:ذا» «زا:ذه هذه» «زيكتو وزيكوتو: ذلك» «ايتساكي و ايتتيكو: تلك» «ايلليكتو: هؤلاء»

١. يُنظر: فصول في فقه اللغة: ٢٧.

٢. يُنظر: فقه اللغات السامية: ٣٤.



العربيةُ الشَّمالِيَّةُ وتقسُّمُها على قسمين: بائدةٍ وباقيَّةٍ العربيةُ الباقيَّةُ فهي الفصحى

لم تُعرفِ العربيةُ التدوينَ الواسعَ، فليسَ هناكُ آثارٌ أو نقوشٌ كثيرةٌ تدلُّ على نشاطٍ لغويٍّ متكاملٍ، وفي ضوءِ هذا النقصِ في الآثارِ المدوَّنةِ يجدُ الدارسُ نفسَه مضطراً إلى البحثِ عن الآثارِ الشفهيةِ التي نُقلتْ عن العربيةِ إذ تمثلتْ أساساً في الشعرِ الجاهليِّ المتداولِ بالحفظِ والروايةِ.

ومن خلالِ هذا المرويِّ والنظريِّ بتلكِ النصوصِ الجاهليةِ القديمةِ والآثارِ اللغويةِ التي جُمعتْ من بيئاتها اللغويةِ نجدُ أنَّ اللغةَ العربيةَ هي إحدى اللغاتِ

العروبية، التي تربطها بأخواتها العروبيات خصائص مشتركة، وقد بقيت أقرب تلك اللغات إلى الأصل، إن كانت أحدثها نشأةً وتاريخاً، وذلك لموقع العرب في بيئتهم الصحراوية، فلم تتعرض إلى ما تعرضت له اللغات العروبية الأخرى من الاختلاط والتميع. إلا أن بداية هذه اللغة مازالت غير معروفة من حيث الاستعمال اللغوي لها عند العرب، وجل ما نعرفه أن هناك لغتين تفرعت عنها سائر اللهجات العربية، هما لغة الجنوب أو اللغة الحميرية، ولغة الشمال وهي اللغة المضرية.

لغة الجنوب و لغة الشمال: قسمت هذه اللغة على قسمين و وسم كل قسم منها باسم البيئة الجغرافية التي تمثلت بها، فثمة لغة يمنية جنوبية و حجازية شمالية، فكانت لغة اليمن القحطانية تختلف عن لغة الحجاز العدنانية، في الأوضاع و التصاريح و أحوال الاشتقاق، وكانت لغة اليمن أكثر اتصالاً باللغة الحبشية و الأكديّة، و تعرف بالعربية الجنوبية و موطنها اليمن بلاد العرب الجنوبية، و يُطلق عليها اسم «اليمنية القديمة» أو «القحطانية» و يرى بعض الباحثين^(١) أن هذه اللغة ليست من اللغة العربية في شيء، على الرغم من أنها تؤلف معها شعبة لغوية واحدة، و ذلك اعتماداً على ما ورد عن أبي عمرو بن العلاء الذي قال: «ما لسان حمير و أقاصي اليمن بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا» و نحن لا نسلّم بهذا القول كون اللغة العربية الجنوبية فيها من الخصائص اللغوية المشتركة فضلاً عن الأصل الواحد الذي صدرت عنه اللغة العربية بفرعيها «القحطاني و العدناني».

ومن لهجاتها، المعينية: نسبة إلى المعينين الذين أنشأوا في جنوب اليمن أقدم مملكة في بلاد العرب، و قد وصلت لهجتهم عن طريق النقوش^(٢).

و السبئية: نسبة إلى السبئيين الذين أقاموا على أنقاض المعينين مملكة سبأ، و قد

١. يُنظر: فقه اللغة للدكتور علي وافي ٨٦.

٢. يُنظر: دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام (الدكتور منذر البكر): ١٦٩.

عُثِرَ عَلَى نَقُوشٍ هَذِهِ اللَّهْجَةِ فِي مَنطِقَةِ مَأْرِبٍ^(١).

وَالْحَجْرِيَّةُ الْقَدِيمَةُ، وَالْقَتْبَانِيَّةُ^(٢)، وَالْحَضْرَمِيَّةُ: وَهَذِهِ لَهْجَاتٌ قَدِيمَةٌ أَتَتْ عَلَيْهَا
اللَّهْجَةُ السَّبْئِيَّةُ، وَقَدْ وَصَلَتْ إِلَيْنَا عَنْ طَرِيقِ النُّقُوشِ أَيْضًا.

وَمِنْ أَهَمِّ خَصَائِصِهَا: كُتِبَتْ بِالْخَطِّ الْمَسْنَدِ، أَنْتَهَاءُ الْجَمْعِ السَّلَامِ بِالْمِيمِ «حَمِيرَم»:
الْحَمِيرِيُونَ، وَالْمَوْئِثُ السَّلَامُ بِالْيَاءِ، أَدَاةُ التَّعْرِيفِ فِيهَا النُّونُ، ذِي مَسْنَدِن: هَذَا
الْمَسْنَدُ. وَأَدَاةُ التَّنْكِيرِ هِيَ الْمِيمُ، امْسَدَم: جَنْدِي، وَاسْتِعْمَالُ الْوَاوِ لِلْعَطْفِ، وَحُرُوفُ
الْجُرِّ «يِن، بَعْدَ، لِن، عَم بِمَعْنَى «مَعَ» عَد بِمَعْنَى «حَتَّى» إِلَى)) عَدَدُ حُرُوفِ الْهَجَاءِ
فِيهَا «٢٩ حَرْفًا»، إِلَّا أَنَّهَا اسْتَعْنَتْ عَنْ حُرُوفِ الْمَدِّ^(٣).

وَأَمَّا لُغَةُ الْحِجَازِ فَهِيَ أَكْثَرُ اتِّصَالًا بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَالنَّبْطِيَّةِ. لِأَنَّنا وَمِنْ خِلَالِ
التَّقْسِيمِ نَجَدُهَا تَقْسُمُ عَلَى قَسْمَيْنِ: الْبَاقِيَّةُ «وَهِيَ الْعَرَبِيَّةُ الْفَصْحَى» وَالْبَائِدَةُ وَهِيَ
عَرَبِيَّةُ النُّقُوشِ تَكَلَّمَتْ بِهَا قَبَائِلُ عَرَبِيَّةٌ سَكَنْتُ الْحِجَازَ عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنْ حُدُودِ
الْأَرَامِيِّينَ، وَقَدْ بَادَتْ هَذِهِ اللَّغَةُ قَبْلَ الْإِسْلَامِ، وَلَمْ يَصِلْ مِنْهَا سِوَى النُّقُوشِ الَّتِي عُثِرَ
عَلَيْهَا فِي مَسَاحَةٍ وَاسِعَةٍ تَمْتَدُّ مِنْ دِمَشْقَ إِلَى مَدَائِنِ صَالِحِ، وَقَدْ عُرِفَتْ نَقُوشُهَا
بِاللِّحْيَانِيَّةِ^(٤)، نَسْبَةً إِلَى قَبَائِلِ لِحْيَانَ، وَالثَّمُودِيَّةِ نَسْبَةً إِلَى ثَمُودَ الَّتِي وَرَدَ ذِكْرُهَا فِي
الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَالصَّفَوِيَّةِ^(٥) نَسْبَةً إِلَى مَنطِقَةِ الصَّفَا عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنْ جَبَلِ الدَّرُوزِ. وَقَدْ
دَلَّتِ الْكُتَابَاتُ عَلَى أَنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الْبَيْتَةِ كَانُوا مِنَ الْجَاهِلِيَّةِ ففِيهِمْ أَسْمَاءُ مِثْلَ «عَبْدُ
مَنَاةَ، وَعَبْدُ إِيْلَ، وَعَبْدُ يَغُوثَ، وَتَيْمُ اللَّاتِ» وَمِنْ خَصَائِصِهَا أَيْضًا: عَدَدُ حُرُوفِهَا
٢٨ حَرْفًا، فِيهَا ضَمَائِرٌ مُتَّصِلَةٌ وَمُنْفَصِلَةٌ فَضْلًا عَنْ أَسْمَاءِ الْإِشَارَةِ فِيهَا حُرُوفٌ
لِلْعَطْفِ «و، ف، ل» أَمَّا حُرُوفُ الْجُرِّ فَهِيَ «الْبَاءُ، وَعَن، وَعَلَى، وَمِنْ» كَلِمَاتُهَا خَالِيَةٌ

١. يُنظَرُ: الْمَصْدَرُ نَفْسَهُ: ٢١٣، وَدَرَسَاتُ فِي فِقْهِ اللَّغَةِ: ٥٢.

٢. يُنظَرُ: دَرَسَاتُ فِي فِقْهِ اللَّغَةِ: ٥٢-٥٤.

٣. يُنظَرُ: الْأَسَاسُ فِي فِقْهِ اللَّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَأُرُومَتِهَا: ١٢٨.

٤. يُنظَرُ: دَرَسَاتُ فِي فِقْهِ اللَّغَةِ: ٥٦.

٥. يُنظَرُ: الْمَدْخَلُ إِلَى تَارِيخِ اللُّغَاتِ الْجَزْرِيَّةِ: ٥٠.

من النقطِ وهذا ما يشكّل صعوبةً في القراءة. استعمالُ الفعلِ الماضي والمضارعِ والأمر، وقد استعملوا الخطَّ النبطيَّ في كتاباتهم أو ما كان مشتقاً منه.

وقد ذهبَ بعضُ العلماءِ إلى أن لغةَ الجنوبِ القحطانيةَ كانتُ أصلاً من أصولِ العدنانية، واعتمدوا على النقوشِ المكتشفةِ حديثاً في اليمن، فقد وجدوا فيها عباراتٍ تنفُقُ والعربيةُ المضريّةُ لفظاً وتركيباً. ففي أقدمِ النقوشِ مئاتٌ من الكلماتِ المشتركةِ بين اللغتينِ وبعضها مطابقٌ في رسمه ومعناه لما في اللغةِ العربيةِ مثلَ أخ، أخت، وثن، شبل، أسد، شهر.....

وقد تطورت اللغةُ المضريّةُ الحجازيةُ بالتمازجِ والاختلاطِ حتى وصلتُ إلى الحالةِ التي رأينا صورتها في الأدبِ العربيِّ الجاهليِّ وفي القرآنِ الكريم، وإليكِ الخطواتِ التي خطتها في سبيلِ اكتمالها:

١. اختلاطُ الحميريةِ بالعدنانيةِ: لقد ثبتَ أن قبائلَ جنوبيةً هجرتُ ديارها وانتشرتُ في الحجازِ وشمالِ الجزيرةِ قبلَ الميلادِ، وثبتَ أن عربَ الجنوبِ كثيراً ما ارتادوا الديارَ الشماليَّةَ للتجارةِ، واختلطَ القحطانيونَ بالعدنانيينِ اختلاطاً شديداً، وتقاربتِ اللغتانِ الحميريةُ والمضريّةُ للتفاهم، واشتدَّ التفاعلُ والتطورُ مدةَ خمسةِ قرونٍ تقريباً. وقد تغلبتِ المضريّةُ العدنانيةُ أخيراً على الحميريةِ القحطانيةِ لانهايارِ دولةِ الجنوبِ، ولأنَّ المضريّةَ من أكثرِ اتساعاً، وأكثرِ انفتاحاً على الحضارةِ وأسبابها.
٢. اللهجاتُ القبليّةُ: وكانَ للقبائلِ العربيةِ لهجاتٌ مختلفةٌ الفروعِ متحدةً الأصول، فمن ذلكَ كانَ الإبدالُ كقولهم في «الجباء» «الجِباع» ومنها كانَ بتقديمِ بعضِ أحرفِ الكلمةِ كقولهم «الصاعقة» و «صاقعة»، ومن ذلكَ ما كانَ في أوجهِ الإعرابِ كنصبِ خبرٍ ليسَ عندَ الحجازيينِ مطلقاً ورفعِهِ عندَ تميمٍ إذا اقترنَ الخبرُ «بإلاً» وإلى غيرِ ذلكَ من الظواهرِ اللغويةِ الخلافيةِ.

٣. اللغة الانتقائية: وتكونت بجانب اللغات القبلية المختلفة التي تنطقُ بها كلُّ قبيلةٍ ولا يعسرُ فهمُها على سائرِ القبائلِ، لغةٌ مثاليةٌ خاليةٌ من العيوبِ و الهفواتِ هي لغةُ المجتمعاتِ الأدبيةِ، ولغةُ الشعرِ والخطابةِ، انصهرتُ فيها جميعُ اللهجاتِ و اللغاتِ العربيَّةِ. وتكونتُ من أحسنِ ما في تلكَ اللغاتِ من عناصرٍ، ونفضتُ عنها جميعَ العيوبِ التي وسمتُ سائرَ اللهجاتِ، فبرزتُ أحسنَ بروزٍ في القرآنِ الكريمِ وفي ما وصلنا من الأدبِ الجاهليِّ الرفيعِ. وقد طغتُ على تلكَ اللغاتِ المثاليةِ لهجةُ قريشٍ لأسبابٍ سنأتي على ذكرِها، وكانتُ لهجةُ قريشٍ أقلَّ اللهجاتِ عيوباً وأفصحها بياناً.

أسبابُ تكوينِ هذه اللغةِ الأدبيةِ «العربيةِ المشتركةِ»

أ. الأسواقُ: كانَ العربُ يختلفونَ إلى تلكَ الأسواقِ في أوقاتٍ معيَّنةٍ لشؤونٍ تجاريةٍ وقضائيةٍ وأدبيةٍ ونسبيَّةٍ وغيرِها وهي أمكنةٌ شتى في الجزيرةِ العربيَّةِ، ومن أشهرِها سوقُ عكاظٍ قربَ مكة، ومجنتُ وذو المجازِ وكلاهما في ضواحي مكة المكرمة. أمَّا سوقُ عكاظٍ فهي ملكةُ الأسواقِ، وكانتُ تُقامُ من أولِ ذي القعدةِ إلى العشرينَ منه، وكانَ يجتمعُ فيها الأشرافُ والزُّعماءُ للمتاجرةِ والمنافرةِ والتحكيمِ في الخصوماتِ وأداءِ الحجِّ. فكانَ للأسواقِ أثرٌ بليغٌ في توحيدِ اللسانِ وتعميمِ اللغةِ المثاليةِ، وتغليبِ لغةِ قريشٍ على سائرِ اللغاتِ، لأنَّ أشهرَ الأسواقِ كانَ في بلادِهِم.

ب. قريشٌ: كانتُ مكةُ محطاً للقوافلِ من عهدٍ عهيدٍ، وكانتُ موطنَ قريشٍ موضوعَ إجلالٍ للعربِ لما ورثته من شرفٍ وسؤددٍ وثراءٍ، كما كانتُ مقامَ الكعبةِ يفتدُّ إليها الحجاجُ من كلِّ الآفاقِ. فكانَ لقريشٍ نصيبٌ وافٍ في توحيدِ اللغةِ، تهذبُ لهجتها بما تأخذُه من لغاتِ القبائلِ الوافدةِ على بلادِها، مما خففَ على اللسانِ وعذبَ في السمعِ، وكانَ العربُ يقلِّدونَ لسانها، الشعراءُ و

الخطباء يؤثرون ما هو من ذلك اللسان لأنَّ أهمَّ الأسواق كانت في قريشٍ
والمحكِّمين فيها منهم أحياناً كثيرة، وكان الشعرُ ينتشرُ في تلك الأصقاعِ في
جميع أنحاءِ البلادِ حاملاً إليها لهجةَ قريشٍ وأسلوبها.

ت. الحضاراتُ المتاخمةُ: لم ينحصرِ العربُ في جزيرتهم بمعزل عن الحضاراتِ
المتاخمة، بل كانوا دائماً في احتكاكٍ مع من جاورهم. فأضيفتْ إلى لغةِ عدنانٍ
ثروةُ الحضارةِ القحطانيةِ و حضارةُ مصرَ - و فارسَ و الرومِ و الحبشةِ عن
طريقِ التجارةِ أو عن طريقِ التنافسِ بين الحيرةِ و غسانِ، و الفرسِ و الرومِ
من ورائها. فكانتِ اللغةُ تُوصلُ تطورها مكمِّلةً ما ينقصها بما تأخذه من
لغاتِ تلك الحضاراتِ الواسعةِ النطاقِ.

وهكذا وصلتِ اللغةُ العربيَّةُ إلى عصرِ الأدبِ الجاهليِّ، راقيةً، مزوَّدةً بمحاسنِ
لغاتٍ عديدةٍ و حضاراتٍ كثيرةٍ، تستطيعُ التعبيرَ عن كلِّ شيءٍ و الإفصاحَ عن
خلجاتِ النفوسِ و لواعجِ الصدورِ، و تصويرَ المناظرِ و الخواطرِ، وما أنْ ظهرَ
القرآنُ الكريمُ حتى ثبتَّها و عملَ على حفظها بالرغمِ من تقلباتِ الأيامِ و أحداثِ
الأزمانِ.

اللغة العربية والآثار المنقولة:

المقصودُ بالآثارِ المنقولةِ النصوصُ اللغويةُ الاستعماليةُ سواءً في اللغةِ النفعيةِ «لغةِ
الاستعمالِ اليوميِّ» أو اللغةِ الأدبيةِ، إذ تمثلتِ اللغةُ العربيَّةُ بهذين الأثرينِ لتحديدِ
تاريخها و خصائصها و ملامحها اللغويةِ. و الأثرُ الأكثرُ دوراناً في لغةِ العربِ قبلَ
الإسلامِ هو الشعرُ الجاهليُّ و على الرغمِ ممَّا صاحبه من شكوكٍ و سلامةِ الأثرِ المنقولِ،
إلا أنَّ الاعتمادَ على نصوصه بحسبِ توثيقِ الرواةِ و علماءِ اللغةِ يعودُ بالفائدةِ الكبرى
على دراسةِ اللغةِ العربيَّةِ الفصحى و تبينِ أصولها قبلَ نزولِ النصِّ القرآنيِّ.

و بالنظرِ إلى طبيعةِ التناقلِ الشفهيِّ الذي وسمَ تداولَ الشعرِ الجاهليِّ صارَ من
الصعوبةِ بمكانٍ افتراضُ تاريخِ القدمِ قبلَ ظهورِ الإسلامِ تعييناً لأيِّ بدايةٍ على وجهِ

التحديد، ولذلك يقدّر الباحثون أنّ نصوص الشعر الجاهلي لا تتعدّد عن ظهور الإسلام «بداية نزول القرآن سنة ٦١٢م) بأكثر من ثلاثة قرون ونصف القرن أو قرنين على أبعد تقدير.

وبناءً على تلك المعطيات تكون العربية الفصحى التي مثلتها تلك النصوص غير بعيدة عن ظهور الإسلام، أمّا المراحل التي سلختها من تاريخها حتى انتهت إلى ما وصلت إليه من الاكتمال، فليس من المتيسّر التعرف عليه.

ومن خلال الاستعمال اللغوي اصطلاح القبائل العربية على لغة مشتركة متداولة في أنحاء واسعة امتدت من اليمن حتى الفرات، وللعرب في نشوء هذه اللغة الفصحى رأي يذهب إلى أنّها عين اللهجة القرشية لأنّ قريشاً كانت أجود العرب انتقاءً للفصحى، وأصرحها لبعدها عن بلاد العجم.

آراء المستشرقين في أصل العربية الفصحى^(١)

لقد ذهب المستشرقون في أصل العربية مذاهب شتى، ف«نولدكه»، يرى أنّ الفصحى تركبت من اللهجات الأساسية في جزيرة العرب كالحجاز ونجد وإقليم الفرات، لأنّ الاختلاف بين هذه البيئات قليل، وذهب جويدي إلى هذا المعنى.

أما نالينو فذهب إلى أنّها تولدت من إحدى اللهجات النجدية وتهذبت في زمن مملكة كندة ثم صارت اللغة الأدبية السائدة بين العرب. أما فيشر فقد ذهب إلى أنّها لهجة معينة ولكنه لم ينسبها إلى أيّة قبيلة من قبائل العرب. ويرى فولرز أنّها لهجة أعراب نجد واليمامة وقد أدخل الشعراء عليها تغييرات كثيرة، وزعم أنّ بقية بلاد العرب كانت تتكلم لغة مخالفة.

وهناك من زعم بأنّ الفصحى لم تكن لغة كلام بل هي لغة فنية قائمة فوق

١. يُنظر: فصول في فقه اللغة (رمضان عبد التواب): ٧٦-٧٧.

اللهجات وإن غدّتها جميعاً، كبر وکلان، ومارسيه.

ويرى أغلب الدارسين والباحثين بأنّها لغة انتقائيةً مشتركةً تشكلت أصولها وتوضحت مقاييسها لدى قبيلة قريش، ويرى الدكتور رمضان عبد التّوّاب أنّ اللغة العربيّة المشتركة ليست لهجة قريش وحدها بدليل وجود الهمز فيها وقريش لا تهمز. ويرى الدكتور تمام حسان أنّ الفصحى لغة العرب جميعاً نمت في المجتمع العربيّ في عمومها لا في قبيلة بعينها، وتقبّلت في نموّها عناصر لغويةً من جميع اللهجات العربيّة حتى بدت قريبةً إلى كلّ لهجة، ونحن نذهبُ هذا المذهب لأنّ الأساس الذي قام عليه الوصف والتحديد هو الانعزال في كبد الصّحراء وعدم الاتصال بالأجانب قد تبدّد إذا ما علّمنا أنّ قريشاً، التي وصفها الفارابيّ ومَن قال بقوله فيما بعد «في أول نصّه من كتابه الحروف/ ١٤٥) - كان لها في الجاهلية من اتصال بلاد الشام واليمن والعراق وبالحبشة فضلاً عن وجود جالياتٍ أعجميةٍ وعددٍ كبيرٍ من الرّقيق بينهم، وما وجود المعرّبات في لغتهم إلا حجةً على تأثر لسانهم بالأعاجم وأخذهم منه فكيف تكون هي اللغة الفصحى أو هي من تمثّلت بها العربيّة المشتركة؟.

خصائص اللغات العروبية والمثال العربيّ «في العربيّة الفصحى»

عنيّت كتب النحو المقارن في اللغات السّامية/ وكلّها كتبٌ أوروبية/ ببيان الخصائص التي تتسم بها اللغات العروبية، ومن الطبيعيّ أن تتناول هذه الدراسات الجوانب الصوتية، والصرفية، والنحوية، والمعجمية.

في الصوت^(١):

وقد لاحظَ الباحثون الغربيون أنَّ اللغاتِ العروبيةَ تضمُّ مجموعةَ أصواتٍ لا توجدُ في اللغاتِ الأوربية، ولذلكَ بيَّنوا وجودَ هذه الأصواتِ في حديثهم عن الخصائصِ العامةِ للغاتِ العروبية، والمقصودُ بهذه الأصواتِ مجموعةُ أصواتِ الحلقِ وهذا أهمُّ ما يميِّزُ اللغاتِ العروبيةَ وهو احتوائُها على مجموعةٍ من الأصواتِ اللغويةِ الخاصةِ بها، بحيثُ يندرُ أن ترى نظيرَها في اللغاتِ الأوربيةِ أو غيرها، و الأصواتُ هي: أصواتُ الحلقِ «ع، غ، ح، خ، ه، ء» وهي تلك الأصواتُ التي تخرجُ من الحلقِ:

حروفُ الحلقِ		
ع	ء	الأكادية
ح	ه < هـ	الأكادية
خ	ح	العبريةُ والآراميةُ
غ	ع < ء ع	الأكاديةُ العبريةُ، الآراميةُ، الأثيوبيةُ

فضلاً عن أصواتِ الإطباقِ «ص، ض، ط، ظ» وهي أصواتٌ تشتركُ في سمةٍ واحدةٍ تتلخَّصُ في اتخاذِ اللسانِ شكلاً مقعراً منطبقاً على الحنكِ الأعلى ويرجعُ إلى الوراءِ قليلاً، والواقعُ أنَّ هاتينِ المجموعتينِ موجودتانِ بدرجةٍ متفاوتةٍ في اللغاتِ العروبيةِ المختلفةِ:

حروفُ الإطباقِ		
ض	ص ع	الأكادية، العبرية، الأوغاريتية الآراميةُ
ظ	ص ط	الأكادية، العبرية، الإثيوبية الآراميةُ

١. يُنظرُ: علم اللغة العربية: ١٣٩-١٤٢.

فضلاً عن صوتِ الفاءِ، فليسَ كلُّ لغةٍ عروبيةٍ تضمُّ كلَّ الأصواتِ الحلقيةِ والمطبقةِ الموجودةِ في العربيةِ، وليسَ هنالكَ لغةٌ عروبيةٌ تخلو من أصواتِ الحلقِ والإطباقِ كونهما وحداتٌ صوتيةٌ متميزةٌ ففي العربيةِ مثلاً هنالكَ فرقٌ دالٌّ بينَ «سألَ» و«سألَ» وهذا الأمرُ لا نجدُه في اللغاتِ الأوربيةِ كرمزٍ صوتيٍّ بل هي وسيلةٌ نطقيةٌ لبيانِ نطقِ الحركةِ الصوتِ كصوتِ «a» من كلمةِ (abart) في اللغةِ الألمانيةِ.

ويرى أكثرُ الباحثينَ أنَّ أصواتَ الحلقِ في اللغاتِ العروبيةِ موروثَةٌ عن اللغةِ العروبيةِ الأمِّ، واللغةُ العربيةُ تُعدُّ بصفةٍ عامةٍ أصدقَ تعبيراً عن العروبيةِ الأولى، إذ تضمُّ اللغةُ العربيةُ بفرعَيْها الشماليةِ والجنوبيةِ ستةَ أصواتٍ حلقيةٍ، وتضمُّ اللغاتُ العروبيةُ الأخرى أصواتاً حلقيةً بعددٍ أقلَّ، والسببُ في ذلكِ اختزالُ بعضِ الأصواتِ بصوتٍ واحدٍ كصوتي الخاءِ والحاءِ أصبَحَا في العبريةِ صوتاً واحداً وهو «الحاءُ»، وهذا الأمرُ عينُه في أصواتِ الحلقِ نجدُ ثمةَ أصواتاً حلقيةً أكثرَ ثباتاً في أرومةِ اللغاتِ العروبيةِ هي «الصادُ والقافُ والطاءُ»، ولكنَّ «الضادَ والظاءَ» قد تعرَّضا للتغييرِ الصوتيِّ في عددٍ من اللغاتِ العروبيةِ، فكلُّ «ضادٍ وصادٍ وظاءٍ» في العربيةِ يقابلُها صوتُ «الصادِ» في العبريةِ. وهذا الأمرُ نفسه بالنسبةِ للغةِ الأكديّةِ، أمّا صوتُ الضادِ في اللغةِ الآراميةِ فقد تحوّلَ إلى قافٍ ثم إلى عينٍ، ويعدُّ هذا التحولُ من أصعبِ التحولاتِ الصوتيةِ تفسيراً.

في بنيةِ الكلمةِ^(١)

تكوينُ المادةِ اللغويةِ: تتكوّنُ المادةُ اللغويةُ في العروبياتِ من أصولٍ ثلاثيةٍ في مرحلةِ النضجِ والتكاملِ، لأنَّ ثمةَ اتجاهاتٍ علمياً يقضي بأنَّ الأصلَ الثنائيَّ مرحلةٌ متقدمةٌ من مراحلِ المادةِ اللغويةِ.

ترتيبُ المادةِ اللغويةِ: الأصلُ الثلاثيُّ في السامياتِ يلزِمُ ترتيباً واحداً إذ تبقى

١. يُنظَرُ: المصدر نفسه: ١٤٢-١٤٦.

الأصوات الساكنة في المشتق، مهما اشتققنا من الأصل، فمادة: دَرَسَ مثلاً يُشتقُّ منها: دارسٌ، مدرّسٌ، دراسةٌ.... فنجدُ موضعَ الدال هو الفاءُ، والراء هو العينُ، والسين هو اللامُ.

التزامُ المادةِ اللغويةِ على دلالةٍ واحدةٍ وهذا يعني أن المادةَ لا تتغيرُ إلاّ بالمجازِ والخروجِ عن الحقيقةِ أو النحتِ من أصولٍ لغويةٍ.

ويتحدّدُ المعنى الخاصُّ لكلِّ كلمةٍ من هذه الكلماتِ المشتركةِ في الجذرِ اللغويِّ بمعاييرٍ أخرى، فالحركاتُ المختلفةُ من ضمٍّ وفتحٍ وكسرٍ- تشكّلُ الصيغَ المختلفةَ داخلَ الإطارِ الدلاليِّ الذي حدّدتهُ الصوامتُ كبناءِ الفعلِ للمعلومِ والمجهولِ، أو بإضافةِ السوابقِ كالميمِ في مدرّسٍ من دَرَسَ، أو عن طريقِ إلحاقِ نهايةٍ تؤدّي معنى محددًا كالجمعِ والتثنيةِ.

وعلى هذا يقومُ بناءُ الكلمةِ في اللغاتِ العروبيةِ على أساسينِ متكاملينِ: هُما/ المادةُ اللغويةُ، والوزنُ.

وتُصنّفُ الأسماءُ في اللغاتِ العروبيةِ وفقَ معاييرَ ثابتةٍ يمكنُ تطبيقها على كلِّ اللغاتِ العروبيةِ لأنّها مستخرجةٌ منها، وعلى ذلكَ يمكنُ ملاحظةَ تحديدِ معاييرِ تغيراتِ الصيغِ في الأسماءِ وفقَ ثلاثةِ جوانبٍ: العددِ/ الحالةِ الإعرابيةِ/ الجنسِ.

والمقصودُ بالعددِ كلُّ ما يتعلّقُ بالأفرادِ والتثنيةِ والجمعِ، فكلُّ اسمٍ في اللغاتِ العروبيةِ لابدّ أن يعبرَ عن مفردٍ أو عن مثنيٍّ أو جمعٍ، وهذا الأمرُ غيرُ موجودٍ في اللغاتِ الأوربيةِ الحديثةِ فتقسيمُ الأسماءِ فيها تقسيماً ثنائياً، فهناك صيغةٌ للمفردِ تسمى «(singular)» وصيغةٌ لغيرِ المفردِ تسمى (plural)^(١).

فالاسمُ الدالُّ على اثنينٍ أو اثنتينِ له في اللغاتِ العروبيةِ صيغةٌ متميزةٌ هي صيغةُ المثنيِ القياسيةُ في اللغةِ العربيّةِ، ويبدو أن صيغةَ المثنيِ كانتُ هكذا في اللغةِ العروبيةِ

١. يُنظر: علم اللغة العربية: ١٤٨.

الأمّ، ولكنّ استخدام هذه الصيغة قلّ في بعض اللغات السامية مثل العبرية، فلم تُعدّ صيغةُ المثني تستخدمُ فيها إلاّ في الأشياء التي توجد في الواقع الخارجي مثلى مثل: اليدين والرجلين.

أمّا الحالة الإعرابية: فذات تنوع ثلاثي، وقد أطلق النحاة العربُ على هذه الحالات الإعرابية مُصطلحات: الرفع والنصب والجرّ، ويعدّ الإعرابُ على هذا النحو الثلاثي في العربية امتداداً للغة العروبية الأولى، وقد احتفظت اللغة العروبية الأكديّة بظاهرة الإعراب على هذا النحو أيضاً، فالخطُّ الأكديُّ يثبت الحركات دائماً، ولذا فقد أمكن التعرف من رموزه المدونة على حقيقة أن الاسم في الأكادية كان يتخذ ثلاثة أشكال، ينتهي أحدها بالضمّة وثانيها بالكسرة وثالثها بالفتحة، وتطابق هذه الأشكال الثلاثة للاسم الأكديّ الأشكال المقابلة في العربية بالضمّة والكسرة والفتحة.

ولم تحتفظ أكثر اللغات العروبية بالنهايات الإعرابية، ولكنّ الباحثين يرون الإعراب على نحو ما تعرفه العربية وما عرفته الأكديّة ظاهرة أصيلة في اللغات العروبية الأولى.

أمّا من ناحية الجنس، فصنّف اللغات على هذا النحو أي ما يُطلق عليه بالمدكّر والمؤنث، ولا علاقة هنا بين الواقع الخارجي والصيغ اللغوية، وإنّما تعارف النحويون على وصف صيغة الاسم بأثما من المدكّر أو المؤنث على سبيل الاصطلاح والتقريب فقط، وتضح نسبة هذا التقسيم بالنظر في الأشياء التي ليس لها بحكم طبيعتها أي نصيب من التذكير والتأنيث مثل: الكتاب والشمس... إلخ «الجنس في هذا يخضع للواقع الخارجي» ولكن كلّ اسم في اللغة العربية أو في اللغات السامية الأخرى ينبغي أن يُصنّف من ناحية الجنس، وهنا تصبّح بعض هذه الأشياء من المدكّر وبعضها من المؤنث لاعتبارات شكلية، أو تعكس بعض رواسب الفكر الإنساني القديم، فكلّ الأسماء الدالّة على الجمادات التي تنتهي بتاء التأنيث تُصنّف في

العربية على أنها كلمات مؤنثة، كلفظ: المنضدة. وهناك لغات أخرى لاتصف الأسماء وفق هذا الاعتبار «مذكر، مؤنث» بل تأتي بقسيم ثالث يسمى «بالاسم المحايد» كاللغات الجرمانية.

الصيغة الصرفية للفعل: تُصنّف اللغات العروبية الفعل فيها إلى صيغ عدة، ويُطلق على هذه الصيغ الموجودة في العربية: المضارع والماضي والأمر، وهكذا حال الفعل في اللغات العروبية القديمة في الشام والحبشة، ولكن اللغة الأكديّة طورت لنفسها نظاماً مخالفاً إلى حد ما، ففيها الكثير من الصيغ الفعلية التي لا تعكس ظاهرة موروثّة على نحو مباشر من اللغة السامية الأم، لأنّ الفعل في اللغات العروبية له زمانان الماضي والحال أو الاستقبال، ويُستثنى من ذلك اللغة الأكديّة فيها للفعل ثلاثة أزمنة هي زمنٌ انتهى وزمنٌ الحال وزمنٌ ممتدٌ مستمرٌ. والزمن في العربية فيه نوعٌ من التنوع وإن كانت الصيغ الصرفية غير متنوعة، فالماضي يُستعمل للتعبير عن الحاضر أو المستقبل كجملة الشرط، والحال عينها في المضارع المنفيّ وزمن الماضي لم يكتب، والماضي المستمر، كان يكتب، ويتحدّد معنى الصيغة المستعملة وفق بنية الجملة والقرائن اللفظية والمعنوية التي تحدّد الزمن النحويّ إلى جانب دلالة الصيغة الصرفية.

في بناء الجملة^(١):

أما من ناحية بناء الجملة فالاختلاف كبير بين اللغات العروبية في عصورها القديمة واللغات العروبية في العصور التالية، ويبدو أنّ اللغة العروبية الأولى لم تكن ذات جمل طويلة، بل كانت جملًا قصيرة وترتبط الجملة بالأخرى عن طريق الواو، وهذا الأمر موجود في العبرية والعربية، فالعربية والعبرانية كلتاهما تبدأ الجملة الفعلية فيها بالفعل ولا يلزم أن نذكر اسمًا قبل الفعل لا مضمراً ولا ظاهراً، فتقول طلعت الشمس وظهر الحق، ولو ذكرنا الضمير «أنا» قبل الفعل الماضي لم يصح

١. يُنظر: علم اللغة العربية: ١٤٨.

إِسْنَادُ الْفِعْلِ إِلَيْهِ بَل تَتَّصِلُ بِهِ وَجُوبًا تَاءً مَتَكَلِّمٌ فَنَقُولُ فِي الْعَرَبِيَّةِ: أَنَا تَعَلَّمْتُ وَفِي الْعِبْرَانِيَّةِ: إِنِّي لَامَدْتُ^(١) وَلَكِنَّ الْجُمْلَةَ فِيهَا بَعْدُ أَخَذْتُ حَجْمًا وَشَكْلًا آخَرَ، إِذْ أَصْبَحَتْ جُمْلَةً طَوِيلَةً وَمُعَقَّدَةً، فَالْجُمْلَةُ الْعَرَبِيَّةُ تَعْقِدُ مَعَ تَطَوُّرِ الْفِكْرِ وَرَقِيَّةً تَعْقِدًا كَبِيرًا، وَأَهْمُّ مَكُونٍ لِلْجُمْلَةِ الْعَرَبِيَّةِ «الْفِعْلُ» الَّذِي يَرْبِطُ بِهِ الْاسْمَ أَوْ الضَّمِيرَ ارْتِبَاطًا وَثِيقًا.

الاشتراك في الألفاظ الأساسية:

هنالك ألفاظٌ أساسيةٌ تشترك فيها اللغاتُ العروبية، أي أن هذه الألفاظُ ترجعُ إلى أصلٍ اشتقاقِيٍّ واحدٍ في اللغةِ العروبيةِ الأمِّ. فكلمةُ «هالك» في العربيةِ يقابلُها في العبريةِ «هالخ»، ومعنى ذلك أن كلا الفعلين يرجعُ إلى الجذرِ اللغويِّ «ه، ل، ك» أمَّا دلالةُ الفعلِ في العربيةِ يدلُّ على الذهابِ إلى العالمِ الآخِرِ، أمَّا في العبريةِ فيدلُّ على مُطَلَقِ الذهابِ.

ومثل ذلك كلمةُ «لحم» في العربيةِ و العبريةِ، إلا أن دلالتها في العبريةِ تختلفُ عن العربيةِ أي أنها تدلُّ على «الخبز»، ولعلَّ هذه الدلالةُ ترشحتُ من اللغةِ الأمِّ التي أدَّتْ فيها لفظُ «لحم» معنى الطعامِ اليابسِ، وعلى هذا يكونُ المعنى في العبريةِ ضَرَبٌ من التخصيصِ^(٢).

ومن الكلماتِ المتشابهةِ في اللغاتِ الساميةِ «أخ، ماء، بيت، عين، رأس، كلب، لسان...»

١. يُنظَرُ: حديث مع زائر كريم مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. السنة السادسة. العدد الرابع. ربيع

الثاني ١٣٩٤هـ. أبريل ١٩٧٤م. ص: ٢٠.

٢. يُنظَرُ: علم اللغة العربية: ١٤٨.

العربية	الإثيوبية	الأكادية	الأوغاريتية	الآرامية	العبرية
أخ	أختُ	أخو	أخ	أحَا	أخ
بعل	باعِل	بيلُ	بعل	بعَلا	بعل
كَب	كب	كلبُ	كلب	كبا	كَلف
دُبَاب	زَهب	زَهبُ	.	دَبَاثَا	زَفوف
زَرع	زَرع	زيرُ	درع	زرعا	زرع
رأس	رِيس	رِيشُ	ريش	ريشا	رَأش
عين	عين	ينُ	عن	عينَا	عَيْنُ
لسان	لسان	لِشان	لسن	لِشَانَا	لِشَن
سِن	سِن	شَنُ	.	شِنَانَا	شِن
سماء	سماي	شمو	شم	شَمِيَا	شمايم
ماء	ماي	مُو	مي	مِيَا	مِيم
بيت	بِت	بِيتُ	بت	بيتَا	بِيتُ
سلام	سلام	شلامُ	شلم	شِلَامَا	شَلوم
اسم	سِم	سُمُ	شم	شِمَا	شِم

إنَّ أكثرَ هذه الخصائصِ المشتركةِ موروثَةٌ عن اللغةِ العروبيةِ الأُمِّ، فتلكَ الظواهرُ ميراثٌ عروبيٌّ قديمٌ، وقد تواضعتْ هذه اللغاتُ بعضَ الألفاظِ والصياغاتِ اللغويةِ.

الفصل الرابع

الكتابات العروبية وبدايات الخط العربي

١. الكتابات العروبية المرحلة الأولى: المرحلة الصورية

بدأت الكتابة في بلاد ما بين النهرين في سومر وفيها تطوّرت ومنها انطلقت إلى مصر ثم إلى باقي أرجاء المعمورة، وكانت هذه اللغة أول لغة إنسانية وجدت طريقها إلى التدوين، فكانت الكتابة صورية في بداياتها، ثم تطوّرت نحو الكتابة المقطعية، وفي الربع الأخير من الألف الرابع قبل الميلاد أو قبل ذلك بقليل، بدأت بواكير الكتابة الصورية في مدينة الوركاء، إذ عُثر في الطبقة الرابعة من موقع الوركاء على كتابات تمثلت بأشكال وصور سُميت بـ (الكتابات الصورية)، ثم تطوّرت الكتابة الصورية في مراحل لاحقة إلى الكتابة الرمزية المقطعية، ثم إلى الكتابة المساريرية المعروفة، والمساريرية ترجمة للمصطلح الإنكليزي (Cuneiform) التي تعني (شكل الإسفين أو المسار)، لأن رموز هذه الكتابة تنتهي بشكل يشبه المسامير، وحلت رموز الكتابة المساريرية في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، إذ عُثر على جملة من النصوص المدونة التي تُرجمت فيما بعد و أفصحت عن طبيعة الكتابات في

تِلْكَ الْمَرْحَلَةَ^(١)، وَكَانَتْ طَبِيعَةُ الْكِتَابَةِ الْمِسَارِيَّةِ فِي الْأَصْلِ كِتَابَةً صُورِيَّةً بِمَعْنَى أَنَّهُ إِذَا أَرَادَ الْكَاتِبُ أَنْ يَكْتُبَ الْكَلِمَةَ الدَّالَّةَ عَلَى الرَّجُلِ فَإِنَّهُ يَرِثُ هَيْئَةَ الرَّجُلِ، تَمَامًا مِثْلَمَا نَرَى فِي الْكِتَابَةِ الْهَيْرُ وَغَلِيفِيَّةِ الَّتِي هِيَ أَيْضًا كِتَابَةً صُورِيَّةً. وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْكِتَابَتَيْنِ الصُّورِيَّتَيْنِ الْمِسَارِيَّةِ وَالْهَيْرُ وَغَلِيفِيَّةِ يَكْمُنُ فِي أَنَّ أَشْكَالَ الْكِتَابَةِ الْمِسَارِيَّةِ الَّتِي تَطَوَّرَتْ بِسُرْعَةٍ لِيَتَّخِذَ أَشْكَالًا مُجَرَّدَةً هِيَ أَشْكَالُ الْمَسَامِيرِ وَمِنْ ثَمَّةِ تَسْمِيَّتِهَا بِالْكِتَابَةِ الْمِسَارِيَّةِ بَيْنَمَا حَافِظَتْ الْكِتَابَةُ الْهَيْرُ وَغَلِيفِيَّةِ عَلَى أَشْكَالِهَا الصُّورِيَّةِ الْبِدَائِيَّةِ.

وَالْكِتَابَةُ الصُّورِيَّةُ كِتَابَةٌ صَعْبَةٌ لِأَنَّهَا تَقْتَرِضُ وَجُودَ صُورَةٍ لِكُلِّ مُسَمًّى، وَهُوَ مَا يَجْعَلُ حِفْظَهَا وَاسْتِعْمَالَهَا بِوَضُوحٍ أَمْرًا صَعْبًا لِكثْرَةِ الْمُسَمَّيَاتِ وَالْأَشْيَاءِ وَكَثْرَةِ الْأَشْتِرَاكِ فِي مَعَانِي صُورِهَا. أَضِفْ أَنَّ كِتَابَةَ الْمَفَاهِيمِ الْفِكْرِيَّةِ وَالْمَجَازِ شَبْهٌ مُسْتَحِيلٌ فِي هَذِهِ الْكِتَابَةِ لِصُعُوبَةِ تَصْوِيرِهَا. وَلِلتَّمثِيلِ عَلَى ذَلِكَ نَنْظُرُ فِي مَا طَالَعْنَا بِهِ إِسْرَائِيلَ وَلِفُونَسُو فِي كِتَابِهِ تَارِيخَ اللُّغَاتِ السَّامِيَّةِ إِذْ دَلَّ السُّومَرِيُّونَ عَلَى كَلِمَةِ /الله/ بَلَّغْتَهُمْ - وَهِيَ إِلٌّ - بِنَجْمَةٍ. وَالنَّجْمَةُ تُشِيرُ إِلَى السَّمَاءِ، وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ السُّومَرِيِّينَ كَانُوا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ الْإِلَهَ إِنَّمَا يَكُونُ فِي السَّمَاءِ. مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى بَاتَتْ صُورَةُ النَّجْمَةِ مُشْتَرَكَةً لِأَنَّهَا تَدُلُّ عَلَى (النَّجْمَةِ)^(٢).

المرحلة الثانية: المرحلة المقطعية

استخدم العروبيون الشرقيون (البابليون، والآشوريون) الخطَّ المساريَّ المعقدَّ إلى أقصى حدٍّ، الذي وضعه سلفهم الذين كانوا قبلهم في بابل وهم السُّومَرِيُّونَ، وعلى العكس من ذلك يكتب العروبيون الغربيون أبجديةً مشتركةً مكوَّنةً من اثنين

١. يُنظَرُ: الأبجدية، نشأة الكتابة وأشكالها عند الشعوب: ٣٤، والعراق في التاريخ القديم (د. عامر

سليمان): ٢٥٩، تاريخ اللغات بالعروبية: ٣٣

٢. يُنظَرُ: تاريخ اللغات بالعروبية: ٣٥.

وعشرين أصلاً^(١). والكتابة المقطعية الصوتية تتكوّن من مقاطع صوتية تبدأ بحرفٍ صامتٍ يتبعه حرفٌ صائتٌ قصيرٌ مثل /ب/، /بُ/، /بِ/، أو يتبعه حرفٌ صائتٌ ممدودٌ مثل /با/، /بو/، /بي/،^(٢) وأولٌ من مَارسَهَا هم أواخرُ السُّومريين وأوائلُ الأكاديين^(٣). وتمرُّ قراءةُ الكتابةِ المسارِيةِ المقطعيةِ بثلاثِ مراحلٍ هي:

١. قراءة النصّ الأكاديّ ونقل المقاطع الصوتية المسارِيةِ إلى العربيّة.

٢. تجميع المقاطع الصوتية وتكوين الكلمات.

٣. القراءة والترجمة.

مثال على رسم الكتابة المسارِية:

١. بَع. عَل ش. م. اي وإر. ص. تم (نقل المقاطع إلى العربيّة)

٢. بَعْل شَمِي وإرَصْتِم (جمع وتركيب المقاطع)

٣. (رَبُّ السماوات والأرض). (القراءة والترجمة)

ومن الجدير بالذكر أن الهيروغليفيّة طورت أيضاً، في مرحلةٍ لاحقةٍ، كتابةً مقطعيةً أيضاً، لكنّ العناصر الصوتية في الهيروغليفيّة لا تتفق مع الكتابة السومرية لأنّ في المبدأ وهو التعبير في كلتا اللغتين بالخطّ عن الأصوات الصامتة لا غير^(٤).

والكتابة المقطعية تتكوّن من ٢٠٠ إلى ٤٠٠ مقطع صوتيٍّ حسب أصوات اللغة المستعملة لها. ومن اللغات التي ما تزال تستعمل الكتابة المقطعية حتى اليوم: اللغة الأمهرية، وهي لغةٌ عروبية تُعتبر امتداداً للجزيرية، لغة مملكة أكسوم في الحبشة. فالكتابة الجزيرية/ الأمهرية هي كتابةٌ مقطعيةٌ مشتقةٌ من خطّ المسند الحميري. وهذا

١. يُنظر: فقه اللغات بالعروبية: ٣٥

٢. يُنظر: علم اللغة العربيّة: ١٥٤.

٣. يُنظر: تاريخ اللغات بالعروبية: ٣٤

٤. المصدر نفسه: ٣٤، وفقه اللغات بالعروبية: ٣٥، علم اللغة العربيّة: ١٥٤

من عجائب اللغات لأنَّ الأحباش أخذوا الكِتَابَةَ الأبجديةَ الَّتِي تُعَدُّ آخرَ مرحلةٍ من مَراحِلِ تَطَوُّرِ الكِتَابَةِ، وحوَّلوها إلى كِتَابَةٍ مقطعيةٍ.

وَكَانَ الخَطُّ المِسَارِيُّ يُكْتَبُ مِنَ الشَّالِ إِلَى اليمِينِ وَيُوضَعُ عَلَى شَكْلِ عَمُودِيٍّ أَوْ أَفْقِيٍّ عَلَى حَسَبِ مَا تَقْتَضِيهِ العلامَةُ المرادُ كتابَتُها وعلى حَسَبِ المعنى المقصودِ من تلكَ العلامَةِ^(١).
































الأبجديات العربية حسب الترتيب الزمني:

١. الأبجدية الأوغاريتية:

هي أقدمُ كِتَابَةٍ أبجديةٍ عروبيةٍ ظهرتْ إلى الوجودِ بدايةَ الألفية الثانية قبل الميلادِ غربيَّ سورِيَّة. اشتقَّ الأوغاريتيون أشكالَ أبجديَّتهم من الكِتَابَةِ المِسَارِيَّةِ ولقد اتبعَ الأوغاريتيون النُّظَامَ الأبجديَّ في تدوينِ اللغةِ وترجعُ كلمةُ (أبجدية) إلى ترتيبهم للحروفِ الَّتِي كتبوا بها لغتهم^(٢).

الأبجدية الأوغاريتية^(٣).

الأبجدية الأوغاريتية

										
alpha	beta	gamla	ha	delta	ho	wo	zeta	hota	tet	
'a	b	g	h	d	h	w	z	h	t	
										
yod	kaf	šin	lamda	mem	gal	nun	zu	samka	ain	
y	k	š	l	m	g	n	z	s	'	
										
pu	shade	qopa	rasha	taana	gain	to	i	u	s2u	word divider
p	š	q	r	t	g	t	'i	'u	s2	divider

١. يُنظَرُ: تاريخ اللغات بالعروبية: ٤٠.

٢. يُنظَرُ: علم اللغة العربيَّة: ١٦٠، وتاريخ اللغات بالعروبية: ٤٥، ١٠٦.

٣. يُنظَرُ: المدخل إلى فقه اللغة: ٩٨.

٢. الأبجدية الفينيقية

الكتابة الأبجدية الفينيقية هي امتدادٌ مباشرٌ للأبجدية الأوغاريتية، وقد ذهب الفينيقيون إلى تبسيط نظام الكتابة وجعلوها أبجديةً، إذ احتفظ الفينيقيون بفكرة النظام الأبجدي، غير أنهم عدّلوا أشكال الحروف لتصبح سهلةً في الكتابة، فضلاً عن ذلك أنهم احتفظوا بذلك الترتيب الأوغاريتي للحروف^(١).

هيئة الكتابة الفينيقية:

𐤀	𐤁	𐤂	𐤃	𐤄	𐤅	𐤆	𐤇	𐤈	𐤉	𐤊
kaph	yōdh	tēth	hēth	zayin	wāw	hē	dāleth	gīmel	bēth	'āleph
palm	hand	good	wall	weapon	hook	window	door	camel	house	ox
[k]	[j]	[tʰ]	[ħ]	[z]	[w]	[e]	[d]	[g]	[b]	[ʔ]
𐤋	𐤌	𐤍	𐤎	𐤏	𐤐	𐤑	𐤒	𐤓	𐤔	𐤕
tāw	šīn	rēš	qōph	šādē	pē	'ayin	sāmekh	nun	mēm	lāmedh
mark	tooth	head	eye of needle	papyrus	mouth	eye	fish	serpent	water	goat
[t]	[ʃ]	[r]	[q]	[sʰ]	[p]	[ʕ]	[s]	[n]	[m]	[l]

٣. الأبجدية الآرامية

يُطلق على مجموعة النقوش القديمة المدونة بالآرامية مصطلح الآرامية القديمة، وتعود هذه النقوش إلى القرن العاشر قبل الميلاد والقرن الثامن قبل الميلاد، إذ وُجِدَتْ هذه النقوش في مناطقٍ مختلفةٍ من الشام والعراق^(٢).

١. يُنظر: المصدر نفسه: ١٦٣، والمدخل إلى دراسة تاريخ اللغات الجزرية: ٢٣.

٢. يُنظر: علم اللغة العربية: ١٧٢، ويُنظر: الأساس في لغة العربية ورومتها: ١٢٠.

כ	ד	ה	ו	ז	ח	ט	י	כ	ל	מ	נ	ס	ע	פ	צ	ק	ר	ש	ת	
kāph	yudh	ṭēth	ḥēth	zain	waw	hē	dālath	gāmal	bēth	ālah										
[k/x]	[j/i/e:]	[tʰ]	[h]	[z]	[w/o/u:]	[h]	[d/ð]	[g/ɣ]	[b/v]	[ʔ/a/e:]										
ט	ש	ך	ץ	כּ	ך	וּ	וּ	וּ	וּ	וּ	וּ	וּ	וּ	וּ	וּ	וּ	וּ	וּ	וּ	וּ
tau	shin	rēsh	qoph	ṣādhē	pē	'ē	semkath	nun	mim	lāmadh										
[t/θ]	[ʃ]	[r]	[q]	[sʰ]	[p/f]	[ʕ]	[s]	[n]	[m]	[l]										

وقد تمثلت الأبجدية الآرامية بالكتابات التي تمثلت بها لهجاتها الشرقية والغربية.

٤. الأبجدية العبرية

لقد تأثرت الأبجدية العبرية بالأوغاريتية وهذا ما تمثل في عدد حروفها، إذ تمثلت بخمسة وعشرين حرفاً صامتاً، فضلاً عن ذلك أن الترتيب الألفباء العبري مشابه لترتيب حروف الهجاء الأوغاريتي، والأبجدية العبرية تقوم على اختزال الأصوات حيث يُمزج صوت الحاء مع صوت الهاء والتاء مع الشين والدادل مع الزاي والغين مع العين^(١)، فضلاً عن ذلك أن الكتابة العبرية القديمة كانت تُدوّن في مراحلها الأولى دون حركات، وكانت إضافة الحركات في مرحلة تالية^(٢).

כ	ד	ה	ו	ז	ח	ט	י	כ	ל	מ	נ	ס	ע	פ	צ	ק	ר	ש	ת	
kaf	yod	tet	chet	zayin	vav	he	dalet	gimel	bet	alef										
ט	ש	ך	ץ	כּ	ך	וּ	וּ	וּ	וּ	וּ	וּ	וּ	וּ	וּ	וּ	וּ	וּ	וּ	וּ	וּ
tav	shin/sin	resh	kof	tzadi(k)	pe	ayin	samech	nun	mem	lamed										

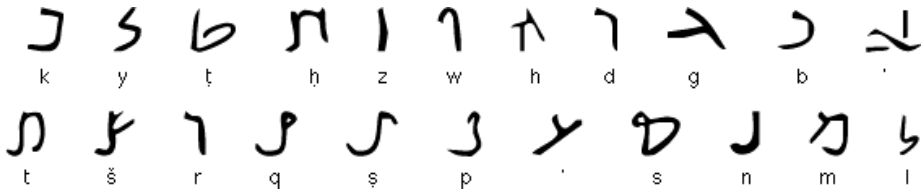
١. يُنظر: المدخل إلى دراسة تاريخ اللغات الجزرية: ٦٣-٦٤.

٢. يُنظر: علم اللغة: ١٦٨.

٥. الأبجدية النبطية:

اشتقت الأبجدية النبطية من الأبجدية الآرامية التي اعتمدت الكتابة الفينيقية دون تغييرٍ منهم، وأشكال الحروف وطبيعة رسمها تشي بذلك الأثر الآرامي في الكتابة النبطية، ويرى بعض الباحثين أن الكتابة الآرامية النبطية قد أسهمت في بناء الخط العربي وهذا ما يتمثل في كثير من الكتابات التي نقلت عن العرب من خلال النقوش التي عُثر عليها^(١) ولم يكن للأبناط قلم بل كتبوا كما كان يكتب جيرانهم، لأنهم في الأصل شعب بدوي يلهج بلغة محلية منطوقة غير مدونة^(٢).

هيئة الكتابة النبطية:



٦. الأبجدية السريانية

للسريان ثلاثة أقلام وهي المفتوح ويُسمى «أسطرنجلا» وهو أجملها وأحسنها، والتحرير المخفف ويُسمى «أسكوليثا» وله شكل مدور، و«السرطا» ونظيره في العربية قلم الرقاع^(٣) وقد ظهرت الأبجدية السريانية إلى الوجود في بداية القرن الثاني للميلاد، وهي أبجدية مشتقة من الآرامية القديمة، قال ابن النديم: «قال تبادروس

١. يُنظر: تاريخ اللغات بالعروبية: ١٤٥-١٤٩، ويُنظر: الأساس في فقه اللغة (فولفد تيريش فيشر: ٧٨)

٢. يُنظر: علم اللغة العربية: ١٨١-١٨٢، والمدخل إلى فقه اللغة العربية: ٨١.

٣. يُنظر: الفهرست: ١٢.

المفسر في تفسيره للسفر الأول من التوراة: إن الله تبارك وتعالى خاطب آدم باللسان النبطي، وهو أفصح من اللسان السرياني، وبه كان يتكلم أهل العراق^(١). وتعرف الأبجدية السريانية التي ظهرت في القرن الثاني للميلاد باسم «كتابة الإسترانجلا»^(٢) وهي تسمية يونانية تعني «الكتابة المستديرة»، أُطلقت على هذه الكتابة التي استعملها المسيحيون السوريون في كتاباتهم الدينية وخصوصاً في ترجمتهم أسفار الكتاب المقدس المعروفة باسم «بشيتا»، أي «الترجمة البسيطة»، التي سُميت هكذا لحرفية النقل عن العبرية، - وذلك لتمييز كتابة الإسترانجلا من «الكتابة المربعة» التي استعملها اليهود في تدوين أسفارهم.

بعد الانشقاق الذي وقع في القرن الخامس للميلاد بين صفوف السريان إلى يعاقبة ونساطرة، وهروب النساطرة من البيزنطيين إلى بلاد فارس، تفرغ عن كتابة الإسترانجلا كتابتان: «كتابة السرطا» وتعرف اليوم باسم «كتابة السرطو» التي يستعملها اليعاقبة، و«الكتابة النسطورية»^(٣).

ويرى كثير من القدماء أن الخط الاسترنجلا هو أصل الخط العربي^(٤) على الرغم من أنه لم يكن له نظام حركات لتشكيل الكلمات وضبط الأصوات، كما هو حال الكتابة العربية، لذلك يمكن القول بأن أثره محدود في الكتابة العربية ويكاد ينحصر في الخط العربي المعروف بالخط الكوفي الذي يشبهه برسمه الهندسي^(٥) وأما اليعاقبة فاستعاروا من اليونانيين أحرفهم الصوتية لضبط أصوات لغتهم، فاستعانوا بالحروف الصوتية اليونانية فرسموها فوق الحروف كما هي، وتحت الحروف

١. الفهرست: ١٢.

٢. ينظر: الفهرست: ١٢.

٣. ينظر: تاريخ اللغات بالعروبية: ١٤٥-١٤٩.

٤. ينظر: الكتابات القديمة: ٢٢٤-٢٢٥.

٥. ينظر: الأبجدية، نشأة الكتابة وأشكالها عند الشعوب: ٨٦.

مقلوبة^(١)، بيّنا أخذ النّساطرّة ذلك عن العرب:

٧. هيئة كتابة الإسطرانجلا:

ك	ت	ث	د	ذ	ر	ز	ح	ج	خ	كاف	ك
kap	yodh	téith	héith	zâyn	waw	hé	dalâth	gamâl	béith	alâp	
k, k/kh	y	t̥	h	z	w	h	d, d/dh	g, g/gh	b, b/bh		
[k, x]	[j]	[t̥]	[h]	[z]	[w]	[h]	[d, ð]	[g, ɣ]	[b, v]	[ʔ]	
20	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1	
د	ط	ظ	ق	ق	س	ف	ص	ض	ع	هـ	ح
taw	sheen	résh	qop	ṣadhé	pé	'ain	simkâth	nun	meem	lamâdh	
t, t/th	sh	r	q	ṣ	p, p/ph	'	s	n	m	l	
[t]	[ʃ]	[r]	[q]	[s]	[p, f]	[ʔ]	[s]	[n]	[m]	[l]	
400	300	200	100	90	80	70	60	50	40	30	

خط المسند

ذهب بعض الباحثين إلى أنّ الخطّ المسند هو الخطّ الذي دوّنت به النقوش اللحيانية التي يعود تاريخها إلى سنة (٤٠٠) وسنة (٢٠٠) ق.م والنقوش الشمودية التي تعود إلى القرن الخامس ق.م^(٢)، وقد كُتبت النقوش العربيّة القديمة بخطّ أبجديّ يتكوّن من ٢٩ رمزاً، إذ يقوم الخطّ المسند على أساس الصّوامت فقط، فهو خطّ لا يقوم على تدوين الحركات^(٣).

أمودج من الخطّ المسند:

⌘	⌘	⌘	⌘	⌘	⌘	⌘	⌘	⌘	⌘	⌘	⌘	⌘
q	m	l	k	y	t̥	h	z	w	ḡ	h	d	g
⌘	⌘	⌘	⌘	⌘	⌘	⌘	⌘	⌘	⌘	⌘	⌘	⌘
t	ḡ	t̥	r	q	ṣ	f	'	z	s ²	s ²	s ¹	z
												n

١. يُنظر: تاريخ اللغات بالعروبية: ١٤٥-١٤٩

٢. فقه اللغة، وافي: ١٠٠.

٣. يُنظر: علم اللغة العربيّة: ١٨٥

٨. الأبجدية العربية الشمالية:

قيل إنَّ آدمَ عليه السلامُ هو أولُ مَنْ كَتَبَ بالعَرَبِيَّةِ^(١) وعن ابنِ عبدِ ربِّهِ الأندلسيِّ- أنه يزعمُ أنَّ النبيَّ إدريسَ عليه السلامُ أولُ مَنْ كَتَبَ بالعَرَبِيَّةِ. ثمَّ يعودُ، أسطراً بعدَ ذلكَ، ليقولَ إنَّ النبيَّ إسماعيلَ هو أولُ مَنْ كَتَبَ بالعَرَبِيَّةِ^(٢) إذْ دخلَ مع اللغَةِ العَرَبِيَّةِ الحديثَةُ الخطُّ النبطيُّ المأخوذُ من الفينيقيينَ، وقيلَ إنَّه نسبةٌ لنباتِ بنِ إسماعيلَ عليه السلامِ. وأخذَ ذلكَ الخطُّ مكانَ الخطِّ الثموديِّ في شمالِ الجزيرةِ، وأصبحَ الخطُّ المعتمَدُ في لغةِ مضرَ (العَرَبِيَّةِ الحديثَةِ)، أمَّا لغةُ حميرَ (العَرَبِيَّةِ القديمةِ الجنوبيَّة) فحافظتْ على الخطِّ المُسنَدِيِّ.

وكانَ أقدمُ نصِّ عربيٍّ مكتشفٍ مكتوباً بالخطِّ النبطيِّ وهو (نقشُ النمارَةِ) المكتشفُ في سوريا، الذي يرجعُ لعامِ ٣٢٨م. وفي الفترةِ السابقةِ للإسلامِ كانتَ هناكَ خطوطٌ أخرى حديثَةٌ للغةِ مضرَ مثلَ الخطِّ الحيريِّ (نسبةً إلى الحيرةِ)، والخطِّ الأنباريِّ (نسبةً إلى الأنبارِ).

وعندما جاءَ الإسلامُ كانَ الخطُّ المستعملُ في قريشٍ هو الخطُّ النبطيُّ المطوَّرُ، وهو الخطُّ الذي استخدمَه النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في كِتَابَةِ رسائلِهِ للملوكِ والحكامِ حينذاكِ، ويُلاحظُ في صورِ بعضِ تلكَ الخطاباتِ الاختلافُ عن الخطِّ العربيِّ الحديثِ الذي تطوَّرَ من ذلكَ الخطِّ. وبعضُ المختصِّينَ يعتبرونَ ذلكَ الخطُّ النبطيِّ المطوَّرَ عربياً قديماً، وأقدمُ مكتشفاتٍ منه (نقشُ زيدٍ) ٥١٣م، و(نقشُ أمِّ الجهمال) ٥٦٨م.

وكانَ الحجازيونَ أولَ مَنْ حرَّرَ العَرَبِيَّةَ من الخطِّ النبطيِّ، وبدأً يتغيَّرُ بشكلٍ متقاربٍ حتى عهدِ الأمويينَ حينَ بدأَ أبو الأسودِ الدؤليُّ بتنقيطِ الحروفِ. وأخذَ

١. صُبْحُ الأَعشى في صِناعَةِ الإنشاء: ٣ / ١٠

٢. العَقْدُ الفَرِيد: ٣ / ١٥٧

الخطُّ النبطي -الذي هو أبو الخطِّ العربيِّ الحديثِ- فالأبجدية العَرَبِيَّةُ الشماليَّة، أبجديتنا الحاليَّة، هي آخرُ الأبجدياتِ العروبيةِ ظهوراً، اشتقَّها عربُ الشمالِ من أبجدياتِ إخوانهم العروبيينِ في الشمالِ، فالخطُّ العربيُّ الشماليُّ هو سليلُ الأبجديةِ العروبيةِ الشماليَّةِ الغربيَّة^(١)، والأبجديةُ العَرَبِيَّةُ الشماليَّةُ هي الأبجديةُ العروبيةِ الوحيدةُ التي استعملتْ حروفَ العلةِ للدلالةِ على الحركاتِ الطويلةِ كما بيَّنا في أعلاه لأنَّ ذلكَ نادرٌ في العبريةِ والسريانيةِ اللتين لم تكونا تثبتانِ الحركاتِ الطويلةَ كِتَابَةً إلا نادراً. أسلفنا أنَّ اللغاتِ العَرَبِيَّةَ القديمةَ كانتْ تكتبُ بالخطينِ المُسَنَدِيِّ والثَّمُودِيِّ.

هيئةُ الكتابةِ العَرَبِيَّةِ:

Final	Medial	Initial	Isolated	Final	Medial	Initial	Isolated	Final	Medial	Initial	Isolated
ق	ق	ق	ق	ز	ز	ز	ز	ا	ا	ا	ا
ك	ك	ك	ك	س	س	س	س	ب	ب	ب	ب
ل	ل	ل	ل	ش	ش	ش	ش	ت	ت	ت	ت
م	م	م	م	ص	ص	ص	ص	ث	ث	ث	ث
ن	ن	ن	ن	ض	ض	ض	ض	ج	ج	ج	ج
ه	ه	ه	ه	ط	ط	ط	ط	ح	ح	ح	ح
و	و	و	و	ظ	ظ	ظ	ظ	خ	خ	خ	خ
ي	ي	ي	ي	ع	ع	ع	ع	د	د	د	د
ء	ء	ء	ء	غ	غ	غ	غ	ذ	ذ	ذ	ذ
				ف	ف	ف	ف	ر	ر	ر	ر

١. يُنظَرُ: الأساس في فقه اللغة، فيشر: ٧٧.

ب. هيئة الحركات العربية:

بَ بِ بٍ بِا بِبي بُوبُ بَبُّ بَّبُّ بَّا

lām 'alif

šadda sukūn

ḍamma kasra fatha

lā

bbu

bbi

bba

bb

b

bū

bī

bā

bu

bi

ba

الخط العربي بعد الإسلام:

بظهور الإسلام ظهرت الحاجة إلى استعمال الخطِّ ومعرفة الكتابة، وقيل أول الخطوط العربية الخطُّ المكيُّ وبعده المدنيُّ ثم الكوفيُّ^(١).

وكان لرسول الله (ص) كتابٌ يكتبون رسائله إلى الملوك والأمراء، وقد بلغ عددهم اثنين وأربعين كاتباً، وأول من كتب له أُبيُّ بنُ أبي كعبٍ، ومن أشهر كتّابِ رسول الله (ص): عليُّ بنُ أبي طالبٍ (ع)، وعثمانُ بنُ عفانٍ (رض)، وعمرو بنُ العاصِ، وزيدُ بنُ ثابتٍ، وشرحبيلُ بنُ حسنة، وغيرهم^(٢).

الإعجامُ ونقطة الإعراب:

إنَّ عدة حروفِ المعجمِ في العربية تسعة وعشرون حرفاً، وبعضُ هذه الحروفِ يشتركُ مع غيره من الحروفِ بالرسمِ في حالة الإفراد، نحو: د، ذ، ر، ز. أو في حالة التركيب، نحو: النون والباء، وعلى هذا الأساس احتيج إلى مميّز يميّز بعض الحروفِ عن بعض ليزول اللبس ويذهب الاشتراك، وقيل إنَّ العربَ الأوائل كانوا لا يميلون إلى هذا الصنيع، لأنَّه في تصوّرهم منقصة بالمرسل إليه، ونُقِلَ عن بعض الأدباء أنه قال: ((كثرة النقطة في الكتابة سوء ظنٍّ بالمكتوبِ إليه)).

١. يُنظَرُ: الفهرست لابن النديم: ٩.

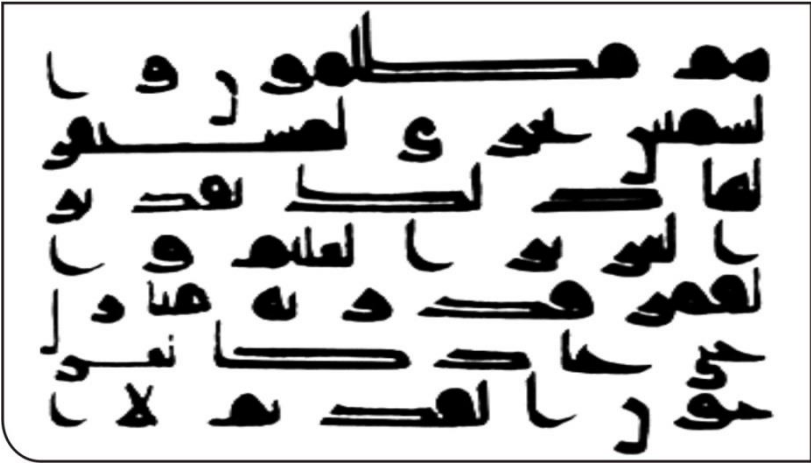
٢. يُنظَرُ: الخط العربي سهيلة الجبوري: ٢٩.

نص من المصحف الشريف بخط الامام علي (عليه السلام) يخلو من نقاط الاعجاز

ديم بقية نوح الزعيم
 قد شئت من ربه
 بغير التبريد
 في قلبه تبارك
 وتعالى
 والفرق ما بين
 المصطفى والرسول
 ان الرسول قد نزل به
 الوحي
 وهو الذي
 يوحى اليه
 من ربه
 والفرق ما بين
 الامام والولي
 ان الامام هو الذي
 يولي الناس
 والفرق ما بين
 النبي والامام
 ان النبي قد نزل به
 الوحي
 والامام هو الذي
 يولي الناس

نص من المصحف الشريف بخط الامام الحسن (عليه السلام)

يا و ما فعله حسام
 يا و ما فعله حسام
 يا و ما فعله حسام
 يا و ما فعله حسام
 يا و ما فعله حسام
 يا و ما فعله حسام
 يا و ما فعله حسام
 يا و ما فعله حسام

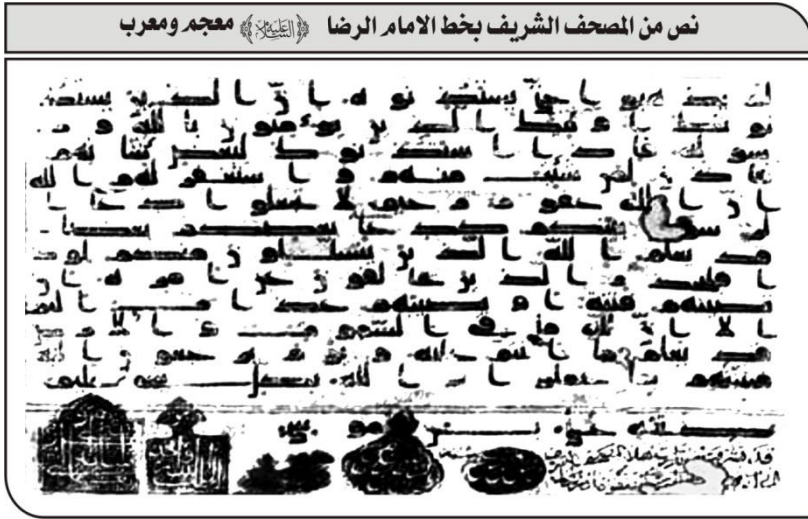


فالملاحظ على تلك النصوص أنها تخلو من نقط الإعجام فضلاً عن علامات الإعراب، ولكن من الغريب أن نجد أن تاريخ الإعجام يعود إلى نشأة الكتابة، وقصة وضع الحروف من قبل ثلاثة رجال من قبيلة بولان هم: مرار بن مرة، وأسلم بن سدره، وعامر بن جدرة، فقد وضع مرار الصورة، ووضع الوصل والفصل أسلم، ووضع عامر الإعجام^(١). ويفهم من هذه الرواية أن الإعجام وُضع مع وضع الحروف، وهذا فيه نظر.

أما بعد الإسلام فيعود تاريخه إلى زمن عبد الملك بن مروان، وقيل إن تلميذي أبي الأسود، نصر بن عاصم، ويحيى بن يعمر قاما بهذا العمل لتمييز الحروف المتشابهة. إذ بلغ عدد الحروف المنقوطة خمسة عشر حرفاً، أما تاريخ وضع نقط الإعراب فتذهب به الرواية إلى أن أبا الأسود الدؤلي هو من قام بهذا الأمر بعدما سمع أعرابياً يقرأ: ((أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ)) بالكسر، فطلب من ابن زياد أن يأتيه

١. يُنظر: الفهرست: ٧، وصبح الأعشى في صناعة الإنشاء: ٣/ ١٥١.

بكاتِبِ لِقَيْنِ، فوجدَهُ من عبدِ قيسٍ، وطلبَ منه أن يأتيَ بالمصحفِ ومدادٍ يخالفُ لونَ مدادِ المصحفِ، وقالَ له: اسمع إلي فإذا وجدْتني فتحتُ شفْتي بحرفٍ فاجعلُ نقطةً فوقه، وإذا أنا كسرتها عندَ نطقي بالحرفِ، فاجعلُ نقطةً تحته، وإذا ضممتُها فاجعلِ النقطةَ إلى جانبِ الحرفِ الذي نطقتُ به، وإذا اتبعتُ شيئاً من الحركاتِ ((عُنَّةً)) أي تنويناً فاجعلِ النقطةَ نقطتين^(١)



أما شكلُ هذه النقاطِ فقد اختلفتُ صورُهُ، فمنهم من رسمها مدورةً مسدودةً الوسطِ، ومنهم من جعلها مدورةً مجوفةً الوسطِ. ثم زاد أهلُ المدينةَ علامةً للحرفِ المشدِّدِ، وزيدتُ أيضاً علامةً أخرى فوضعَ للسكونِ جرةً أفقيةً فوقَ الحرفِ.

وظلتُ طريقةُ أبي الأسودِ مستعملةً إلى أن جاءَ الخليلُ بنُ أحمدَ و وضعَ رموزه

الخاصةَ الَّتِي اقتطعها من صورِ حروفِ العلةِ (و، ا، ي) أما السُّكونُ فرمزَ لها بدائرةٍ

تشبهُ الميمَ، وللتشديدِ رأسُ شينٍ، وللهمزةِ رأسُ عينٍ، وللوصلِ رأسُ صادٍ.

١. يُنظَرُ: وفيات الاعيان: ٢/ ٢١٧ والفهرست: ٤٥، وقصة الكتابة: ٥١، والبحث اللغوي عند

علامات التّرقيم: بعد مرحلتَي الحركات والإعجام، جاءت المرحلة الثالثة مكملّة للمرحلتين السابقتين. ألا وهي وضع علامات الترقيم، فقد كان من عيوب الكِتَابَةِ القديمة في النصّ العربيّ القديم رصُّ الكلماتِ رصّاً متجاوزاً لا فرجةَ بينها، ولا نهايةَ جُمَلِها، ولا فواصلَ تحدُّها، مما نشأ عنه تداخلُ أجزاءِ الجملِ بعضها مع بعضٍ، واضطرابِ المعاني.

ولهذا جاء وضعُ علاماتِ الاستفهامِ، والتعجبِ، والفواصلِ، والنقطةِ، وإلخ

عيوب ومشكلات الخط العربي^(١):

١. إنَّ الحرفَ العربيَّ المنطوقَ يَخْتَلِفُ عن المكتوبِ، فالمكتوبُ عارياً من الحركاتِ يقوِّدُ إلى اللحنِ لا سيما عند المبتدئينِ وقليلي الثقافة.
٢. تعدُّدُ صورِ الحرفِ الواحدِ في الكِتَابَةِ حسبَ موقعه في اللفظِ.
٣. مشكلةُ الظاءِ والضادِ في العربيَّةِ تثيرُ الكثيرَ من الصعوباتِ في إيجادِ الفرقِ بين صوتيهما.
٤. التباينُ بين اللغَةِ الفصحى والعاميةِ في أصواتِ المدِّ القصيرةِ، إذ يُوَثِّرُ في فهمِ الأوزانِ العربيَّةِ.
٥. التَّقارُبُ بين رسمِ الحروفِ يقوِّدُ إلى تحريفِ بعضِ الكلمِ كالذي يحصلُ بين الراءِ والذالِ والحاءِ والميمِ.
٦. إعجامُ الحروفِ أو جدُّ ما يسمى بالتصحيْفِ، وهو نتيجةُ تغييرِ موضعِ النقطِ كأنَّ تزحفَ النقطةُ من حرفٍ منقوْطٍ إلى غيرِه أو تزيدُ في بعضِ الحروفِ.

١ يُنظَرُ: فقه اللغة الدكتور عبد الحسين المبارك: ١٥٦.

الفصل الخامس

اللغة العربية الفصحى... جمعها وتدوينها ومصادرها

جُمِعَتِ المادَةُ اللُّغَوِيَّةُ مِنَ النَّاطِقِينَ بِهَا، بِالذَّهَابِ إِلَيْهِمْ أَوْ مَشَافَهَةً دُونَ تَحْدِيدِ مَنْهَجٍ يَعْينُ عَلَى تَرْتِيبِ المادَةِ اللُّغَوِيَّةِ المَجْمُوعَةِ وَتَبْوِيهِهَا^(١)، وَالباحِثُ فِي تَدْوِينِ الفِكرِ اللُّغَوِيِّ عِنْدَ العَرَبِ لَمْ يَجِدْ سِوَى مَا خَلَّدَهُ القُدَمَاءُ فِي رِوَايَاتِهِمْ -الَّتِي تَنَاقَلَهَا العُلَمَاءُ الأَوَائِلُ فِي مُتَنَصِّفِ القَرْنِ الثَّانِي المِجْرِيّ وَحَتَّى الرَّابِعِ المِجْرِيّ- تَسْجِيلًا لِمَشَافَهَتِهِمْ لِلأَعْرَابِ فِي حِلِّهِمْ وَتَرْحَالِهِمْ، وَيَقُولُ أَبُو عَمْرٍو: «سَمِعْتُ الكَسَائِيَّ يَقُولُ: حَدَانِي عَلَى النِّظَرِ فِي النِّحْوِ أَنِّي كُنْتُ أَقْرَأُ عَلَى حَمْزَةِ الزِّيَّاتِ، فَتَمَّرْتُ بِالحِجَّةِ وَلَا أَتْجُهُ لَهَا وَلَا أُدْرِي مَا الجَوَابُ فِيهَا... وَكَانَتْ قِبَائِلُ العَرَبِ مُتَصِلَةً بِالكُوفَةِ، فَخَرَجْتُ وَأَهْلِي لَا يَعْلَمُونَ بِخُرُوجِي، فَلَمَّا صَرْتُ إِلَى ظَاهِرِ الكُوفَةِ وَلَقِيتُ القِبَائِلَ جَعَلْتُ أَسْأَلُهُمْ فَيُخْبِرُونَنِي مَشَافَهَةً وَيُنْشِدُونَنِي الأَشْعَارَ...»^(٢)، وَمُنْذُ ذَلِكَ الوَقْتِ لَمْ نَلْحِظْ أَيَّ جُهدٍ لُغَوِيٍّ فِي هَذَا المِيدَانِ بِالرَّغْمِ مِنْ ظُهُورِ الجُغْرَافِيينَ العَرَبِ وَتَدْوِينِهِمْ لِلْمَعَارِفِ الجُغْرَافِيَّةِ فِي شَكْلِهَا العَامِّ الوَاسِعِ، وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ مَوْضُوعَةَ الجُغْرَافِيَّةِ اللُّغَوِيَّةِ لَمْ تُكُنْ مِنْ مَوْضُوعَاتِ الدَّرْسِ اللُّغَوِيِّ عِنْدَ القُدَمَاءِ بِمَفْهُومِهَا الحَدِيثِ الوَاسِعِ^(٣) الَّذِي يَقْتَضِي جَمْعَ وَاسْتِقْصَاءَ المَادَةِ اللُّغَوِيَّةِ وَتَوْزِيعَهَا عَلَى خَرَائِطٍ مِيدَانِيَّةٍ حَسَبَ البِئِثَاتِ

(١) يُنْظَرُ: البَحْثُ اللُّغَوِيُّ عِنْدَ العَرَبِ: ٦٢.

(٢) مَجَالِسُ العُلَمَاءِ: ٢٦٦-٢٦٧.

(3) David – Crystal: The linguistic Atlas of England: 30 ((Geographical Identitx)).

اللغوية، وهذا ما يتمثل بالمظهر التسجيلي الذي يرتكز إلى تحديد المادة اللغوية نوعاً وكماً فضلاً عن ذلك تحديد الطرائق المستخدمة في جمع المادة اللغوية من رواة اللغة^(١) ثم العمل على تحليل المادة اللغوية التي جمعت من محيطها الجغرافي وتحديد الفروق لتنوعاتها اللغوية - الصوتية - الصرفية - التركيبية، الدالية - التي جمعت من ذلك المحيط - بل قصدوا إلى هذا الموضوع في إطار منهجه الوصفي الذي يقتضي وصف اللغة أو اللهجة في مستوياتها المختلفة^(٢) وتحديداتها وفصل بعضها عن بعض نتيجة التمايز والاختلاف الصوتي والصرفي والمعجمي فضلاً عن الاختلاف التركيبي، وهذا العمل وفي إطار هذا المنهج يمكن تبويبه ورسم الحدود اللغوية من خلال أنواع الخرائط اللغوية، إلا أن هذا التنوع اللغوي لم يكن في نظر القدماء بمستوى اللسان الفصيح إذ يرون في ذلك نوعاً من الانحراف اللغوي الذي نعتة بعضهم^(٣) باللغات المذمومة أو الشاذة.

أما موقفهم من اللسان الفصيح فقد ذهب بعضهم إلى تحديد التنوع اللغوي الفصيح معتمداً في ذلك المجال الجغرافي الذي تحرك فيه علماء العربية الأوائل - أبو عمرو بن العلاء ويونس بن حبيب وعيسى بن عمر والخليل بن أحمد والكسائي - في شبه جزيرة العرب - إلا أن التحديد المكاني الذي يتمثل باللسان الفصيح لم يكن مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بالتنوع اللغوي، أي لم يرتبط هؤلاء اللغويون المثال اللغوي بذلك المجال الجغرافي بمعنى أنهم لم ينسبوا الظواهر اللغوية بشكل واضح وصريح

(١) من الكتب التي صنفت في مادة رواة اللغة، أو كان موضوع السماع و الرواية جزءاً من مادتها عند القدماء و المحدثين (الخصائص لابن جني، و ملح الأدلة في أصول النحو لعبد الرحمن بن محمد الأنباري و الاقتراح في علم أصول النحو و الزهر في علوم اللغة لجلال الدين السيوطي و الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي و الرواية و الاستشهاد باللغة للدكتور محمد عيد، و الإعراب و الرواة و رواة اللغة و مصادر اللغة للدكتور عبد الحميد الشلقاني و البحث اللغوي عند العرب للدكتور احمد مختار عمر.

(٢) يُنظر: المدخل إلى علم اللغة / ١٨٢.

(٣) يُنظر: الصحابي: ٣٥، الخصائص: ١/٣٩٩-٤٠٠، المزهر: ١/٢٢١-٢٢٦ [معرفة الرديء والمذموم من اللغات].

إلى بيئاتها اللغوية بل اكتفوا بوصف هذه البيئات بالفصيحة دون تحديد النوع اللغوي.

من خلال هذا العرض - وما سبقه من استقراء للجهد اللغوي عند القدماء لاسيما في كتاب سيبويه-، فإن الباحث في التراث اللغوي لا يعدم الفكر اللغوي الجغرافي عند العرب لأن ثمة معالم اعتمدها القدماء في بيان النوع اللغوي الفصيح إذ من الممكن توظيفها والعمل على تقنينها وهذا ما يوجب على الباحث تدبير المادة اللغوية مستندا إلى التحديد المكاني باستخدام خريطة الميدان وسيلة للحصر والاستقصاء، وهذا ما يرتبط بأولية الجغرافية اللغوية^(١)، ومن الممكن الوصول إلى التنوعات اللغوية في محيطها الجغرافي العربي في تلك الفترة (...-١٨٠هـ) من خلال النظر في ما صنّفه القدماء، علما أن الدرس اللغوي اللساني العربي^(٢) لا يزال بعيدا كل البعد عن منهجية وعمل الأطلس اللغوي، وبالرغم من ذلك يمكن أن نربط بين استراتيجية البحث في موضوع الأطلس اللغوي -وهي جمع التنوعات اللغوية في بيئات معينة عند علماء الغرب فضلا عن بعض المشتغلين في اللغة العربية^(٣) - وعمل علماء العربية في بحثهم اللغوي الذي بحث في لغة العرب من حيث بنيتها وحركاتها ومادتها التي استخدموها وأساليبها التي جرت على ألسنتهم.

أمّا من حيث الكتابة فكان اللغويون (الرواة) -الذين جمعوا اللغة جُلهم يعرفون الكتابة- يدونون عن الأعراب ما كانوا يسمعون، قال أبو العباس ثعلب: «دخل أبو عمرو إسحق بن مزار البادية ومعه دستيجان حبرا، فما خرج حتى أفناهما بكتب

(١) يُنظر: في البلاغة العربية (من الجغرافية اللغوية إلى الجغرافية الأسلوبية): ١٦٥.

(٢) ينظر: الجغرافية اللغوية وأطلس برجشتراسر، ((د. رمضان عبد التّوّاب)) مجلة المجسم ج(٣٧): ١١٩-١٢٤.

(٣) يُنظر: الفصل الأول ((الفكر اللغوي الجغرافي عند العرب)) المبحث الأول: ثانياً: مبادئ علم الجغرافية اللغوية في مباحث المحدثين العرب.

سَمَاعِهِ عَنِ الْعَرَبِ»^(١)، وَقَدْ سَأَلَ الْكَسَائِيَّ الْخَلِيلَ: «مَنْ أَيْنَ أَخَذْتَ عِلْمَكَ هَذَا؟ فَقَالَ: مِنْ بَوَادِي الْحِجَازِ وَنَجْدٍ وَتِهَامَةَ، فَخَرَجَ وَرَجَعَ وَقَدْ أَنْفَدَ خَمْسَ عَشْرَةَ قَنِينَةً حَبْرٍ فِي الْكِتَابَةِ عَنِ الْعَرَبِ سِوَى مَا حَفِظْتُ»^(٢)، وَقَدْ أَخَذَ الْعُلَمَاءُ مَادَّةَ بَحْثِهِمُ اللَّغَوِيَّ مِنْ أَفْوَاهِ الْأَعْرَابِ عَنِ طَرِيقَيْنِ، الْأَوَّلُ: الرَّحْلَةُ إِلَى الْبَادِيَةِ وَالْحَصُولُ عَلَى اللَّغَةِ مِنْ أَفْوَاهِ الْأَعْرَابِ الْمُقِيمِينَ فِي كِبِدِ الصَّحْرَاءِ، فَهَذَا الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ^(٣) يَأْخُذُ عِلْمَهُ مِنْ بَادِيَةِ الْحِجَازِ وَنَجْدٍ وَتِهَامَةَ، وَأَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ الَّذِي جَاوَرَ الْبَدْوَ أَرْبَعِينَ سَنَةً^(٤).

وَيَتَضَحُّ ذَلِكَ الْجُهْدُ أَكْثَرَ فِي مَا رَوَى عَنْ عُلَمَاءِ اللَّغَةِ وَمَا حَوَتْهُ مُصْنَفَاتُهُمُ الَّتِي تَضَمَّنَتْ عِبَارَاتٍ تُوْحِي بِهَذَا الْعَمَلِ، وَإِلَى جَانِبِ ذَلِكَ هُنَالِكَ أَفْرَادٌ^(٥) مِنْ الْقَبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ سَاعَدُوا اللَّغَوِيَّينَ فِي جَمْعِ الْغَرِيبِ مِنَ اللَّغَةِ وَكَانَ بَعْضُ هَؤُلَاءِ يَتَلَقَّونَ أَجُورًا تَنْسَابُ مَعَ مَا يَقْدُمُونَ مِنْ مَعْلُومَاتٍ^(٦).

أَمَّا الطَّرِيقُ الثَّانِي فَقَدْ تَمَثَّلَ بِقُدُومِ الْأَعْرَابِ إِلَى الْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ وَكَانَتِ الْبَصْرَةُ عَلَى حَافَةِ الْبَادِيَةِ يَأْتِي إِلَيْهَا الْأَعْرَابُ يَقْضُونَ حَاجَتَهُمْ فِي الْحَاضِرَةِ، مِنْهُمْ مَنْ يَعُودُ لَوَقْتِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ تَطَوَّلَ إِقَامَتُهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَقَرُّ^(٧)، وَمِنْ هَؤُلَاءِ أَفَارُ بْنُ لَقِيْطٍ - قِيلَ كَانَ يَجْلِسُ عَلَى زَبَالَةٍ عَالِيَةٍ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ أَصْحَابُهُ يَأْخُذُونَ عَنْهُ^(٨) وَأَبُو الْبَيْدَاءِ الرِّيَاحِيُّ - نَزَلَ الْبَصْرَةَ وَكَانَ يَعْلَمُ الصَّبِيَانَ بِأَجْرٍ، وَأَبُو سِوَارِ الْغَنَوِيُّ^(٩) كَانَ فَصِيحًا أَخَذَ عَنْهُ أَبُو عُبَيْدَةَ وَلَهُ مَجْلِسٌ مَعَ مُحَمَّدِ بْنِ حَبِيبِ بْنِ أَبِي عَثْمَانَ الْمَازِنِيِّ وَأَبِي خَيْرَةَ

(١) أنباه الرواة على أنباه النحاة: ١/ ٢٢٤.

(٢) المصدر نفسه: ٢/ ٢٥٨.

(٣) المصدر نفسه: ٢/ ٢٥٨.

(٤) يُنْظَرُ: مجالس العلماء للنزجاني ١٧١.

(٥) أبو مالك عمرو بن كركرة أعرابي كان يعلم في البادية وكان يحفظ اللغة كلها. الفهرست ١/ ٤٤

(٦) يُنْظَرُ: اللهجات العربية الغربية القديمة / ٣٩-٤٠.

(٧) يُنْظَرُ: رواية اللغة: ٧٠-٧١، ويُنْظَرُ: الرواية والاستشهاد باللغة / ٢٢.

(٨) الفهرست: ١/ ٤٤.

(٩) المصدر نفسه: ١/ ٤٥.

نهشل بن زيد بدوي من بني عدي دخل الحيرة^(١) وكان أبو عمرو بن العلاء من جلسائه فقال له ذات مرة: «كيف تقول: حفرت اراتك؟ فقال: حفرت اراتك، قال: فكيف تقول: استأصل الله عرقاتهم أو عرقاتهم؟ فقال: استأصل الله عرقاتهم. فلم يعرفها أبو عمرو وقال: لان جلدك يا أبا خيرة، يقول: أخطأت»^(٢) وآخرون من فصحاء العرب اقتضى جمعهم على النحو الآتي:

أبو مالك عمرو بن كركرة أعرابي يعلم الناس في البادية^(٣)، أبو عرار أعرابي فصيح^(٤)، أبو زياد الكلابي عبد الله بن الحر أعرابي بدوي، أبو الجاموس ثور بن زيد أعرابي وكان يفد البصرة، أبو الشمع أعرابي بدوي نزل الحيرة شيبيل بن عرعر الضبي، أبو عدنان عبد الرحمن، عبد الأعلى أبو ثوبة الأسدي، أبو شبل العقيلي همح بن محرر البصري من بني أسد بن خزيمة، أبو محلم الشيباني محمد بن سعد السعدي، أبو مسحل عبد الوهاب بن حريش، أبو ثروان العكلي أعرابي فصيح يعلم في البادية، أبو ضمضم الكلابي، أبو عثمان سعيد بن ضمضم البهلي، عمرو بن عامر راجز فصيح، جهم بن خلف المازني راوية عالم بالغريب من تميم كان في عصر خلف الأحمر والأصمعي^(٥)، أبو مسهر الإعرابي محمد بن أحمد بن مروان^(٦) الحرمازي، أبو علي الحسن بن علي قدم البصرة ونزل بها^(٧)، أبو العميش عبد الله بن خليل^(٨) عباد بن كسيب من بني عمرو بن جندب من بني العنبر^(٩) الفقعسي - محمد بن عبد الملك

(١) المصدر نفسه: ٤٥ / ١ .

(٢) مجالس العلماء للزجاجي: ٥، وأنباه الرواة على أنباه النحاة: ٤ / ١١١-١١٢ .

(٣) الفهرست: ٤٤ / ١، معجم الأدباء: ٤ / ٥٠٩ .

(٤) المصدر نفسه: ٤٤ / ١، يُنظر أنباء الرواة: ٤ / ١٧٤ .

(٥) يُنظر: معجم الأدباء: ٢ / ٤٠٢ .

(٦) المصدر نفسه: ٤٧ / ١، أنباه الرواة: ٤ / ١٧٦ .

(٧) المصدر نفسه: ٤٨ / ١ . أنباه الرواة: ٤ / ١٤٧ .

(٨) المصدر نفسه: ٤٨-٤٩ / ١، أنباه الرواة: ٤ / ١٤٣ .

(٩) المصدر نفسه: ١ / ١٤٩ .

الأُسديُّ راويةُ بني أُسدٍ^(١) ابنُ أبي صبيحٍ عبدِ اللهِ بنِ عمروِ أبي صبيحٍ المازنيُّ^(٢) ربيعةُ البصريُّ بدويُّ تحضَّرَ فيما بعد^(٣).

نوعُ المادةِ اللغويةِ

تنوعتِ المادةُ اللغويةُ التي جُمعتْ ودُوّنتْ فيما بعدُ على أربعةِ أنواعٍ:

- النوعُ الأوَّلُ: ما يتعلَّقُ بمعنى العبارةِ، إذُ جُمعتْ هذه المادةُ في وضعٍ خاصٍ وعلى نمطٍ خاصٍ تمثلتْ بالمعجمِ العربيِّ، وأوَّلُ مصنّفٍ وصلَّ إلينا على هذا المنهجِ في جمعِ اللغةِ وضبطِها كتابُ (العين) للخليلِ بنِ أحمدَ الفراهيديِّ (١٨٠هـ)^(٤).
- النوعُ الثاني: ما يتعلَّقُ بالاستعمالِ اللغويِّ عندَ العربِ، إذُ جُمعتْ هذه المادةُ بجهودِ علماءِ العربيةِ الأوائلِ مِنَ الطَّبقةِ الثالثةِ والرابعةِ، وقامَ سيبويهُ بتصنيفِها وتنسيقِها، فأبدعَ في ذلكَ، وهذه المادةُ المسجَّلةُ عن العربِ التي تتمثَّلُ في العربيةِ الفصحى قد تنوعتْ من حيثُ الاستعمالِ اللغويِّ بمستوياتِها المختلفةِ إلى نوعين، الأوَّلُ: ما تمثَّلَ باللغةِ النَّفعيةِ أي الحوَارِ اليوميِّ و الأمورِ العامَّةِ، وهذا الضربُ من الاستعمالِ يطرُدُ ذكرُه في التمثيلِ اللغويِّ والاستدلالِ على أصلِ الاستعمالِ اللغويِّ الفصيحِ المتمثِّلِ في النوعِ الثاني أي اللغةِ الأدبيةِ (شعر - نثر) وهذا هو الأكثرُ في مباحثِ القدماءِ من اللغويين العربِ لأنَّ الأصولَ النحويةَ المتمثلةَ بهذا النوعِ وردتْ بكثرةٍ في

(١) المصدر نفسه: ١/١٤٩، أنباه الرواة: ٩/٣.

(٢) المصدر نفسه: ١/٤٩.

(٣) المصدر نفسه: ١/٥٠، أنباه الرواة: ٩/٢.

(٤) يُنظرُ: الصحاح ومدارس المعجمات العربية/ ٧٣-٨٦. وعلم الدلالة والمعجم العربي/ ١١٦، أصالة علم الأصوات عند الخليل: ١٤.

المستويات اللغوية و بأساليبها المختلفة^(١).

- النوع الثالث: ما يتعلق بالمفردات وتفسيرها على غير العادة، وكما تيسر للعالم اللغوي سماعها وتسجيلها دون مراعاة في ذلك لترتيب أو تنظيم، كمجالس العلماء للزجاجي، ومجالس ثعلب، وكتب الأمازي.
- النوع الرابع: ما يتعلق بالمعاني العامة وهذا الجمع يندرج تحت النوع الأول ويسمى بمعاجم المعاني كالمختص لابن سيده وغيره ممن صنفوا في هذا المعنى.

موقف القدماء العرب من المادة اللغوية:

لا شك أن جهد اللغوي قديماً كان منصباً على جمع المادة اللغوية من خلال طرح الأسئلة وتسجيل المادة المروية والتثبت من صحتها من خلال طريقة طرح السؤال، كما في نص ابن جنّي يقول: «سألت يوماً أبا عبد الله محمد بن العساف العقيليّ الجوثيّ التميميّ فقلتُ له: كيف تقول: ضربتُ أخوك؟ فقال: أقول: ضربتُ أخاك. فأدرته على الرفع فأبى، قال: لا أقول: أخوك أبداً. قلتُ: فكيف تقول: ضربني أخوك؟ فرفع، فقلتُ: ألسنت زعمت أنك لا تقول: أخوك أبداً؟ فقال: أيش هذا؟ اختلفتُ جهتها الكلام»^(٢)، ومثل ذلك في توجيه الأسئلة والتحري عن الصواب الكثير في ما روي عن علماء العربية باعتبارهم مسجلين للغة على شكل روايات لغوية وتحديد بيئات بعينها «كتميم والحجاز وهذيل وأسد وطية» إذ تهاهم من الرحلة إلى البادية والسماع من الأعراب في مواطنهم وديارهم معرفة الجغرافية اللغوية، فضلاً عن تحديد النماذج اللغوية التي لم يُقرّها الاستعمال اللغوي^(٣) إذ من الكلام ما لا يُدرى أنه

(١) يُنظر: القاعدة النحوية: ٦٩.

(٢) الخصائص: ١/ ١٢١.

(٣) ينظر: مصنف ابن خالويه (ليس في كلام العرب) (ودراسة د. محمود سليمان ياقوت (التركيب غير الصحيحة نحوياً في الكتاب لسبويه)

كذا حتى تَعَلَّمَ أَنَّ الْعَرَبَ تَكَلَّمُ بِهِ وَإِلَّا فَلَا يُؤْخَذُ لُغَةً^(١)، إِلَّا أَنَّ هَذِهِ الْآثَارَ اللُّغَوِيَّةَ ظَلَّتْ كَمَا هِيَ إِلَى فِتْرَةٍ غَيْرِ بَعِيدَةٍ^(٢)، حَتَّى حُدِّدَ النَّوْعُ اللُّغَوِيُّ فِي الْبَيْئَةِ اللُّغَوِيَّةِ الْمَعِينَةِ، وَهَذَا - النَّوْعُ اللُّغَوِيُّ - لَمْ يَتَخَطَّ حُدُودَ تِلْكَ الْبَيْئَةِ اللُّغَوِيَّةِ وَتِلْكَ اللُّغَةِ الَّتِي تَكَلَّمَتْ بِهَا الْعَرَبُ فِي ذَلِكَ الزَّمَنِ، إِذْ نَجَدُ الْقَائِمِينَ عَلَى هَذِهِ الْبَحُوثِ وَالدراساتِ غَيْرِ آهِيْنَ بِاللُّغَاتِ الْمُحْكِيَّةِ فِي تِلْكَ الْفِتْرَاتِ الْمُتَزَامِنَةِ مُبْتَعِدِينَ عَنِ مَرَاكِلِ تَطَوُّرِ اللُّغَةِ وَعَدِمَ مِرَاقِبَةَ مَا كَانَ غَيْرَ مُسْتَعْمَلٍ مِنَ اللُّغَةِ وَاسْتَعْمَلَ فِيهَا بَعْدُ فِي اللُّغَةِ الْمُحْكِيَّةِ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ وَجُودِهَا فَمَا تَعَرَّضَ لَهُ الْقَدَمَاءُ مِنَ الْوَصْفِ وَالتَّصْنِيفِ وَمِنْهُ كِتَابُ سَبْيُوِيَّةِ حَافِلٍ بِهَذِهِ الْمَادَّةِ اللُّغَوِيَّةِ وَتِلْكَ الْمُرُويَاتِ الَّتِي لَا تَجِيزُ بَعْضَ الْاسْتِعْمَالَاتِ اللُّغَوِيَّةِ.

التحديد الجغرافي في البحث اللغوي عند العرب

تُعَدُّ الخَريطةُ اللُّغَوِيَّةُ أَدَاةَ الجَغرَافِيِّ اللُّغَوِيِّ وَلَا تَجُوزُ كِتَابَةُ الجَغرَافِيَّةِ اللُّغَوِيَّةِ الْحَدِيثَةِ دُونَ الْاسْتِعَانَةِ بِالخَريطةِ، وَالْعَرَبُ الْأَوَائِلُ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِي رَسْمِ الْخَرَائِطِ مَعْرِفَةٌ تُذَكِّرُ إِلَّا أَنَّهُمْ اعْتَمَدُوا التَّصْوِيرَ الَّذِي يَحْكِي مَوْضِعَ الْإِقْلِيمِ ثُمَّ ذَكَرُوا مَا يَحِيطُ بِهِ مِنَ الْأَمَاكِنِ^(٣).

وَقَدْ أَسْهَمَ الْجُهْدُ اللُّغَوِيُّ الْعَرَبِيُّ - الْمَتَمَثِّلُ بِالنَّوْعِ الرَّابِعِ مِنَ الْمَادَّةِ اللُّغَوِيَّةِ - فِي رَسْمِ الْمَجَالِ اللُّغَوِيِّ لْجَزِيرَةِ الْعَرَبِ تَحْتَ عُنْوَانَاتِهِ الْآتِيَةِ:
الأنواءِ وَالْحَيَوَانَاتِ وَالرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ وَالْمَطَرِ، وَجَزِيرَةِ الْعَرَبِ... وَقَدْ سَاهَمَتْ

(١) يُنظَرُ الْكِتَابُ ٣/ ٥٣٩، ٤/ ١٢٩.

(٢) ظَهَرَتْ دَرَاثَاتٌ وَرَسَائِلٌ وَبَحُوثٌ عَنِيَتْ بِدَرَاثَةِ لُغَاتِ الْقَبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ مِنْهَا ((أَسَدٍ - هَذِيلٍ - بَاهِلَةَ - طِيء)).

(٣) يُنظَرُ: الْخَصَائِصُ الْعِلْمِيَّةُ لِلْجَغرَافِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْقَدِيمَةِ / ١٦٨.

هذه الرسائل في ظهور المعاجم العربية الجامعة فيما بعد، التي تمثل بعضها بوصف البلدان والأقاليم.

إنَّ اللغويين اعتمدوا في وصفهم الجغرافية اللغوية النسبة إلى البيئة اللغوية أي القبيلة^(١)، دون التصور الذي اعتمده أصحاب المعاجم الذي اعتمد فيما بعد بشكل واضح عند المقدسي في كتابه (أحسن التقاسيم) والهمداني في وصف الجزيرة، اللذين كان لهما جهد لغوي تمثل في وصف لغة الأقاليم التي تم وصفها.

يقول المقدسي في إقليم العرب: «وأهل هذا الإقليم لغتهم العربية إلا بصحار فإن نداءهم وكلامهم بالفارسية وأكثر أهل عدن وجدة فُرس إلا أن اللغة عربية، وبطرف الحميري قبيلة من العرب لا يفهم كلامهم... وجميع لغات العرب موجودة في بوادي هذه الجزيرة إلا أن أصح لغة بها لغة هذيل ثم النجديين ثم بقية الحجاز إلا الأحقاف فإن لسائهم وحش»^(٢).

وقال في لغة إقليم العراق (الكوفة، البصرة، واسط، بغداد) بعد الوصف: «ولغاتهم مختلفة أصحها الكوفية لقربهم من البادية وبعدهم عن النبط، ثم هي بعد ذلك صفة فاسدة بخاصة بغداد، وأما البطائح فنبط لا لسان وعقل»^(٣)، وقال الهمداني في وصف لغات أهل هذه الجزيرة «أهل الشحر والإسعاء ليسوا بفصحاء مهرة غتم يشاكلون العجم، حصر موت ليسوا بفصحاء، ربما كان فيهم الفصيح وأفصحهم كندة وهمدان وبعض الصدف وسرو ومدحج ومأرب ويحان وحرب فصحاء وردتي اللغة منهم قليل، سرو حمير، وجعدة ليسوا بفصحاء في كلامهم شيء من التحمير ويجرون في كلامهم ويحذفون فيقولون يا بن مَعَم في يا بن العم...»^(٤).

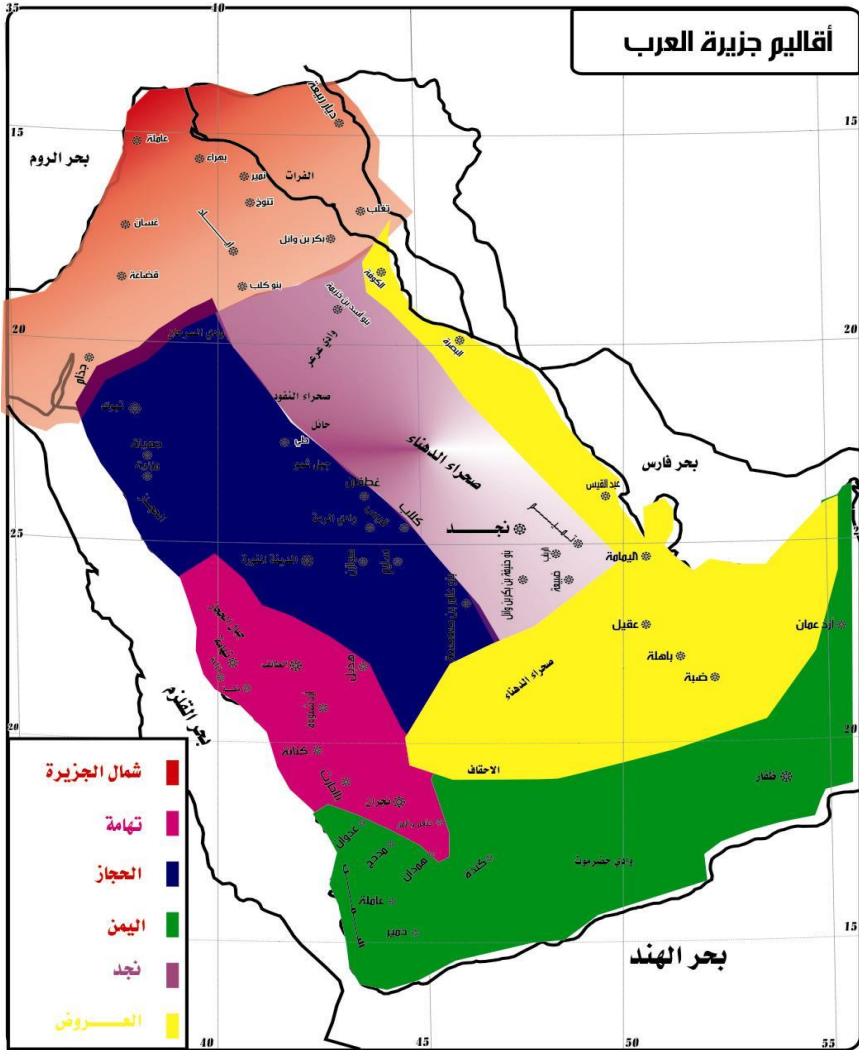
(١) يُنظر: دراسة الدكتور خالد عبد الكريم جمعة: شواهد الشعر في كتاب سيبويه.

(٢) أحسن التقاسيم: ٩١.

(٣) أحسن التقاسيم: ١١٤.

(٤) صفة جزيرة العرب: ١٢٤.

أما القبائل التي تقع خارج إقليم اليمن فقد تحدث عنها دون تفصيل واكتفى بالتحديد العام إذ قال «أما العروص ففيها الفصاحة ما خلا قرأها وكذلك الحجاز فنجد السفلى فيالي الشام وإلى ديار مضر وإلى ديار ربيعة فيها الفصاحة إلا في قرأها»^(١).



(١) صفة جزيرة العرب: ١٢٦.

ففي هذه البيئة اللغوية أجهَدَ العلماءُ أنفُسَهُمْ فَشَرَّقُوا وَغَرَّبُوا وَتَحَمَّلُوا الكَثِيرَ وَلَمْ يَبَالُوا بِمَا نَالَهُمْ مِنْ نَصَبٍ أَوْ مَحْمَصَةٍ وَسَمِعُوا مِنْ أَبْنَاءِ هَذِهِ الْقَبَائِلِ وَشَافَهُوهُمْ فِي أَوْدِيَّتِهِمْ وَأَخْبِيَّتِهِمْ وَمَرَاعِيهِمْ وَأَسْوَاقِهِمْ وَمَجْتَمَعَاتِهِمْ، فَأَخَذُوا عَنِ الْقَبَائِلِ البَعِيدَةِ مِنْ أَطْرَافِ الْجَزِيرَةِ وَالبَاقِيَةِ فِي سِرْتِهَا مِنْ جُفَاةِ الأَعْرَابِ وَأَهْلِ الطَّبَائِعِ المَتَوَقِّحَةِ^(١)، وَقَدْ رَبَطَ العُلَمَاءُ العَرَبُ هَذِهِ البِيئَةَ بِفِكرَةِ البَدَاوَةِ وَالحِضَارَةِ، فَكَلِمًا كَانَتِ القَبِيلَةُ بَدْوِيَّةً أَوْ أَقْرَبَ إِلَى حَيَاةِ البَدَاوَةِ كَانَتِ لُغَتُهَا أَفْصَحَ وَالثَّقَةُ بِهَا أَكْبَرَ وَكَلِمًا كَانَتِ مَتَحَضِرَةً أَوْ أَقْرَبَ إِلَى حَيَاةِ الحِضَارَةِ كَانَتِ لُغَتُهَا مَحَلَّ شَكٍّ وَمِثَارَ شَبَهَةٍ لِذَلِكَ تَجَنَّبُوا الأَخْذَ عِنهَا^(٢)، وَنَجَدُوا فِكرَتَهُمُ الَّتِي نَقَلَهَا الفَارَابِيُّ فِي أَنَّ الانْعِزَالَ فِي كَبِدِ الصَّحْرَاءِ، وَعَدَمَ الاتِّصَالَ بِالأَجْنَاسِ الأَجْنَبِيَّةِ يَحْفَظُ لِلغَةِ نَقَاوَتَهَا وَيَصُوِّمُهَا عَنِ أَيِّ مَوْثِرٍ خَارِجِيٍّ وَأَنَّ الأَخْتِلَاطَ يُفْسِدُ اللِغَةَ وَيَنْحَرِفُ بِالأَلْسِنَةِ^(٣)، أَضَحَّتْ مِثَارَ جَدَلٍ لَدَى الدَّارِسِينَ وَالبَاحِثِينَ وَبَيَانًا لِفِكرَةٍ مِنْ تَشَبُّثٍ بِالتَّوْزِيعِ الجِغْرَافِيِّ الَّذِي ارْتَكَزَ عَلَى تِلْكَ الأَسْوَاقِ السَّابِقَةِ، نَطْرَحُ نَصَّ الفَارَابِيِّ الَّذِي يُعَدُّ فِي نَظَرِ بَعْضِ الدَّارِسِينَ وَثِيقَةً مُهِمَّةً^(٤)، فِي تَحْدِيدِ القَبَائِلِ الَّتِي يُسْتَشْهَدُ بِكَلَامِهَا وَالَّتِي لَا يُسْتَشْهَدُ بِكَلَامِهَا، قَالَ: «كَانَتِ قَرِيشٌ أَجْوَدَ العَرَبِ انْتِقَاءً لِلأَفْصَحِ مِنَ الأَلْفَاظِ، وَأَسْهَلَهَا عَلَى اللِّسَانِ عِنْدَ النُّطْقِ، وَأَحْسَنَهَا مَسْمُوعًا، وَإِبَانَةً عَمَّا فِي النَفْسِ، وَالَّذِينَ عَنَهُمْ نُقِلَتِ اللِغَةُ العَرَبِيَّةُ وَبِهِمْ اقْتَدَى وَعَنَهُمْ أُخِذَ اللِّسَانُ العَرَبِيُّ مِنْ بَيْنِ قَبَائِلِ العَرَبِ هُمْ: قَيْسٌ وَتَمِيمٌ وَأَسَدٌ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ عَنَهُمْ أَكْثَرُ مَا أُخِذَ وَمَعْظَمُهُ، وَعَلَيْهِمْ أُتْكِلَ فِي الغَرِيبِ وَفِي الإِعْرَابِ

(١) يُنظَرُ: نَشَأَةُ النُّحُوِّ وَتَارِيخُ أَشْهُرِ النُّحَاةِ: ١١٢، فِي التَّنَوُّرِ اللِّغَوِيِّ (شَاهِين) / ٤٧، وَلِغَاتُ العَرَبِ وَأَثَرُهَا فِي تَوْجِيهِ النُّحُوِّ / ٦٠-٦١.

(٢) يُنظَرُ: البَحْثُ اللِّغَوِيُّ عِنْدَ العَرَبِ: ٣٧-٣٨، لِغَاتُ العَرَبِ وَأَثَرُهَا فِي التَّوْجِيهِ النُّحَوِيِّ / ٥٨، القَاعِدَةُ النُّحَوِيَّةُ تَحْلِيلٌ وَنَقْدٌ: ٥٥-٥٦.

(٣) يُنظَرُ: كِتَابُ الحُرُوفِ لِلْفَارَابِيِّ: ١٤٥، صَبِيحُ الأَعْشَى: ١/١٩٦، وَالبَحْثُ اللِّغَوِيُّ عِنْدَ العَرَبِ: ٣٨.

(٤) يُنظَرُ: البَحْثُ اللِّغَوِيُّ عِنْدَ العَرَبِ: ٣٨.

والتصريف، ثمَّ هذيلٌ وبعضُ كنانةَ وبعضُ الطائيين، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم. وبالجملة فإنه لم يؤخذ عن حَضْرِيٍّ قَطُّ، ولا عن سكانِ البراري ممن كان يسكنُ أطرافَ بلادهم «التي تجاورُ سائرَ الأممِ الذينَ حولهم»^(١١)، فإنه لم يؤخذ لا من لَحْمٍ ولا من جُذامٍ «فإنَّهم كانوا مجاورين»^(١٢). لأهلِ مصرَ والقبطِ، ولا من قُضاةٍ ولا «من»^(١٣) غسانٍ ولا «من»^(١٤) إيادٍ «فإنَّهم كانوا مجاورين»^(١٥) لأهلِ الشامِ وأكثرهم نصارى «يقراون في صلاتهم بغيرِ العربية»^(١٦)، ولا من تغلبٍ ولا «النمر»^(١٧)، فإنَّهم كانوا بالجزيرةِ مجاورين لليونانِ «سيرة»^(١٨) ولا من بكرٍ «لأنَّهم كانوا مجاورين للقبطِ و الفرس»^(١٩)، ولا من عبدِ القيسِ «...»^(٢٠) لأنَّهم كانوا سكانَ البحرينِ مَخالطينَ للهندِ و الفرسِ، ولا من أزدِ عُمانِ «لمخالطتهم للهندِ و الفرس»^(٢١) ولا من أهلِ اليمنِ «أصلاً»^(٢٢) لمخالطتهم للهندِ و الحبشةِ «ولولادةِ الحبشةِ فيهم»^(٢٣)، ولا من بني حنيفةٍ و سكانِ اليمامةِ ولا من ثقيفٍ و «سكان»^(٢٤) الطائفِ لمخالطتهم تجارَ «الأمم»^(٢٥)

(١) العِبَارَةُ في المِزْهَر: ٢١٢/١ ((...المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم)).

(٢) العِبَارَةُ في المِزْهَر: ٢١٢/١ ((لمجاورتهم أهل مصر و القبط)).

(٣) العِبَارَةُ في المِزْهَر: ٢١٢/١ ((... و غسان و إياد)).

(٤) العِبَارَةُ في المِزْهَر: ٢١٢/١ ((لمجاورتهم أهل الشام)).

(٥) العِبَارَةُ في المِزْهَر: ٢١٢/١ ((لمجاورتهم أهل الشام)).

(٦) العِبَارَةُ في المِزْهَر: ٢١٢/١ ((... يقراون بالعبرانية)).

(٧) العِبَارَةُ في المِزْهَر: ٢١٢/١ ((... اليمن ...)).

(٨) العِبَارَةُ في المِزْهَر: ٢١٢/١ ((اليونان)).

(٩) العِبَارَةُ في المِزْهَر: ٢١٢/١ ((لمجاورتهم للقبط و الفرس)).

(١٠) العِبَارَةُ في المِزْهَر: ٢١٢/١ ((و أزد عُمان)).

(١١) العِبَارَةُ في المِزْهَر: ٢١٢/١ ((لأنهم كانوا بالبحرين مَخالطينَ للهندِ و الفرس)).

(١٢) ساقطة في المِزْهَر: ١ / ٢١٢.

(١٣) ساقطة في المِزْهَر: ١ / ٢١٢.

(١٤) العِبَارَةُ في المِزْهَر ((أهل الطائف)).

(١٥) العِبَارَةُ في المِزْهَر: ((... اليمن)). ١ / ٢١٢.

المقيمين عندهم، ولا من حاضرة الحجاز لأن الذين نقلوا اللغة صادفهم حين
ابتدأوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم وفسدت ألسنتهم، والذي
نقل اللغة واللسان العربي عن هؤلاء وأثبتها في كتاب وصيّرهما علماً وصناعة هم أهل
الكوفة والبصرة فقط من بين أمصار العرب، وكانت صنائع هؤلاء التي يعيشون
منها الرعاية والصيد واللصوصية وكانوا أقواهم نفوساً، وأقساهم قلوباً، وأشدّهم
توحشاً وأمنعهم جانباً، وأشدّهم حميةً، وأحبّهم لأن يغلبوا ولا يغلبوا، وأعسرهم
انقياداً للملوك وأجفاهم أخلاقاً وأقلّهم احتمالاً للضيم والذلة»^(١).

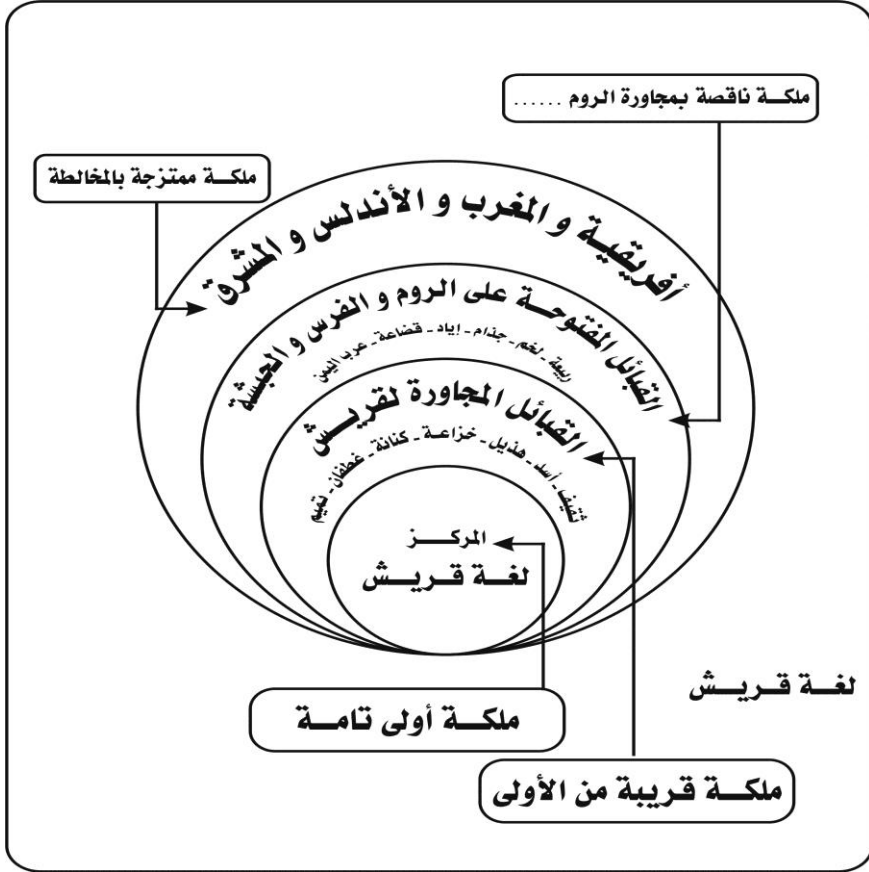
وقد تبنّى ابن خلدون في مُقدّمته الواقع الجغرافي -الذي أقرّه الفارابي- بشيء من
الواقعية في وصفه لبعض البيئات اللغوية مثل مُصر من قريش وكنانة وثقيف وبني
أسد وهذيل ومن جاورهم من خزاعة إذ أن سكّان هذه القبائل حسّب وصفه كانوا
أهل شظف ومواطن غير ذات زرع ولا ضرع^(٢).

(١) كتاب الحروف / ١٤٥، ويُنظر: المزهري: ٢١١-٢١٢، وصبح الأعشى: ١/١٩٦، ولغات العرب

وأثرها في التوجيه النحوي / ٤٦.

(٢) مُقدّمة ابن خلدون: ١٢٩-١٣٠، ٥٥٥.

ينظر الشكل رقم (١) - «أطلس اللغة عند ابن خلدون»^(١)



وقيل إن علة هذا التقسيم - على ما نَظُنُّ - ما عَرَضَ لِللُّغَاتِ الْحَاضِرَةِ وَأَهْلِ الْمَدْرِ
مِنَ الْاِخْتِلَالِ وَالْفَسَادِ وَالْحَطَلِ - وَهَذَا قَدْ ظَهَرَ فِي وَقْتِ مُتَأَخِّرِ نَسَبَةِ لِبْدَايَاتِ
الدَّرْسِ اللُّغَوِيِّ عِنْدَ الْعَرَبِ - وَلَوْ عَلِمَ أَنَّ أَهْلَ الْمَدِينَةِ بَاقُونَ عَلَى فَصَاحَتِهِمْ، وَلَمْ
يَعْتَرِضْ شَيْءٌ مِنَ الْفَسَادِ لِلغَتِّهِمْ لَوْجِبَ الْأَخْذُ عَنْهُمْ كَمَا يُؤْخَذُ عَنْ أَهْلِ الْوَبْرِ، وَكَذَا
لَوْ فَشَا فِي أَهْلِ الْوَبْرِ مَا شَاعَ فِي لُغَةِ أَهْلِ الْمَدْرِ مِنْ اضْطِرَابِ الْأَلْسِنَةِ وَخَبَالِهَا،

(١) مُقَدِّمَةُ ابْنِ خَلْدُونَ: ٥٥٥، وينظر: في اللسان العربي وإشكالية التلقي: ١٥٤ (اللغة و الروابط اللهجية عند ابن خلدون لمحسن أبو عزيزي).

وانتقاص عادة الفصاحة وانتشارها لوجب رفض لغتها، وترك تلقي ما يرد عنها^(١).

ويظهر أن هذا التحديد -الذي أقره الفارابي- لم يكن مقبولاً عند بعض الدارسين^(٢)، لأن الأساس الذي قام عليه التحديد وهو الانعزال في كبد الصحراء وعدم الاتصال بالأجانب قد تبدد إذا ما علمنا أن قريشاً، التي وصفها في أول نصه، كان لها في الجاهلية من اتصال ببلاد الشام واليمن والعراق وبالحبشة فضلاً عن وجود جاليات أعجمية وعدد كبير من الرقيق بينهم، وما وجود المعربات في لغتهم إلا حجة على تأثر لسانهم بالأعاجم وأخذهم منهم^(٣).

الكينات اللغوية عند العرب

يتمثل هذا المصطلح في جملة من الظواهر اللغوية التي تُنسب إلى بيئات لغوية تميم وهذيل وأسد وطيء وباقي القبائل العربية التي مثلناها في أعلاه:

وتمثيلاً لذلك ظاهرة الكشكشة التي نُسبت في كتاب سيبويه إلى «ناس كثير من تميم وناس من أسد»^(٤) ونُسبت عند المبرد^(٥) إلى تميم، وعند الزمخشري إلى تميم^(٦) ونسبها ابن فارس إلى أسد^(٧) ونسبها ثعلب إلى ربيعة^(٨) والسيوطي إلى مضر^(٩)، ونسبها ابن جنّي إلى ناس من العرب^(١٠) مجهولين وفي موضع آخر إلى ربيعة^(١١).

(١) يُنظر: الخصائص: ٣٩٣/١.

(٢) الدكتور مهدي المخزومي / مدرسة الكوفة: ٧٣-٧٧.

(٣) يُنظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: ٨ / ٦٧٠.

(٤) الكتاب: ١٩٩ / ٤.

(٥) الكامل في اللغة والأدب: ٤٤٧.

(٦) المفصل في صنعة الأعراب: ٤٦٣.

(٧) الصاحبي في فقه اللغة: ٥٣.

(٨) مجالس ثعلب: ج: ٨١: ١.

(٩) المزهر: ١ / ٢٢١.

(١٠) سر صناعة الأعراب: ١ / ٢١٩.

ومثلها ظاهرة الإدغام إذ قال سيبويه: (وتد) دون إدغام لغة الحجاز وهي الجيدة ولكن بني تميم يسكنون التاء ويُدغمونها في الدال^(١)، وقيل إنَّها لغة لبني بكر بن وائل وأناسٍ كثيرٍ من تميم^(٢).

وهذان النصان هما مثالان على ما يُطلقُ عليه عند المحدثين مجموعة النقاط السكانية التي يجمعها عددٌ من ظواهر الاستعمال اللغوي.

مناطق الكيانات اللغوية عند العرب:

شرح اللغويون العرب في تحديد الحقل اللغوي الذي يمثل العربية الفصحى من حيث التنوع الإقليمي - وهذا ما سنأتي عليه فيما بعد- الذي تمثلت به ووصفتُ بأنَّها لغة لقوم ما حسب انتماؤها الجغرافي. إذ شكلت هذه اللغة المادة الصالحة لبناء القواعد اللغوية ذات السلوك المتماثل نسبياً أو المتقارب إلى درجة التماثل و ما تفرَّد من البيئات اللغوية باستعمال خاص وهذا ما ينعكس على القاعدة النحوية ويجعلها في موضع خاص يميزها عما سواها، أو ما يترشح من ظواهر لغوية تنتمي إلى مراحل متقدمة من عمر اللغة وقد عكس هذا التنوع الإقليمي بفرعيه (التنوع الإقليمي الضيق و التنوع الإقليمي الواسع) مناطق الكيانات اللغوية عند العرب إلى:

(١) الخصائص: ١/ ٣٨٩-٤٠٠.

(٢) يُنظر: الكتاب ٤/ ٤٨.

(٣) يُنظر: شرح الشافية ٣/ ١٨٣-١٨٤ وشرح شواهد الشافية ٤/ ٥٩٣ علماً أن الشاهد للأخطل غياث بن غوث التغلبي قال:

وذكر غدانة عدنا مُرْنة من الحبلق تبني حولها الصيرُ عدانا: أصلها عتدان

١. منطقة المركز:

لقد حدّد علماء اللغة المناطق اللغوية ذات السلوك اللغوي المتماثل نسبياً، وهذا ما يطلق عليه عند الغربيين مركز الهيبة اللغوية Linguistic prestige center^(١)، وتمثّلت هذه المنطقة بما نُقل عن أبي عمرو بن العلاء قال المبرد: «وحدّثني هارون عن نصر بن عليّ عن الأصمعيّ قال سمعتُ أبا عمرو بن العلاء يقول: أفصحُ الناس: سافلة قريشٍ وعالية تميم»^(٢) وقد أوردّه ابن فارس بقول أبي عمرو بن العلاء «أفصحُ الناس علياً تميم وسفلى قيس»^(٣)، وقال أبو زيد: «أفصحُ الناس سافلةً العاليةً وعاليةً السافلة»^(٤)، يعني عَجْرَ هوازن، قال: ولستُ أقولُ «قالت العربُ إلا ما سمعتُ منهم، وإلا لم أقلّ (قالت العربُ) وأهلُ العالية أهلُ المدينة ومن حولها ومن يليها ودنا منها...»^(٥)، والعجْرُ من هوازن هم الذين يُقال لهم علياً هوازن، وهي خمسُ قبائلٍ أو أربع، منها سعدُ بن بكرٍ وجشمُ بن بكرٍ ونصرُ بن معاوية وثقيف^(٦).

وتمثيلاً لهذا التحديد قولهم في لغة تميم ولغة الحجاز، وكلاهما لغتان تحويان ظواهر لغوية تختلف عما سواها، ومنها يخرج الابتكار اللغوي إلى باقي المناطق اللغوية.

(١) يُنظر: أسس علم اللغة: ١٩٥.

(٢) الفاضل: ١١٣.

(٣) الصاحبي في فقه اللغة: ٤٠.

(٤) العمدة ١/ ٨٨-٨٩، وينظر الصاحبي في فقه اللغة: ٤٠.

(٥) العمدة: ١/ ٨٨-٨٩.

(٦) الصاحبي في فقه اللغة: ٤١.

٢. المنطقة الانتقالية

تمثلت هذه المنطقة عند اللغويين بمنطقة الحجاز ومنطقة العروض ونجد، إذ نجد في هذه الأقاليم عدداً لا بأس به من القبائل ذات الاستعمالات المتقاربة إن لم تكن مُتطابقة كل المطابقة ومن استعمالات العرب في هذه البيئة اللغوية على سبيل المثال والتعريف بهذا المصطلح، تحقيقهم الهمزة في كلامهم، والهمزة من أثقل الحروف وبعدها مدرجاً صوتياً عن الفم، وقد نُقل عن بعض تميم وأسد وقيس^(١) وأهل الحجاز^(٢) تحقيقهم نبيء وبريئة وقال سيويء: «وقد بلغنا أن قوماً من أهل الحجاز من أهل التحقيق يحققون نبيء وبريئة»^(٣) ومن الاستعمالات المتقاربة كسر عين الفعل (يَعْكُفُ) في المضارع عند بني أسد لأنه مفتوح العين في الماضي (عَكَفَ) والحجازيون يقولون فيه «عَكَفَ يَعْكُفُ»^(٤).

أما من حيث التماثل قولهم -أسد وأهل الحجاز- في الفعل (قنط) (يَقْنِطُ) بكسر العين في المضارع والعرب تجعله منفتح العين^(٥) ومن الاستعمالات المتماثلة قول أزد شنوءة وأسد عَجَاب وكَبَّار بتضعيف العين من بناء (فُعَال) (فُعَال)^(٦).

(١) ينظر: الفصحح في اللغة والنحو: ٣٥٧.

(٢) الكتاب: ٣/ ٥٥٥.

(٣) المصدر نفسه، ٣/ ٥٥٥ وينظر: قراءة بن كثير المكي القرشي ((وكشفت عن ساقها)) النمل: ٤٤، ينظر: الكشاف ٣/ ٣٧٤.

(٤) ينظر: المقتبس من اللهجات العربية ٦٨.

(٥) المصدر نفسه ٦٩.

(٦) ينظر: اللهجات العربية في القراءات القرآنية ١٧٢.

٣. الجزر اللغوية، أو ما يُعرفُ بمصطلحِ التعرفِ اللغويِّ^(١)

Language identification

لَقَدْ وَقَفَ عُلَمَاءُ اللُّغَةِ عَلَى بَعْضِ الظَّوَاهِرِ اللُّغَوِيَّةِ مِنْ نَوْعِ خَاصِّ اسْتِعْمَلْتُهُ بَعْضُ القَبَائِلِ العَرَبِيَّةِ، كَاسْتِعْمَالِ قَبِيلَةِ طِيٍّ (ذو) اسماً مَوْصُولاً، وَقَدْ شَاعَ اسْتِخْدَامُ (ذو) هَذِهِ فِي كَلَامِ أَهْلِ طِيٍّ اسماً مَوْصُولاً عَاماً لِلْمَفْرَدِ وَالمُثْنِيِّ وَالجَمْعِ، وَالمَذَكِرِ وَالمُؤنَّثِ، بِصُورَةٍ وَاحِدَةٍ لَا تَتَغَيَّرُ فِي كُلِّ ذَلِكَ، وَهِيَ كَثِيرَةٌ الوُرُودِ بِهَذِهِ الصُّورَةِ فِي أَشْعَارِ طِيٍّ^(٢)، وَمِثْلُ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ فَتُحُ نونِ المِثْنِيِّ مَعَ اليَاءِ^(٣) إِذْ سُجِّلَتْ هَذِهِ الظَّاهِرَةُ عَنِ الكَسَائِيِّ لِبْنِي زِيَادِ بْنِ فِقْعَسٍ^(٤) وَكَذَلِكَ سُجِّلَ عَنِ بَنِي الحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ جَعَلَهُمُ الاثْنَيْنِ مِنَ الأَسْمَاءِ فِي رَفْعِهَا وَنَصْبِهَا وَخَفْضِهَا بِالأَلْفِ^(٥). وَسُجِّلَ عَنِ كِنَانَةَ قَوْلُهُمْ: (فِي كَلَا الرِّجْلَيْنِ) وَ (رَأَيْتُ كِلَيْ الرِّجْلَيْنِ) وَ (مَرَرْتُ بِكِلَيْ الرِّجْلَيْنِ) إِذْ مَضُوا عَلَى قِيَاسِ الاثْنَيْنِ مِنَ الأَسْمَاءِ فِي النِّصْبِ وَالجَرِّ وَالعَرَبُ تَقُولُ فِي كَلَا الرِّجْلَيْنِ فِي الرِّفْعِ وَ النِّصْبِ وَالجَرِّ^(٦). سَجِّلَ عَنِ بَعْضِ العَرَبِ أَنَّهُمْ يَقْفُونَ عَلَى التَّاءِ الاِسْمِيَّةِ وَهَذَا مَا سَجَّلَهُ أَبُو الخَطَّابِ وَلَمْ يَصْرِّحْ بِهِ^(٧) وَقَدْ ثَبَتَ فِيهَا بَعْدُ بِأَنَّهَا لُغَةٌ لَطِيٍّ يَقُولُونَ

(١) ينظر: أسس علم اللغة / ١٩٤.

(٢) يُنظَرُ: بَحُوثُ وَمَقَالَاتُ فِي اللُّغَةِ ٢٥٢-٢٥٨، وَيُنظَرُ اللُّهْجَاتُ العَرَبِيَّةُ القَدِيمَةُ فِي غَرْبِ جَزِيرَةِ العَرَبِ ٣٧٣ - ٣٧٥.

(٣) الفصيح في اللغة والنحو: ٢٢٨.

(٤) وَهَمُ بَنُو فِقْعَسِ بْنِ طَرِيفِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ قَعِينِ بْنِ الحَارِثِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ دُودَانَ بْنِ أُسْدٍ، يَنْظُرُ: نَهَايَةُ الأَرْبِ فِي مَعْرِفَةِ أَنْسَابِ العَرَبِ ٣٥٣.

(٥) يَنْظُرُ: مَعَانِي القُرْآنِ: ٢/١٥٧، وَيَنْظُرُ: عِلَلُ التَّشْبِيهِ: ٥٧ - ٥٨.

(٦) مَعَانِي القُرْآنِ ٢/١٥٧.

(٧) يَنْظُرُ: الكِتَابُ ٤/١٦٧.

في الوقف: (هذه امرأت وهذه جاريت) فيصلونَ بالتاء ويقفونَ بالتاء^(١). ونقلَ عن الفيوميِّ أحمدَ بنِ عمرَ ت(٧٧٠هـ) أنها لغةٌ لحمير^(٢) يقولونَ تمرت و طلحت، و النظرُ في ذا الاستعمال يرجعُ إلى اللغةِ اليمانية. وينطبقُ هذا المصطلحُ على الكثيرِ من الظواهر اللغوية التي تفردتُ بها بعضُ البيئات اللغوية.

٤. منطقة المخلفات اللغوية:

حدّد علماء العربية المناطق التي تحتفظُ بجملةٍ من الخواصّ اللغوية التي تنتمي إلى مراحل زمنية متقدمة، إذ تعدُّ ظاهرة الاستنطاء - تحوُّل العين الساكنة إلى نونٍ إذا جاورتِ الطاء - فلغةً أهل اليمن من تلك المناطق التي تقعُ في دائرة هذا المصطلح، إذ استعملَ الفعل (أنطى) بدلَ الفعل (أعطى) كما يبيِّنُ التوزيعُ الجغرافيُّ لمواطنِ النطقِ بها في الشمال - سعدُ بنُ بكرٍ، هذيلٌ، الأزْدُ، قيسٌ^(٣) - إذ انتقلتْ هذه الصيغةُ من الجنوبِ من بلادِ اليمن^(٤)، إلى قبائلِ الشمال، ويرى أحدُ الباحثين أنَّ الفعلَ (أنطى) مأخوذٌ من طريقِ النحتِ من العبرية (נָטַח) (ن ت ن) والسريانية فأخذتْ فاءُ الفعلِ من العبرية والسريانية وبقيتْ عينُه ولائمُه كما هي في العربية^(٥)، وإلى جانب ذلك بالإمكان أن نعدَّ كلَّ ظاهرة لغوية لها جذورٌ في اللغات السامية (الجزرية) جزءاً من منظومة هذا المصطلح العلمي.

(١) ينظر: الوقف في العربية: ٦٥

(٢) ينظر: الوقف في العربية: ٦٦.

(٣) يُنظرُ: المزهري: ١/٢٢٢.

(٤) يُنظرُ: العربية وهجاتها: ٥١، مدخل إلى فقه اللغة العربية: ١٣٨، اللهجات في القرآن الكريم: ٦٠.

(٥) يُنظرُ: فصول في فقه اللغة: ١٠٤ ط١، ١٩٧٣، وينظر: فصول في فقه العربية: ١٢٢، ط٣، ١٩٨٧.

محاضرات في فقه اللغة: ١٠٦-١٠٧.

نماذج من المادة اللغوية المسجلة عن العرب

إنَّ المادةَ التي سُجِّلتْ عن العربِ و المتمثلةِ بالعربيةِ الفصحى قد تنوعتْ من حيثِ الاستعمالِ، منها ما يصنفُ في إطارِ اللغةِ النفعيةِ، أي الحوَارِ اليوميِّ و الأمورِ العامةِ ومثال ذلك ما نقله الفراءُ عن رجلٍ من اليمنِ في إجرائهم المصدرَ مشدداً إجراءً فعله المشدّد، أي كلُّ (فَعَلْتُ) فمصدره (فِعَالٌ): «قال لي إعرابيُّ منهم -أي من اليمن- الحلقُ أحبُّ إليك أم القَصَّارُ؟ يستفتيني»^(١) أي أأقصرُ شعري قصَّار أحبُّ إليك أم أحلقه و ما نقله الأصمعيُّ عن امرأةٍ من بني تميمٍ قال: «رأيتُ امرأةً من تميمٍ لم أرَ أفصحَ منها، فسمعتها تدعو على أُخْرَى وتقول: إنَّ كنتِ كاذبةً فحلبتِ قاعدةً...»^(٢) وقال الفراءُ أيضاً: «و أخبرني شيخٌ من أهلِ البصرةِ قال: سمعتُ إعرابيةً تقول لزوجها أينَ ابنُك و يلك؟ فقال و يك إنَّه وراءَ البيتِ، معناه أما تربيته و راءَ البيتِ»^(٣).

وهذا ما يمثِّلُ الموردَ الأوَّلَ لعملِ اللغويينَ، وحصيلةُ ذلك العملِ تسجيلهم لجملةٍ من الظواهرِ اللغويةِ التي ثبتتْ في مصنِّفاتهم و المرفوعةِ إلى العربِ مع إشاراته إلى الفروقِ اللغويةِ بين القبائلِ العربيةِ إذ نصُّوا على فصاحةِ لغةِ أهلِ الحجازِ في تركهم إدغامَ الحرفينِ المثلينِ في الجزمِ فيقولون: ارْدُدْ و لا ترْدُدْ و تلك هي اللغةُ العربيةُ القديمةُ الجيدةُ^(٤) و قال في موضعٍ آخر: «و جميعُ ما وصفناه -في بابِ إضافةِ المنادى إلى نفسك-... من هذه اللغاتِ -[لغة تميم - طيئ - بكر - قريش]- سمعناه من الخليلِ رحمه اللهُ و يونسَ عن العربِ»^(٥). و اعتمدَ اللغويونَ هذه المنهجيةَ في وصفهم العربيةَ الفصحى سواءً بالنسبةِ إلى الأفرادِ أو إلى القبيلةِ، أو تحديد البيئةِ

(١) معالم القرآن: ٣/ ٢٣١.

(٢) الفاضل في اللغة و الأدب: ١١٤-١١٥.

(٣) معاني القرآن: ٢/ ٢٦٩.

(٤) ينظر الكتاب: ٤/ ٤٧٣.

(٥) الكتاب: ٢/ ٢١٤.

اللغوية الفصيحة التي تمثلت بهذا الاستعمال اللغوي فتمثيلاً لذلك قول الفراء قال: «أنشدني رجل من الأسد عنهم - يريد بني الحارث - أي يجعلون الاثنين في رفعها ونصبها وخفضها بالألف قال:

فأطرق إطراق الشجاع ولو يرى مساعاً لِناباه الشجاع لَصَمَّما^(١)

قال: ما رأيت أفصح من الأسدي^(٢).

وقد قرأ عاصمٌ والأعمشٌ وأهل المدينة بتثقيب قوله تعالى: «وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا» (النبا: ٢٨) وقوله تعالى: «لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا» (النبا: ٣٥) قيل هي لغة يمانية فصيحة^(٣) وقيل إن قراءة أهل المدينة وافقت اللغة اليمنية الفصيحة وهذا راجع إلى أن الأوس والخزرج وهما جُل سكان المدينة يعودون إلى أصل ياني ولقراءة أهل المدينة صلة بلغة أهل اليمن^(٤).

أما النوع الآخر فهو ما يتمثل باللغة الأدبية (الشعر والنثر) والشعر هو الأعظم والأكثر تسجيلاً في التراث اللغوي العربي لأن الظواهر اللغوية قد وردت - من خلال اللغة الأدبية - بكثرة في مستوياتها اللغوية وبأساليبها التعبيرية المختلفة^(٥). فضلاً عن أن قواعد الكلام لا يخرج بعضها عن بعض الشعر والنثر، قال سيبويه: «وسألته عن (آتي الأميرة لا يقطع اللص) فقال: الجزاء ها هنا خطأ، لا يكون الجزاء أبداً حتى يكون الكلام الأول غير واجب، إلى أن يضطر شاعرٌ ولا نعلم هذا جاء في شعر البتة^(٦)» إذا لم يتمثل في النثر ولا في الشعر أي ليس ثمة مزية للقواعد التي بُنيت

(١) يُنظر: دراسات وتعليقات في اللغة/ ٧٣-٨٢، (ظواهر لغوية في لهجة طيء القديمة).

(٢) معاني القرآن: ١٥٧/٢.

(٣) معاني القرآن: ٣/٢٣١، إعراب القرآن: ٨٤/٥.

(٤) ينظر: الفصحح في اللغة والنحو: ٢٤٢.

(٥) ينظر القاعدة النحوية: ٦٩.

(٦) الكتاب: ٣/١٠١.

عن الاستعمال الشعريّ دون الثريّ فما ذكره سيبويه فيما تقدّم من القول لم يثبت في شعر ولا نثر.

واقضى عمل اللغويين بتلقي الشعر من الرواة والمنشدين و اعتماد المرويّ منها و تسجيله تسجيلاً أميناً وهذا ما يتمثل بالمرحلة الأولى لعمل الجغرافية اللغوية و جاء اعتماد سيبويه لما صدر عن الشعراء لأنهم لسان القبيلة^(١) و إمارة من إمارات البيئة اللغوية وهذا ما تمثّل بما جمعه علماء العربية في خروجهم إلى البوادي لجمع اللغة النقية الفصيحة التي تمثّلت أكثر في الشعر البدويّ الوعر البعيد عن نعومة الحضرة ولين حياتهم و اختلاطهم بالأجناس الأخرى^(٢).

وقد عني اللغويون بتحديد البيئات اللغوية - ضبط التوزيع الجغرافي^(٣) - تحديداً جغرافياً من خلال اعتمادهم الشواهد الشعرية الموثوق بصحة نسبتها إلى قائلها أمّا في حال الشكّ في هذه النسبة و الخلاف فيها فالباحث معنيّ بالبحث عن الخلافات الإقليمية للعربية الفصحى إلى درجة ما يمكن أن يسلم بصحة هذه النسبة أولاً.

و مثأل ذلك ما نسبة سيبويه إلى ناسٍ من بني تميم يبدلون مكان المدّ النون في ما نُونَ وما لم يُنَوَّن في الشعر، و الحجازيون يدعون ذلك على حاله في الترتم، ثمّ يأتي بنصوص من الشعر أحدهما مجهولٌ و الشاهدان الآخراّن منسوبان إلى العجاج وهو من تميم قال: «سمّعناهم يقولون: يا أبتا علك أو عساكن»^(٤)

إنّ الخلاف بين الحجازيين و التميميين يؤكّد أنّ هذه الظاهرة الصوتية إبدال المدّ نوناً ظاهرة تميمية و قد نسبها صاحبُ الخزانة^(٥) للعجاج عبد الله بن رُوْبَةَ بن لبيد بن

(١) العمدة: ١ / ٦٥، العربية بين أمسها و حاضرها: ١٠.

(٢) ينظر: دراسات في كتاب سيبويه: ٨٠، و اختلاف الرواية في شواهد سيبويه الشعرية: ٥١.

(٣) ينظر: تطور اللغوي التاريخي: ٣٨.

(٤) الكتاب: ٤ / ٢٠٦-٢٠٧.

(٥) خزنة الأدب: ٥ / ٣٦٥.

صخر السعديّ التميمي^(١) وإلى روبة بن عبد الله بن العجاج، وكلاهما من تميم.
واعتدَمَ سيبويهُ ومن قبله شيخُه الخليلُ النصَّ الشعريَّ في بيانِ الظاهرة اللغويةِ
وتحديدها جغرافياً.

قال سيبويهُ في تسكينِ العينِ مما كان متحركاً في الأصلِ: «هذا بابٌ ما يُسَكَّنُ
استخفافاً وهو في الأصلِ متحركٌ... وهي لغةُ بكرِ بنِ وائلٍ وناسٍ كثيرٍ من تميم»^(٢)،
ثمَّ جاءَ بنصُّ ابنِ نجدِ الفضلِ بنِ قدامةِ العجيليِّ البكريِّ^(٣) دليلاً على هذه الظاهرةِ
قال:

لَوْ عُضِرَ مِنْهُ الْبَانُ وَالْمَسْكُ انْعَصِرُ^(٤)

ومثله قولُه في جعلِ (ذا و ذات) ظرفاً متصرفاً قال: «إلاَّ أَنَّهُ جَاءَ فِي لُغَةِ لِحْتَعِمِ»^(٥)
أَي جَعَلَهُمْ ذَا وَذَاتَ ظَرْفَيْنِ مَتَصَرِّفَيْنِ ثُمَّ جَاءَ بِنَصِّ شَعْرِيٍّ لِرَجَلٍ مِنْ خَتَعِمٍ قَالَ:

عزمت على إقامة ذي صباح لشيء ما يُسَوِّدُ من يسود^(٦)

وقال في موضعٍ آخرٍ في فتحِ الآخرِ من المضَعَّفِ إذا التقى الألفُ و اللامُ أو
الألفُ الخفيفةُ: «ومَنهم من يتركُه إذا جاءَ بالألفِ و اللامِ على حالِه مفتوحاً»^(٧) وهي
لغةُ لبني أسدٍ و غيرهم من تميمٍ ثم يأتي بما سجَّله يونسُ عن جريرِ بنِ عطيةِ التميميِّ
في هذه اللغةِ قال:

(١) ينظر: الأعلام ٤/ ٨٦.

(٢) الكتاب: ٤/ ١١٣.

(٣) ينظر: الأغاني ١٠ / ١٨٣ - ١٩٨.

(٤) الكتاب: ٤ / ١١٤.

(٥) المصدر نفسه: ١ / ٢٢٧.

(٦) المصدر نفسه: ١ / ٢٢٧، وينظر: همع الهوامع: ٣ / ١٤٣

(٧) الكتاب: ٣ / ٥٣٣.

فغَضَّ الطرفَ إنك من نمير^(١)

وقال في موضع آخر: «التميميون يخففون ما كُسرَ من فعَال على فُعَل»^(٢) ثمَّ يأتي بنصِّ لعديِّ بن زيد العباديِّ التميميِّ في ردهِ إلى الأصلِ. قال: «قال الشاعرُ وهو عديُّ بنُ زيد:

وفي الأَكْفِ اللامعات سـوز^(٣)

وقال في موضع آخر من الكتاب في باب الأسماء التي يُجازى بها وتكون بمنزلة الذي إذ جاء بشاهدٍ على ما رُفِعَ بجوابِ الشرطِ على نيةِ التقديمِ قال: «قال الهذليُّ:

فقلتُ تحمَّلُ فوقَ طوقِكَ أنها مطبَعَةٌ من يَأْتِها لا يُظيِّرُها^(٤)

ونُسِبَ الشاهدُ في الخزانةِ وفي شرح أبياتِ سيبويه إلى أبي ذؤيبِ الهذليِّ^(٥).

وقد ترسَّم علماءُ العربيةِ وباحثوها هذا الأثرُ في بيانِ الظاهرةِ اللغويةِ وتحديدِ بيئتها، فنقلَ لنا ابنُ جنِّيِّ في المُنصِفِ إنَّ بني عامرٍ يقولونَ في فَعَلَ المِثالِ الواوي في المضارعِ يَفْعَلُ أي يَحذِفونَ فاءَ الفِعلِ فيقولونَ من وَجَدَ يَجِدُ واستشهد بنصِّ للبيدِ بنِ ربيعةِ العامريِّ قال:

لو شئتِ قد نَقَعَ الفِوادُ بشِربةٍ تدعُ العِوالي لا يَجِدُنَّ غليلاً^(٦)

(١) المصدر نفسه ٣ / ٥٣٣.

(٢) المصدر نفسه ٣ / ٦٠١.

(٣) الكتاب: ٤ / ٣٥٩.

(٤) الكتاب: ٣ / ٧٠.

(٥) ينظر: خزانة الأدب: ٩ / ٥٢، وشرح أبيات سيبويه: ٢ / ١٩٣.

وقال ابنُ جنِّي فيما أُجري في الوصلِ على حدِّه في الوقفِ «... قولُ الآخرِ:

فضلتُ لدى البيتِ العتيقُ أخيلةً ومطوأي مشتاقانِ له أرقان^(١)

إذ حكى^(٢) أبو الحسنِ إنَّ سكونَ الهاءِ في هذا النحوِ لغةٌ لأزدِ السراةِ، و النصُّ الشعريُّ في أعلاه هو ليعلى بنِ الأحول الأزدِي^(٣).

ومن هذه الاستعمالات اللغوية التي ثبتت في اللغة الأدبية ما نُقلَ عن الخليلِ بأنَّ هذيلًا تقولُ: سميحٌ ونذيلٌ، أي إجراء الصفةِ في ما كان بناءً فعلها فَعُلَ يَفْعُلُ مجرى الاسمِ على فعيلٍ^(٤) إذ ثبتَ هذا الاستعمالُ بقول أبي ذؤيبِ الهذليِّ في قصيدةٍ يقولُ في مطلعِها

ثمَّ قال:

صبا صبوة بل لَجَّ وهو لجوج وزالت له بالانعميم حدوح

فإن تعرضي عني وإن تبديلي خليلا ومنهم صالح وسميح^(٥)

ومن الدارسينَ المحدثينَ لاسيما المستشرقينَ (تشم راين) قالَ في ظاهرة الترخيمِ أنَّ «مثلَ هذا الترخيمِ -يا أبا الحك- وجدَ في شعرِ جميعِ القبائلِ، ولا يوجدُ في شعرِ طيءٍ، و مما يشعرُ بنزعةٍ مثيرةٍ للانتباهِ في هذا الاتجاهِ، ولم تَرِدْ مثلُ هذه الصيغةِ في

(١) ينظر المنصف: ١/ ١٨٧، شرح الشافية: ١/ ٢٩٣.

(٢) الخصائص: ١/ ١٦٤.

(٣) الخصائص: ١/ ١٦٤.

(٤) ينظر خزانة الأدب: ٥/ ٢٧٥.

(٥) الكتاب: ٤/ ٣٠.

(٦) ينظر: شرح أشعار الهذليين: ١/ ٩٣ - ١٠٠.

شعر أي من شعراء طي^(١) في النداء وغير النداء و من المحدثين العرب الدكتور عبد الجواد الطيب إذ نسب الإظهار أي فك الإدغام للهللين الذين جمعوا بعض خصائص البدو في وسط الجزيرة وبعض خصائص الحضرة من الحجازيين وكانوا أقرب ميلاً إلى الإظهار في المضعف وقد ورد ذلك في أشعارهم.

كقول أبي ذؤيب الهذلي: (وإن تعذر يُرددُ عليها اعتذارها)

وقول أسامة بن حارث: (عصاني ولم يردد عليّ بطاعة)

وقول المنخّل: (في تفره الإثم لم يغل)

وآخرين من شعراء هذيل^(٢).

والدكتور رمضان عبد التواب إذ نسب ظاهرة (كراهة توالي الأمثال) إلى طيء قال: «وجاءت هذه الظاهرة في أشعار الطائيين بكثرة» كما في قول الطرمّاح بن حكيم الطائي:

ظلت منها كصرّيع المدام أراد ظللت وهي لغة طيء^(٣)

والدكتور علي ناصر غالب اعتمد دواوين شعراء أسد في تحديد جوانب لغوية نسبها إلى لهجة أسد^(٤)، وهذا ما اعتمده أيضاً الدكتور غالب فاضل المطليبي في بيان جملة من الآثار اللغوية في شعراء تميم^(٥).

فتلك هي المادة اللغوية التي سُجّلت عن العرب ولا يحق لنا أن نحيد عنها سواء كانت مادة نثرية أم شعرية، لأنَّ النحو قام وبني على تلك المادة المروية المسجلة عن

(١) اللهجات العربية القديمة في غرب الجزيرة العربية ٣٥٩.

(٢) يُنظر: لغات العرب لغة هذيل / ١٤٠-١٤٥.

(٣) يُنظر: دراسات وتعليقات في اللغة / ٧٣-٨٢، (ظواهر لغوية في لهجة طيء القديمة).

(٤) يُنظر: لهجة قبيلة أسد: (٧٠)، (٧١)، (٧٥).

(٥) يُنظر: لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة: (٧٤)، (٧٩).

العرب، قال سيبويه في موضع من الكتاب: «والذي ذكرتُ لك قولُ الخليل، ورأينا العربَ توافقه بعد ما سمعناه منه»^(١). وقال في موضع آخر «واعلم أن كلَّ شيءٍ ابتدأناه في هذين البابين أولاً هو في القياسِ وجميع ما وصفناه من هذه اللغات سمعناه من الخليلِ رحمه الله ويونس عن العرب»^(٢) وقال في ما ورد من نصوصٍ استعماليةٍ «إنها حججٌ سمعتُ عن العربِ ومن يوثقُ به، يزعمُ أنه سمعها من العرب»^(٣).

(١) الكتاب: ٢/ ١١٧.

(٢) المصدر نفسه: ٢/ ٢١٤.

(٣) المصدر نفسه: ١/ ٢٥٥.

الفصل السابع والستون

المعجم العربي

جاء في المعجم الوسيط^(١): «المُعْجَمُ دِيْوَانٌ لِمُفْرَدَاتِ اللُّغَةِ، مُرْتَبٌّ عَلَى حُرُوفِ الْمُعْجَمِ، جَمْعُهُ مُعْجَمَاتٌ وَمَعَاجِمٌ». أو هم ما يطلق على مُصَنَّفٍ يَضُمُّ كَلِمَاتِ اللُّغَةِ وَيُثَبِّتُ هِجَاءَهَا، وَنُطْقَهَا، وَدَلَالَتَهَا، إِذْ كَوْنُهُ يَبْحَثُ فِي البُنْيَةِ الدَّلَالِيَّةِ للفظ، واستخدامها، ومرادفاتهما، واشتقاقها^(٢).

وقال ابن منظور: «العَجْمُ: النَّقْطُ بالسَّوَادِ مِثْلُ التَّاءِ عَلَيْهَا نَقْطَتَانِ. يُقَالُ: أَعْجَمْتُ الحَرْفَ وَلَا يُقَالُ عَجَمْتُ...»^(٣) وأعجمت الكتاب: أزلت استعجامة والعجم: عَضٌّ شَدِيدٌ بِالأضْرَاسِ دُونَ الثَّنَائِيَا. وَعَجَمَ الشَّيْءَ يَعْجُمُهُ عَجْمًا، فَالأَعْجَامُ إِذَا إِزَالَةُ اللِّبْسِ وَالعَمُوضُ، وَطَرِيقٌ إِلَى الإِبَانَةِ لِأَنَّ وَضْعَ النِّقَاطِ عَلَى الحُرُوفِ إِذْ هُوَ مَا يَمِيزُ بَيْنَ الألفاظِ دَرءَ تَصْحِيفِ وَالتَّحْرِيفِ.

فالمُعْجَمُ هُوَ الصَّابِطُ للفظ، وَبِهِ يَعْرِفُ صَحِيحَهُ وَمِنْ قَبِيحَةٍ وَعَلَيْهِ المَعُولُ فِي الفِصَاحَةِ، وَظَهَرَ لَفْظُ المُعْجَمِ فِي زَمَنِ مُتَأَخِّرٍ بِالنِّسْبَةِ لِلبَحْثِ اللُّغَوِيِّ عِنْدَ القَدَمَاءِ، قِيلَ لَمْ يَعْرِفْ لَفْظُ المُعْجَمِ كَمُصَنَّفٍ أَوْ كِتَابٍ إِلَّا فِي أَوَاخِرِ القَرْنِ الرَّابِعِ الهِجْرِيِّ، أَمَا قَبْلَ ذَلِكَ فَهُوَ كِتَابٌ. وَأَوَّلُ مُعْجَمٍ بِهَذَا الأَسْمِ هُوَ مَعْجَمُ مَقَائِيسِ اللُّغَةِ^(٤).

١. يُنظَرُ: المُعْجَمُ الوَسِيطُ مادَهُ (عجم).

٢. يُنظَرُ: المُعْجَمُ العَرَبِيُّ

٣. لسان العرب مادة (عجم).

٤. يُنظَرُ: الصَّحَاحُ وَمَدَارِسُ المُعْجَمَاتِ العَرَبِيَّةِ: ٥٣.

ذهب بعض الباحثين إلى أن العرب نقلوا تجارب الهنود أو اليونانيين في صناعة المُعْجَمِ العربي ولا سيما معجم العين. وقد كتب د. أحمد مختار عمر مقالاً في مجلة مجمع اللُّغة بالقاهرة تحت عنوان: «هل أثر الهنود في المُعْجَمِ العربي؟ إذ جاء بجملته من الآراء التي ذهبت إلى القول بالأصالة أو التَّقْلِيدِ.

ونقل عن بعضهم بأنَّ الخليل ربما تأثر بالهنود على المستوى الصوتي إذ «لم يكن موجوداً في الترتيب الأبجدي، ولكن ربما بتأثير من الهند»^(١) وعلى هذا الأساس قيل إنَّ الخليل وازع أول معجم عربي، وكتاب «العين» منسوباً إليه ولعله من حيث المنهج والنظام قد تأثر بالهنود لأنه مرتب ترتيباً صوتياً. وهذا الترتيب معروف عندهم وذهب بعضهم إلى أنَّ العرب ربما قد تأثروا باليونانيين الذين أعطوا العرب فكرة المُعْجَمِ. وجاء البناء على النظام الهندي بالاعتماد على الأبجدية الصوتية، وقد ذهب بعض المحدثين العرب إلى أن الخليل مقلد غير مبتكر. ومن هؤلاء شوقي ضيف إذ قال: «فقد وضع الخليل خطة أول معجم في العربية وهو معجم العين، ورتبه على مخارج الحروف بالضبط كما يرتب الهنود حروف لغتهم»^(٢).

وقال المستشرق هاي وود «الحقيقة أن العرب في مجال المُعْجَمِ يحتلون مكان المركز سواء في الزمان أو المكان بالنسبة إلى العالم القديم والحديث وبالنسبة إلى الشرق والغرب»^(٣). أي أنَّ العرب أسبق الأمم إلى وضع المُعْجَمَاتِ. وقد أكد هذه الأصالة. وهذا مغايراً لبقول العطار «وإذا كان الخليل مسبقاً من بعض الأمم في هذا

1. Encyclopedie I, Islam, NV- IV, P. 994 موسوعة لتر

٢. يُنظَرُ: الفن ومذاهبه في الشعر الادبي: ١٢٥.

٣. مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة: الجزء ثلاثون: ١٢٢.

السبيل، فإن من الحق أن نذكر أنه لم يكن مقلداً أحداً، أو ناهجاً على طريق سابق، بل كان مبتكراً أو مخترعاً في الفكرة والمنهج والترتيب...»^(١)

مدارس المعجمات العربية

وَصَعَ الْخَلِيلُ أَوَّلَ مُعْجَمٍ عَرَبِيٍّ مُؤَسَّسًا فِيهِ الْمَدْرَسَةَ الْمُعْجَمِيَّةَ الْأُولَى. وَكَانَتْ لِمَدْرَسَتِهِ مَبَادِي وَأُصُولٌ خَاصَّةٌ وَتَلَامِذَةٌ حَذُوا حَذَوْه. وَمَدَارِسُ الْمُعْجَمَاتِ فِي نَظَرِ الْبَاحِثِينَ أَرْبَعٌ عِنْدَ الْعَرَبِ.

١. مدرسة الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ):

كانت العناية قبلها منصرفة إلى الرسائل والمجموعات التي وضعها الأصمعي (ت ٢١٦هـ) وأبو زيد الأنصاري (ت ٢١٥هـ) وغيرها. مهّدت هذه الرسائل إلى المعجم ولم تكن معاجم لاختلافها عنها في الهدف والمنهج. وبقي معجم العين أول معجم حاول حصر ألفاظ اللغة حصراً شاملاً في إطار نظام منهجي واضح استوعب فيه شوارد اللغة.

١. الصحاح ومدارس المعجمات العربية: ٦٥.

مبادئ مدرسة الخليل

- ترتيب المواد ترتيباً صوتياً بحسب مخارج الحروف بتأثير من علم الموسيقى.
- تقسيم المعجم إلى كتب، وتفرغ الكتب إلى أبواب بحسب الأبنية، وحشد الكلمات في الأبواب.
- قلب الكلمة إلى مختلف الصيغ وفق نظام الاشتقاق الكبير، ورصد المستعمل والمهمل من هذه التقلبات.

واستمر هذا النهج في معجم البارع للقيالي «ت ٣٥٦هـ» وتهذيب اللغة للأزهري «ت ٣٧٠هـ»، والمحيط للصاحب بن عباد «ت ٣٨٥هـ»، والمحكم الأعظم لابن سيده «ت ٤٥٨هـ»^(١).

٢. مدرسة أبي عبيد القاسم بن سلام «ت ٢٢٤هـ»^(٢)

حملت هذه المدرسة اسم أبي عبيدة لأن كتابه «الغريب المصنف» أول كتاب وصل إلينا مصنفاً على طريقة الموضوعات ويضم ثلاثين باباً. وقامت هذه المدرسة على بناء المعجم على المعاني والموضوعات، ورتبت فيها الثروة اللغوية في مجموعات من الألفاظ تدرج تحت فكرة واحدة. من أهم أتباعها:

أ- كراع النمل «ت حوالي ٣١٠هـ» في المنجد في ما اتفق لفظه واختلف معناه وقسمه إلى أبواب هي:

١. في ذكر أعضاء البدن من الرأس إلى القدم.
٢. في ذكر الحيوان من الناس والسباع والبهائم

١. يُنظَر: المعجم العربي لحسين نصار: ٣١٤-٣١٦.

٢. يُنظَر: المدخل إلى فقه اللغة: ٢٦٦.

والهوام.

٣. في ذكر الطير.

٤. في ذكر السلاح.

٥. في ذكر السماء وما يليها.

٦. في ذكر الأرض وما يليها وفيه ثمانية وعشرون

فصلاً على عدد حروف المعجم.

أ - **الهمذاني عبد الرحمن بن عيسى «٣٢٠هـ»**، في كتابه «الألفاظ الكتابية».

وقد وزع موضوعاته على أبواب كثيرة، تفاوتت طولاً وقصراً، هادفاً إلى إثبات العبارة الفنية، وانتخاب التعبير الجميل لإمداد الكتاب بزاد من الفصاحة وحسن العبارة.

فخالف بذلك طريقة المعجم لأن المعجم يرمي إلى الجمع والاستقصاء لا إلى الانتخاب والانتقاء.

ب - **الثعالبي «ت ٤٢٩»** في كتابه «فقه اللغة وسر العربية»^(١).

هو أشهر معجمات المعاني، وزه على ثلاثين باباً، في كل باب عدد من الفصول. بدأ الباب الأول بالكليات وفصله الأول في ما نطق به القرآن من ذلك، وفصله الثاني في ذكر ضروب من الحيوان، وفصله الثالث في النبات والشجر وهكذا... فبلغت فصول الكتاب ستمائة فصل. وقد نقل بعض فصوله عن المتقدمين.

ج - **ابن سيده «ت ٤٥٨هـ»** في معجمه «المخصص»

ويعد من أكبر معجمات المعاني ومن فضائله: تقديم الأعم فالأعم على الأخص

١. يُنظَرُ: فقه اللغة وسر العربية: ١٦.

فالأخص، والإتيان بالكليات قبل الجزئيات والابتداء بالجواهر والتفقيه بالأعراض على ما يستحقه من التقديم والتأخير، وتقديمنا «كم» على «كيف» وشدة المحافظة على التقييد والتحليل». قسمه إلى عدد من الكتب منها: كتاب خلق الإنسان، ويتضمن باب الحمل والولادة، والرضاع والفظام والغذاء، وسائر ضروب التربية والغذاء، وأسماء أول ولد الرجل وآخرهم وأسماء ولد الرجل في الشباب والكبر وهكذا.

والكتاب على نفاسته لا يخلو من عيوب، أهمها: اختلاط الموضوعات، وإقحامه مسائل لغوية ونحوية وصرفية وما إليها.

وجهت إلى هذه المدرسة انتقادات شتى، هب بعضهم إلى أن سلبياتها تفوق إيجابياتها.

ولكن الإنصاف يقضي بالاعتراف لها بأنها تسد حاجة من حاجات المنشئ، وتسهل عليه التعمق في موضوعه، وتمده بسرعة بالألفاظ الصحيحة والمعاني الدقيقة. فالباحث عن صوت من أصوات الحيوان مثلاً في معجم المعاني قد لا يعثر عليه إلا بشق الأنفس أما في معجم الموضوعات فإنه يعثر عليه بسرعة فائقة. وقل مثل ذلك في درجات الحزن ومراتب البكاء والفرح والسعادة وما إلى ذلك.

٣. مدرسة الجوهري «ت ٤٠٠هـ» «في معجمه الصحاح»:

رتبت المعجم ترتيباً هجائياً، وقسمته إلى فصول وأبواب معتمدة الحرف الأخير من الكلمة وسمته باباً، وسمت الحرف الأول فصلاً، ونظرت إلى الحرف الثاني في الثلاثي وإلى الحرف الثالث في الرباعي ليأتي الترتيب دقيقاً. وهذا الترتيب أسهل بكثير من ترتيب الخليل.

أ. ابن منظور «ت ٧١١هـ» في «لسان العرب» :

واللسان أشهر معاجم العرب إلى يومنا هذا وأكثرها تشعباً وأغزرها مادة. فلقد احتوى ثمانين ألف مادة. وعُد موسوعة لغوية أدبية شاملة.

اعتمد فيه الفصل والباب على طريقة الجوهري. لكن دار المعارف بمصر - قد أعادت توزيعه في طبعة جديدة معتمدة الطريقة الألفبائية الحديثة وأصدرته في ستة مجلدات.

ولهذا المعجم أهمية كبرى في لغتنا، فهو منذ صدوره وإلى زماننا هذا يُعد أهم معجم عند الدارسين العرب والأعاجم.

ب- الفيروزآبادي «ت ٨١٧هـ» في القاموس المحيط :

رتبه على الفصل والباب واستخدم فيه الرموز لأول مرة. احتوى ستين ألف مادة وبقي حجمه أصغر من لسان العرب، ونافس في الشهرة والذيع إلى يومنا هذا.

ج- الزبيدي «ت ١٢٠٥هـ» في تاج العروس :

اعتمد فيه مادة القاموس المحيط، ووسعها، وأثبت الشواهد التي أهملها القاموس المحيط. وصنفه على الباب والفصل كما في الصحاح. وصدّر كل باب بكلمة موجزة تحدث فيها عن الحرف ويبيّن مخرجه وصفاته وابدالاته. ووجه عناية خاصة إلى المجاز ولكنه أورد فيه الكثير من الألفاظ العامية.

١. يُنظَر: المعجم العربي: ١/٥١١-٥٢٩.

لم يؤلف البرمكي معجماً، بل أعاد ترتيب الصحاح وفق أوائل الأصول فصار بذلك زعيم مدرسة التبسيط والتيسير. وهذه المدرسة هي التي استمرت إلى يومنا هذا لأنها رتبت المُعْجَمُ وفق أوائل الحروف مبتدئة بالهمزة، منتهية بالياء مع مراعاة الحرف الثاني والثالث والرابع. وسبقت المُعْجَمَاتُ الحديثة في ترتيب المواد ترتيباً محكماً. من أتباعها:

أ- أبو عمرو الشيباني «ت ٢٠٦هـ» في معجم «الجيم»:

إذ صنف أبو عمرو كتاب الحروف في اللغة وسماه كتاب الجيم وأوله الهمزة. ولم يذكر في مقدمة الكتاب لِسْمَاهُ الجيم ولا أعلم من العلماء ذلك. ولعله قسمه جواباً مرتبة على الحروف الهجائية جاعلاً لكل حرف منها باباً خاصاً^(١).

وقيل: لماذا لم يكن الشيباني زعيم هذه المدرسة وهو سابق البرمكي؟ فالجواب أن الشيباني أورد في كل باب الألفاظ التي تبدأ بالحرف الأول مهماً الحرف الثاني وما بعده.

ولهذا لم تكن طريقته رائدة فهي مشوبة بكثير من الفوضى والاضطراب داخل الباب الواحد.

ب- ابن دريد الأزدي «ت ٣٢١هـ» في جمهرة اللغة:

اعتمد فيه الترتيب الألفبائي، وقسمه إلى أبواب هي أبواب كتاب العين من ثنائي مضعّف إلى ثلاثي صحيح إلى رباعي وخماسي منتهياً باللغيف والنوادر. ولم يكتف

١. يُنظَرُ: المُعْجَمُ العربي: ١/ ٨٠

بذلك بل عاد إلى طريقة الخليل في التقليب. وحرص أن يبدأ كل باب بالكلمة التي تبدأ بالحرف المعقود له الباب، يليه مباشرة الحرف الذي يتبعه في الترتيب الألفبائي فباب الباء مصدر ب «بت» وباب التاء مصدر ب «تت» وهكذا.

وأعتقد أنه من الخطأ أن يصنّف المصنفون هذا المعجم في مدرسة البرمكي لأن مدرسة البرمكي تمثل غاية التطور في البحث المعجمي، وبلغت ذروة التبسيط والتيسير. وابن دريد عقد البحث فأتعب الباحث وضيّعه بين الأبواب والتقليب^(١).

ج- ابن فارس «ت ٣٩٥ هـ» في مقاييس اللغة:

اعتمد فيه الترتيب الألفبائي وقسمه إلى كتب بعدد حروف الهجاء فكتاب للألف وثمان للباء وثالث للثاء هكذا. لكنه قسم كل كتاب إلى ثلاثة أبواب هي: الشائي المضعف والثلاثي وما زاد على الثلاثي. وتخلّى عن التقليب إلا أنه وقع في أشكال كبير عندما بدأ كل كتاب بالحرف الذي يبدأ فيه اللفظ مع الحرف الذي يليه مباشرة في الترتيب الهجائي تاركاً ما قبله من حروف. ففي باب الدال بدأ بالكلمات التي تبدأ بالدال مع الذال وما يثلثها وصولاً إلى الياء ثم يعود إلى الكلمات التي تبدأ مع الهمزة وما يثلثها وهكذا.

وهذه الطريقة عقدت البحث في المعجم ولا ضرورة لاعتمادها بعد ما تخلّى عن طريقة التقليب التي تعود إلى مدرسة العين^(٢).

د- الزمخشري «ت ٥٣٨ هـ» في أساس البلاغة:

أول معجم مطبوع مرتب ترتيباً ألفبائياً محكماً فسبق المعاجم الحديثة. قسمه إلى ثمانية وعشرين باباً بعد حروف الهجاء، وراعى فيه ترتيب الحرفين الثاني والثالث

١. يُنظَرُ: المزهري: ١/٩٣؟

٢. يُنظَرُ: المعجم العربي: ٢/٤٧٥، وفصول في فقه اللغة: ٢٨٠.

من الكلمة ففضلي على كثير من الصعوبات والتعقيدات السابقة وصار في ترتيبه رائداً بحيث أن المعجّجات الحديثة لم تضاف شيئاً إلى طريقته.

صرف همه إلى إظهار جمال اللّغة فأفرد المجاز عن الحقيقة والكناية عن التصريح. وريادة هذا المعجّم تكمن في أنه وضع أمام القارئ استعمال اللفظ في أساليب متعددة مما تحدثت به العرب. وفيه أكثر من خمسة آلاف شاهد شعري، وآلاف الأمثال والحكم والجمل البلاغية. وقد سبق المعاجم الأعجمية في وضع الكلمة في جملة أو مثل ماثور يفهم معناها من السياق^(١).

ه- الفيومي «ت ٧٧٠ هـ» في المصباح المنير:

اتبع فيه طريقة الزمخشري. لكنه مختصر جداً فلم يتسع لألفاظ العربية كلها. وهكذا نرى أن المعجّم العربي قد تخلص من شوائب البحث في المعجّم في المراحل الأولى من عمره. وبقي رغم اتهامه بالصعوبة قائماً، والسبب أن أكبر المعجّجات وأوسعها وأشملها بقيت معتمدة وموثوقة إلى يومنا هذا، وهذه المعاجم الميسرة لم تغن عن تلك فلم تكن شاملة مستوعبة. وكان الغرض منها بلاغياً^(٢).

ولا بد من ملاحظة أمر هام هو التزام هذه المعاجم جميعاً بمراعاة أصل الكلمة أو الجذر. وهذا الجذر يمثل المادة الخام التي تصدر عنها المشتقات جميعاً. والرجوع إلى الجذر شكّل مأخذاً على معجمنا من بعض النقاد الذين استصعبوا العودة إلى أصل بعض الألفاظ ونادوا بترتيب المعجّم بحسب صورة الكلمة متناسين طبيعة لغتنا الاشتقاقية.

وهذا الترتيب يحافظ على الروابط المعنوية والدلالات المشتركة العائدة إلى جذر واحد.

١. يُنظَرُ: المعجّم العربي: ١/١٩٨.

٢. يُنظَرُ: المصدر نفسه: ١/١٩٨.

الفصل السابع

النظام الصوتي للغة العربية

أولاً: الأصوات اللغوية

عُني العربُ القدماءُ بدراسة الأصوات اللغوية، فكانوا من السَّابِقِينَ إلى الاهتمام بهذا المستوى من الدرسِ في بحثهم اللغويِّ الذي اتسمَ بدقة الملاحظة وسلامة الحسِّ في تذوق الأصوات اللغوية^(١).

وقد اعترف علماء الغربِ ببراعتهم وتفوقهم في مجال بحثهم الصوتيِّ، وفي هذا المعنى قال برجشراسر: «لم يسبق الغربيين في هذا العلم إلا قومان من أقوام الشرق، وهما الهنودُ والعربُ»^(٢)، وقال الأستاذُ كاردنر W. H. T. Gairdener في كتابه «The Phonetics of ARABIC: P: 13-16»: «لقد سبق العلماء العربُ الأصواتيين المحدثين في تصنيف الأصوات حيث أشاروا إلى الأصوات الإنسانية والحنكية واللهوية والثوية من الصوامتِ وقدموا ملاحظاتهم المضبوطة عن المواقع الدقيقة للسانِ والحنك...»^(٣).

وكانت طبيعة الدراسات الصوتية عند العربِ دراساتٍ وصفيةً مثلها مثل الدراسات الصوتية الحديثة التي تقوم على استخلاص الحقائق وتصنيفها ووضع

١. يُنظَر: الصوت اللغوي في القرآن الكريم: ١٧، علم اللغة العام الأصوات العربية: ٨٧، علم الأصوات العام: ١١٢.

٢. التطور النحوي للغة العربية: ١١.

٣. نقلاً عن: الصوت اللغوي في القرآن الكريم: ١٧-١٨.

القواعد الخاصة بها عن طريق الملاحظة الذاتية (Intrasppection) أو التجربة الشخصية أو الانطباع الذهني الناتج عن تلك التجربة في دراسة الأصوات^(١). وإذا ما عدنا إلى الدراسات الصوتية القديمة نجد الخليل بن أحمد من أكثر العارفين وأشهرهم في الدراسات الصوتية^(٢)، فأشار إلى أبعادها ووضع يده على الأصول في انطلاق الأصوات من مخارجها الدقيقة، وأفرغ جهده في التماس التسميات للمسميات وتمكن من استنباط طائفة صالحة من الأسرار الصوتية، التي انتهى إليها من خلال وصفه للأصوات لما يحسّه بنفسه من اختلاف في أعضاء النطق وما للعملية العقلية التي يقوم بها المرء من أثر لدى صدور كل صوت^(٣). واستعمل الخليل كلمة «حرف» للدلالة على إرادة «صوت» منها، فكانت الأصوات عنده هي الحروف الذلق والحروف الشفوية وحروف الحلق وحروف أقصى الحلق والحروف الصراح والحروف الصم وحروف الجوف وحروف اللين وحروف ما بين عكدة اللسان والحروف اللهوية والحروف الشجرية والحروف الأسلية والحروف النطعية والحروف اللثوية وهو يريد بذلك، أصوات الذلاقة، وأصوات الشفة، وأصوات الحلق، وأصوات أسلة اللسان، ولا يكتفي بهذا حتى يسمي هذه الأصوات بالإضافة إلى مخارجها ومدارجها، ناظراً إلى هيئة المخرج من المدرج، وما يصطدم بها من أجهزة النطق أو يتجاوزها باندفاع الهواء، فيصفها في مثل النحو الآتي:

١. يُنظَر: علم اللغة العام الأصوات العربية: ٢٦، الأصوات اللغوية: ٨٨، دروس في علم أصوات العربية: ١، في فقه اللغة وقضايا العربية: ٢٠.
٢. يُنظَر: علم اللغة العام الأصوات العربية: ٧٧، المعجم العربي (حسين نصار): ١: ٢٨٠.
٣. يُنظَر: الأصوات اللغوية: ٨٨، الصوت اللغوي في القرآن الكريم: ٤٣.

مخارج الحروف

ت	الرقم	المخرج العام	المخارج	المخرج الخاص	الحروف
١.	١	الحلق	١	أقصى الحلق أي آخره من جهة الصدر	هـ - هـ
٢.			٢	وسط الحلق	ع - ح
٣.			٣	أدنى الحلق أي اقربه إلى الفم	غ - خ
٤.	٢	اللسان	١	أقصى اللسان قريباً من الحلق	ق
٥.			٢	أقصى اللسان قريباً من جهة الفم	ك
٦.			٣	وسط اللسان	ج - ش - ي
٧.			٤	ظهر اللسان مع أصول الثنايا العليا	ت - ط - د
٨.			٥	ظهر اللسان مع أصول الثنايا العليا	ث - ظ - ذ
٩.			٦	طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا	ن
١٠.			٧	ظهر اللسان مع أصول الثنايا العليا قريباً من الظهر	ر
١١.			٨	رأس اللسان مع أصول الثنايا	ز - ص - س
١٢.			٩	حافة اللسان أي جانبه مع التصاقه بما يجاذيه من الأضراس العليا	ض
١٣.			١٠	حافة اللسان أي جانبه مع التصاقه بما يجاذيه من الأسنان	ل
١٤.	٣	الشففتان	١	ما بين الشفتين	ب - م - و
١٥.			٢	الشفة السفلى مع رؤوس الثنايا العليا	ف
١٦.	٤	الجوف	١	الجوف	آ - و - ي
١٧.	٥	الأنف	١	الخيشوم	الغنة

فأقصى الحروف كلها العين ثم الحاء، ولولا بحة في الحاء لأشبهت العين لقرب مخرجها من العين، ثم الهاء، ولولا هتة في الهاء لأشبهت الحاء لقرب مخرج الهاء من الحاء، فهذه ثلاثة أحرف في حيّز واحد بعضها أرفع من بعض، ثم الخاء والغين في حيّز واحد كلها حلقيّة، ثم القاف والكاف لهويتان، والكاف أرفع، ثم الجيم والشين

والضاد في حَيِّز واحد، ثم الصاد والسين والزاي في حَيِّز واحد، ثم الطاء والذال والتاء في حَيِّز واحد، ثم الظاء والذال والثاء في حَيِّز واحد، ثم الراء واللام والنون في حَيِّز واحد ثم الفاء والباء والميم في حَيِّز واحد ثم الألف والواو والياء في حَيِّز واحد والهمزة في الهواء لم يكن لها حَيِّز تنسب إلي^(١)

وقد ورث سيبويه من شيخه الخليل بن احمد علمه بأصوات العربية_ الذي تمثل بمخارج الأصوات وصفاتها^(٢)_ وهذا ما نلحظه في كتابه، ولم يكتف سيبويه بتلك الملاحظات أو الخلاصات الصوتية التي دفع بها الخليل اليه، وانما أورد بعض المسائل الصوتية ك«الادغام، والامالة، والاتباع الحركي والاعلال، والقلب، والابدال والهمز..» وغير ذلك من صور تأثر الأصوات بعضها ببعض في عملية التشكيل الصوتي^(٣).

أعضاء النطق

١. الشفتان:

وهما من الأَعْصَاء المهمة في النطق نظرا لقبليتهما على الحركة والتكيف لبعض الأوضاع وبخاصة في حالتها الانفراج والانطباق^(٤).

٢. الأسنان:

وهي أعضاء النطق الثابتة ولها أهمية في نطق بعض الأصوات اللغوية فهي تساعد اللسان في نطق الذال والثاء والفاء، وتشارك

١. يُنظَرُ: العين: ٥٧: ١-٥٨

٢. يُنظَرُ: الأصوات اللغوية: ٨٨، أصالة علم الأصوات عند الخليل... ٢٣-٢٥، ٢٥، ٨٥.

٣. يُنظَرُ: الكتاب: ٤٣٤: ٤ والأبحاث في أصوات العربية: ١١٣، الصوت اللغوي في القرآن الكريم: ٥٣.

٤. يُنظَرُ: علم اللغة العام: ٧١.

اللسان أيضا في نطق الذال و الظاء^(١).

٣. اللثة:

وهو تجويف يلي الأسنان إلى الفم وتساعد في نطق بعض الأصوات.

٤. الحنك:

وهو تجويف الفم، ويقسم على ثلاثة أقسام: مقدمة الحنك يعرف باللثة، و وسط الحنك يعرف بالغار (الحنك الصلب)، واقصى- الحنك ويسمى بالحنك اللين.

٥. اللهاة:

وتكون في نهاية الحنك اللين، وتتضح أهميتها في نطق القاف.

٦. اللسان:

هو العضو الرئيس في عملية النطق، وهو على ثلاثة أقسام: طرفه وهو الجزء الذي يقابل اللثة، و وسطه الذي يقابل الحنك، واقصاه الذي يقابل الحنك الأقصى.

٧. القصبية الهوائية:

وهي قناة صوتية رابطة بين الحنجرة والرئتين، وتكون على شكل قصبية ذات حلقات غضروفية غير كاملة الاستدارة من الخلف.

٨. لسان المزمار:

هو تجويف له غطاء يحمي طريق التنفس اثناء عملية البلع، ومن الناحية اللغوية نجده قليل الأهمية فهو يتحرك مع مؤخرة اللسان الى الأمام والى الخلف، وفي هذه الحركة يؤثر في التساع الفراغ الذي يتمثل به^(٢).

١. يُنظَرُ: فقه اللغة للدكتور عبد الحسين مبارك: ٨٠.

٢. يُنظَرُ: محاضرات في فقه اللغة: ٩٠.

٩. الحلق:

تجويف يقع بين الحنجرة والفم

١٠. الحنجرة:

وهي عضو مكون من ثلاثة غضاريف الأول منها يكون ناقص الاستدارة والثاني يكون كامل الاستدارة، والثالث مكون من قطعتين موضوعتين فوق الغضروف الثاني^(١).

١١. الوتران الصوتيان:

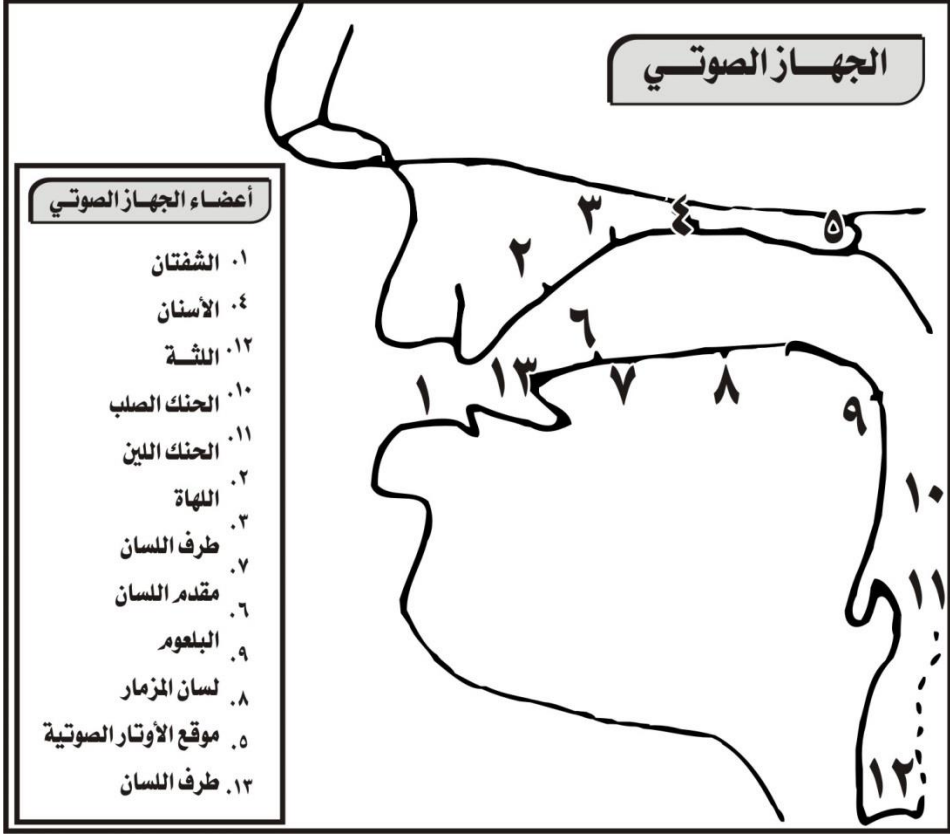
وهما عضوان لهما القدرة على اتخاذ الوضع المناسب في الحنجرة لإصدار الذبذبات الصوتية أي ما يعرف بالنغمة الموسيقية، فعن طريق انفراجهما يحصل الهمس، وفي انطباقهما يحصل القطع والجهر.

١٢. الرئتان:

وهما عضوان إسفنجيان يقومان بوظيفة بيولوجية تتمثل باستبدال ثاني أكسيد الكربون بالأوكسجين من خلال عمليتي الشهيق والزفير، وتنحصر- وظيفتهما اللغوية في دفع الهواء إلى الخارج مارا بالأعضاء الصوتية، ونتيجة عملية الاحتكاك بين الهواء الصاعد من الرئتين وتلك الأعضاء يحدث الصوت اللغوي^(٢).

١. يُنظَرُ: الأصوات اللغوية: ١٧.

٢. يُنظَرُ: محاضرات في فقه اللغة: ٨٦.



صفات الأصوات

▪ الجهر والهمس

يحدث الجهر بالصوت حينما تقترب الأوتار الصوتية بعضها من بعض حد التلاصق أثناء مرور الهواء، ونظر لضيق مجرى الهواء تحصل تلك الذبذبات الصوتية التي يولد منها الصوت المجهور^(١).

أما الهمس فهو تباعد الوترين الصوتيين أثناء عملية مرور الهواء دون ادنى ذبذبة فيها والصوت إلى يولد من عملية خروج الهواء من الرئتين بتلك الطريق يسمى

١. يُنظَر: علم اللغة العام: ٧١

بالصوت المهموس، والأصوات المهموسة هي: الهاء والحاء والثاء والشين والصاد و التاء والسين والكاف والفاء والحاء وعددها عشرة أصوات يجمعها قول (حثة شخص فسكت)، وباقي الأصوات في المجهورة وعددها تسعة عشر صوتاً^(١).

▪ الشدة والرخاوة:

مفهوم الشدة هو انحسار الصوت أو انحباسه حال النطق بالصوت لتمام قوته ومن حروفه «أ، ب، ت، ج، د، ط، ق، ك»، أما الرخاوة فهو على العكس من ذلك و الذي يجري فيه الصوت^(٢).

▪ التوسط بين الشدة والرخاوة:

وهي الأصوات التي تجمع بين الشدة والرخاوة في صفاتها، ومن هذه الأصوات «الألف و العين و الياء واللام والنون والراء والواو والميم» ويمكن جمعها بعبارة: لمر يرو عنا.

▪ الإطباق والانفتاح:

وي الحالة التي ينصر فيها الصوت بين اللسان والحنك الأعلى، وهو رفع اللسان إلى الحنك الأعلى مطبقاً له، ولولا الإطباق لصارت الطاء دالا والصاد سينا والطاء ذالا ولخرجت الضاد عن الكلام لأنه ليس من موضعها شيء غيرها فتزول الضاد اذا عدمت الإطباق إليه^(٣)، فهو نوع من الاستعلاء الذي يرتفع أقصى اللسان به إلى ما يلي الحنك ومن أصواته «الضاد والصاد والطاء والطاء»، أما الانفتاح فيراد به جريان النفس لعدم إطباق اللسان، وحروفه هي الخمسة والعشرون الباقية.

▪ الذلاقة والصمت أو الإصمات:

سميت مجموعة من الأصوات بهذه التسمية كونها تخرج من ذلق اللسان وهي ستة احرف ثلاثة منها تخرج من ذلق اللسان من طرف الغار «اللام و الراء والنون»

١. يُنظَرُ: سر صناعة الإعراب: ١: ٦٨-٦٩.

٢. يُنظَرُ: المصدر نفسه: ١: ٧٠.

٣. المصدر نفسه: ١: ٧٠-٧١.

والباقى من طرف غار الفم وهي «الفاء والباء والميم» ومخرجها بين الشفتين^(١).

▪ الاستعلاء والانخفاض:

الاستعلاء هو خروج الصوت من اعلى الفم أي أن تصعد في الحنك الأعلى وأصواته «الحاء والصَّاد والضَّاد والطَّاء والظَّاء والغين والقاف»، أما الانخفاض أو الاستفال فهو خروج الصوت من اسفل الفم وأصواته ما بقي من الأصوات^(٢).

▪ الصفير:

هو حالة في الصوت الرخو «الصاد والسين والزاء» الذي يخرج من بين الثنايا وطرف اللسان ويحث صفيرا، كونها تنسل انسلا^(٣).

▪ لقلقلة:

وهي اضطراب الصوت عند النطق به كونه ساكنا فحرك، ومن تلك الأصوات «القاف والباء والجيم والطاء والبدال»^(٤).

▪ اللين:

وتسمى أصوات المد كون الهواء لا يعترضه أي عارض أثناء عملية النطق بها في الفم أو في الحلق وقيل احتملت تلك الأصوات «الألف والواو والياء فضلا عن الحركات الثلاثة» لأنها سواكن فتسعت مخارجها حتى جرى الصوت فيها^(٥).

▪ التنفسي:

يراد به تفشي صوت الشين بانتشار النفس في الفم عند النطق به^(٦).

▪ الاستطالة:

وهي مد الصوت بالضاد في أول حافة اللسان إلى آخرها^(٧).

١. يُنظَرُ: معجم العين: ١: ٥١.

٢. يُنظَرُ: سر صناعة الاعراب: ١: ٧٢.

٣. يُنظَرُ: في البحث الصوتي عند العرب: ٥٨.

٤. يُنظَرُ: سر صناعة الإعراب: ١: ٧٣.

٥. المصدر نفسه: ١: ١٩.

٦. يُنظَرُ: دراسات في فقه اللغة: ٢٨٣.

٧. المصدر نفسه: ٢٨٣.

▪ **التكرار:**

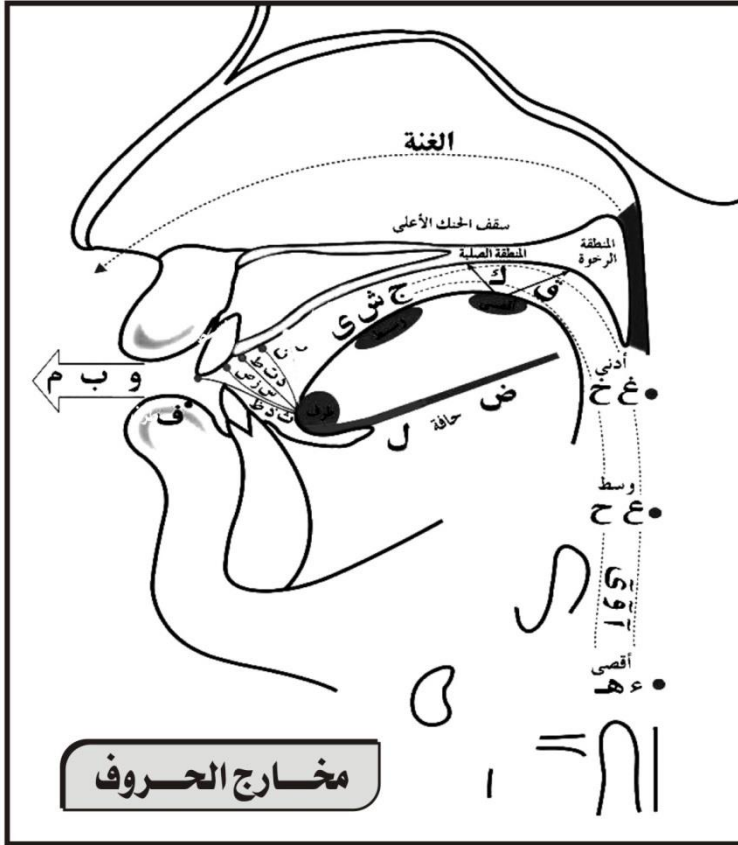
وهو ما يصحب صوت الرءاء عند استرخاء اللسان عند النطق به^(١).

▪ **الغنة:**

وهي خروج الصوت من الخيشوم عن النطق بالميم والنون والتنوين.

▪ **الهاوي والمهتوت:**

الصوت الهاوي مختص بصوت الألف دون غيره كونه اعلى مراتب الانطلاق في أصوات اللين، أما المهتوت هو الضعف والخفاء في صوت الهاء^(٢).



١. يُنظَرُ: علم اللغة العام: ١٢٩.

٢. يُنظَرُ: سر صناعة الاعراب: ١:٧٤.

صفات الحروف

ت	الصفة	التعريف	الحروف
١.	الهمس	جريان النفس عند النطق بالحرف لضعف الاعتماد على المخرج	فحثه شخص سكت
٢.	الجهر	انحباس جري النفس عند النطق بحروفه لقوة الاعتماد على المخرج	الباقي بعد الهمس
٣.	الشدة	انحباس جري النفس عند النطق بالحرف لكمال الاعتماد على المخرج	أجد قط بكت
٤.	التوسط	اعتماد الصوت عند النطق بالحرف لعدم كمال انحباسه كما في الشدة، وعدم كمال جريانه كما في الرخاوة	لن عمر
٥.	الرخاوة	جريان الصوت مع الحرف لضعف الاعتماد على المخرج	ماعداء حروف التوسط والشدة
٦.	الاستعلاء	ارتفاع اللسان إلى الحنك الأعلى عند النطق بالحرف	خص ضغط قط
٧.	الاستفال	انخفاض اللسان «انحطاطه عن الحنك الأعلى إلى قاع الفم»	الباقي بعد الاستعلاء
٨.	الإطباق	تلاصق ما يجاذي اللسان من الحنك الأعلى على اللسان	ص - ض - ط - ظ
٩.	الانفتاح	تجافي كل من طائفتي اللسان والحنك الأعلى عن الأخرى حتى يخرج النفس.	ماعداء حروف الإطباق
١٠.	المد واللين	امتداد الصوت وخروج الحرف في لين وعدم كلفة.	أ - و - ي
١١.	الصفير	حدة الصوت.	ص - س - ز
١٢.	التفشي	انتشار خروج الريح وانبساطه.	ش - «ث على خلاف»

ض	امتداد الصوت من أول إحدى حافتي اللسان إلى آخرها.	الاستطالة	١٣.
ر	تضعيف يوجد في جسم الرء لارتعاد طرف اللسان بها.	التكرير	١٤.
ل-ر	خروج من صفة إلى صفة.	الانحراف	١٥.
م-ن	صفة لازمة للنون والميم «وهو الصوت الزائد المنبعث من الخيشوم»	الغنة	١٦.
قطب جد «أو» بجد قط	اضطراب المخرج عند النطق بالحرف ساكناً حتى يسمع له نبرة قوية	القلقلة	١٧.
ظ-ز-ض-ذ	صوت حادث عند خروج حرفه لضغط عن موضعه وهو دون القلقلة	النفخ	١٨.

الظواهر الصوتية في اللغة العربية

▪ الوقف

يُطلَقُ هذا المصطلحُ على قطع الكلمة عمّا بعدها صوتياً، ويكونُ دالاً على نهاية التعبير، من خلال قطع الكلمة، أي أن تسكت على آخرها قاصداً لذلك مختاراً لجعلها آخر الكلام، سواءً كانت بعدها كلمة أو كانت آخر الكلام^(١).

▪ الهمز:

ظاهرة صوتية اتصفت بها اللغة العربية الفصحى فضلاً عن اللهجات العربية الحديثة، إذ نجد من العرب من يؤثر الهمز في كلامه على الرغم من صعوبة النطق بصوت الهمزة، لأنه صوت عسير النطق، إذ يتم انحباس الهواء خلف الأوتار الصوتية ثم انفراج هذه الأوتار فجأة وهذه العملية تحتاج إلى جهد عضلي كبير في

١. يُنظر: شرح الشافية: ٣٧٨:٢، الوقف في العربية: ١٤-١٥.

عملية النطق تزيد على ما يحتاج إليه أي صوت آخر^(١).
وقد نسبت الروايات اللغوية ظاهرة تحقيق الهمز إلى تميم وغيرهم من قبائل وسط الجزيرة وشرقيها كما نسب التخفيف والتخلص من الهمز إلى البيئة الحجازية.

▪ الإدغام:

ظاهرة صوتية وهو نوع من أنواع التأثير الحاصل بين صوتين متماثلين متقاربين متجاورين، أي هو تقريب صوت من صوت^(٢)، إذ تأتي بحرفين ساكنين فمتحرك من مخرج واحد من دون فصل، ويكون في المثليين والمتقاربين^(٣) ولا يكون إدغام في المتقاربين إلا بعد جعلهما متماثلين كالمماثلة، لأن الإدغام إخراج الحرفين من مخرج واحد دفعة واحدة باعتماد تام ولا يمكن إخراج المتقاربين من مخرج واحد، لأن لكل حرف مخرجاً على حدة^(٤)، وقد يترتب على تجاوز صوتين متجانسين أو متقاربين أن أحدهما يفنى في الآخر^(٥).

▪ القلب

يتمثل هذا المصطلح الصوتي بقلب بعض الأصوات اللغوية إلى أصوات بعينها نتيجة التماثل الصوتي بين الصوامت المتجاورة، أو نتيجة تأثرها بالمصوتات التي تكون قبلها وخاصة في أصوات العلة التي تقلب دائماً إلى الصوت الذي هو من جنس المصوت القصير.

١. يُنظر: الأصوات اللغوية: ٧٨، والتطور اللغوي «قانون السهولة والتيسير د. رمضان عبد التواب: جملة مجمع اللغة العربية ج» ٣٦. ١٩٧٥، التطور اللغوي د. رمضان: «٧٦»، علم الأصوات العام أصوات اللغة العربية: ١١٧-١١٨، يُنظر: التنعيم اللغوي في القرآن الكريم: ١١٤، ١١٨.

٢. يُنظر: الخصائص: ٤٩٥: ١.

٣. يُنظر: شرح الشافية: ١٦٠: ٣، إيجاز التعريف في علم التصريف: ١٧٢، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية: ٢٣٥-٢٣٦.

٤. يُنظر: شرح الشافية: ١٦١: ٣، والتصريف العربي: ٦٥.

٥. يُنظر: الأصوات اللغوية: ١٥١.

▪ الإبدال

تتمثل هذه الظاهرة عند القدماء بإقامة حرفٍ مقامَ حرفٍ أو تعويضه إما ضرورةً وإما صنعةً واستحساناً أو أن تجعلَ حرفاً مكانَ حرفٍ آخرَ مطلقاً مع الإبقاء على سائرِ أحرفِ الكلمة^(١)، ويكون ذلك الأثر الصوتي نتيجة التماثل الصوتي بين الحروف التي هي من مخرج واحد أو مخرج متقاربة، إذ يحصل الإبدال بين أحرف كل مخرج وبين مخرج مختلفة متقاربة الأقرب فالأقرب^(٢)، من حيث نشأة الصوت من جهاز النطق أو ما يشتمل عليه من خواص صوتية تقربه منه^(٣).

وعالج المحدثون هذه الظاهرة في إطار مفهوم المماثلة الذي يُعنى بدراسة التبدلات التكوينية للصوت بسبب مجاورته للأصوات الأخرى^(٤).

▪ الإمالة

الإمالة مصطلح صوتي مشترك وقع في الأسماء والأفعال، لتقريب الصوت من الصوت^(٥)، وهو نطق الألف في حالات لغوية محددة نطقاً خاصاً قريباً من نطق الياء بأن تنحو بالألف نحو الكسرة، فتميل الألف نحو الياء بتجانس الصوت^(٦) ولا يكون ذلك إلا لعل^(٧)، أو هو تقريب الفتحة من الكسرة وأن ينحى بالفتحة نحو الكسرة^(٨)

١. يُنظر: الصاحبى في فقه اللغة: ١٧٣، شرح الشافية: ١٣٤: ٣، ويُنظر: التطور اللغوي التاريخي: ١١٠.

٢. يُنظر: الفلسفة اللغوية: ٦٠، الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني: ٩٨.

٣. التطور اللغوي التاريخي: ١١٠.

٤. يُنظر: في فقه اللغة وقضايا العربية: ٤٧، ويُنظر: مصطلح الإبدال عند المحدثين في المصطلح الصوتي

عند علماء العربية القدماء: ١٦٩-١٧٠، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية: ٢٣٠-٢٣١

٥. يُنظر: الخصائص: ٤٩٥: ١.

٦. يُنظر: الكتاب: ١١٧: ٤، الفصل: ٤٧١، شرح الفصل: ٩: ٥٣.

٧. يُنظر: المتضرب: ١: ٤٢.

٨. يُنظر: سر صناعة الإعراب: ١: ٦٧.

قصد مناسبة الكسرة أو الياء، أو تكون الألف منقلبةً من مكسورٍ أو ياءٍ^(١).

ثانياً: ظاهرة الإعراب في لغة العرب

إنَّ النظر في طبيعة هذه الظاهرة اللغوية والبحث في خصائص اللغات العروبية، يفتح للقارئ العربي أن الإعراب ليست سمة من سمات اللغة العربية دون سواها من اللغات العروبية، فضلاً عن ذلك أنَّ هذه الظاهرة لا يمتن توظيفها في كشف الخصائص اللغوية أو بيان مميزاتها في لغة ما بمعزلٍ عن باقي اللغات، كونها هي سمة من قبيل تلك السمات المشتركة بين تلك اللغات، لذلك لا يمكن لنا دراسة ظاهرة الإعراب في اللغة العربية بمعزلٍ عن شقيقتها العروبيات، علَّنا نستثمر بعض الاستعمالات أو الإشارات الصوتية في تلك اللغات لبيان مقصدٍ ما، وتفسير ما كان غامضاً، أو تقريب ما كان غائباً بعيداً عن ذهن القارئ.

وقبل الشروع في ماهية هذا البحث نوذُّ أن نساءل عن موقع هذه الحركات «علامات الإعراب» في النظام اللغوي، بمعنى هل الحركات الإعرابية مختصة بالنظام النحوي؟ وهل طبيعة عملها تصويب المقولات اللغوية والإعراب عن المعنى؟ وماذا نسمي الحركات الموجودة في بنية الكلمة؟ إذا ما علمنا أن وظيفة تلك الحركات هي الأخرى تعرب عن دلالة مغايرة للمبنى الواحد. ثم إذا كان الإعراب والمعنى متجاذبين، بحيث هذا يدعوك إلى أمر، والآخر يمنعك منه، فأيهما أنت ممسك؟ ثم ما علاقة العلامة الإعرابية بما سقط من التركيب؟

إنَّ الإجابة عن تلك التساؤلات تستدعي من الباحث النظر في أصل تلك الظاهرة ومكان وجودها من التركيب في اللغات العروبية، ثم التدرج بالبحث عنها وصولاً إلى اللغة العربية، وبيان الخفيِّ منها، بغية إيضاحه للقارئ سواء في النص المكتوب أو في النص المنطوق.

١. يُنظَر: شرح الشافية: ٧: ٣.

إن النظر في طبيعة اللغات العروبية من حيث المظاهر اللغوية التي وصلتنا عن طريق البحوث والدراسات التي عنيت بالفرع السامي، يلحظ أنها قد شكّلت منظومةً لغويةً متكاملة، وهذا ما أفصحت عنه خصائصها اللغوية المشتركة التي ترشحت عنها من خلال النصوص اللغوية المتمثلة بالنقوش والكتابات المقطعية القديمة، إذ أخذت كلُّ لغةٍ من مجموع هذه الأرومة نصيبها من تلك الثروة اللغوية التي عزاها بعض الباحثين^(١) إلى اللغة العروبية الأولى «اللغة الأم»، لذا نجد أنّ العروبيين «العرب»^(٢) قد اسهموا في تطوير النمط اللغوي العروبي القديم، والحفاظ على حال الأصوات العروبية الأولى وما ترشح عنها من صوائت في زمن متأخرٍ بالنسبة إلى تاريخ تلك اللغات، فاحتفظت بالحالات الإعرابية الثلاثة القديمة «الرفع، و النصب، و الجر» وهذا ما تمثلت به ابتداء اللغة الأكديّة، إذ وصلتنا بعض الروايات التي أفصحت عن حالات الاسم في الرفع والنصب والجر، وقد ظهرت تلك الحالات من خلال النقوش التي دونت عن طريق الكتابة المقطعية وبالقلم المساري، إذ يطابق هذا الأمر حالات الإعراب في اللغة العربية، يقولون: kalbu في حالة الرفع، و kalba في حالة النصب، و kalbi في حالة الجر، ثم جيء بالتمويم مقابلًا للثنوين يقولون: kalbum، ولا ينتهي الأمر عند هذا الحد في الاسم المفرد بل جعلوا علامات إعراب للاسم المجموع في حالاته الثلاث، قالوا: kalbuu في حالة الرفع ويكون ذلك بتطويل حركة الصّائت بعد إسقاط التّمويم من الاسم، أو

١. يُنظَر: رأي الدكتور نجيب البهيتي في المعلقة العربية الأولى: ١٠:٦٠، ٥٨.

٢. قيل أن العرب القدماء عرفوا بالعرب لان لسانهم عربي، وروي عن النبي ص انه قال: «خمسة أنبياء من العرب وهم: محمد و اسماعيل وشعيب وصالح و هود. وان هذه الرواية تدل على ان اللسان العربي قديم، وهؤلاء الانبياء عرب وكانوا يسكنون بلاد العرب. ونلاحظ ان سلسلة الرجال بين سام و هود: قيل ان هود(ع) هو ابن شالح بن ارفخشد بن سام. وعن ابن عباس: ان هودا اول من نطق بالعربية. مساكن قوم هود، كانت مساكن عاد ارض الاحقاف أي في شمال الربع الخالي، وهذا ما يتسق مع ما ذهب اليه بعض الباحثين في تحديد البيئة الجغرافية التي انطلقت منها الجماعات السامية فضلا عن التماثل اللغوي الذي يرجع إلى اصل لغوي هو اقرب إلى اللسان العربي.

بإضافة اللاحقة للاسم «anu» في حالة الرفع «sharranu»، أما في حالتي النصب والجر فتضاف اللاحقة «ane»^(١) ومن خلال هذه الأمثلة لا يمكن للباحث أن يتبين الوظيفة اللغوية من تلك العلامات، أي هل لها أثرٌ في بيان دلالة العبارة، أم هي ظاهرة صوتية الغرض منها تماسك الكلمات وتساقها؟

وبما أن اللغات العروبية قد أثر بعضها ببعض في كثيرٍ من الظواهر اللغوية إلا أن اللغة الاوغاريتية التي جاءت في أعقاب اللغة الاكادية، أو كانت مصاحبة لها قبل أفول نجمها، ومع هذا التقارب لم يلاحظ أي وجودٍ لظاهرة الإعراب في هذه اللغة، على الرغم من أنها اللغة العروبية الأقرب إلى اللغة العربية بنظامها الصوتي والأبجدي، وهذا ما جعل كتابتها تقوم على الصوامت فقط^(٢) فالملاحظ على هذه القراءة أنها تعتمد على النصوص المكتوبة وهذا يعني أن علامات الإعراب لا علاقة لها بسلامة التركيب في ذلك الوقت أو الكشف وبيان المعاني والدلالات.

وإذا تتبعنا تلك المسيرة اللغوية في البحث عن جذور هذه الظاهرة نجد أن اللغة الفينيقية قد استعملت أصوات الحلق «في اللهجة البونية الحديثة» لتصبح وسيلةً لكتابة الحركات القصيرة، كونها لا تمثل أي وظيفة لغوية، لذلك دونت هذه الحركات داخل الكلمات^(٣) وهذا ما سنوظفه في بيان علاقة الحركات داخل المباني الصرفية و ظاهرة الإعراب- وربما هذا العمل في اللغة الفينيقية يسهم في كيفية نطق الكلمة كما هو الحال في لغة العرب، لان طبيعة هذا التدوين لتلك الحركات يشعر بوجود تمايز لغوي دلالي بين الكلمات، أو بالأحرى بين تصاريف الكلمة الواحدة.

أما في اللغة العبرية فقد استملت علامات الإعراب للمساعدة في ضبط النطق وحفظ الكلمات من التحريف^(٤)، وكان هذا الأمر في المرحلة الثانية من تاريخ اللغة

١. يُنظَرُ: المدخل إلى دراسة تاريخ اللغات الجزرية، سعيد الاحمد: ١٦.

٢. يُنظَرُ: علم اللغة العربية مدخا تاريخي مقارن، د. محمود فهمي حجازي، دار غريب، القاهرة: ١٦٠.

٣. يُنظَرُ: المصدر نفسه: ١٦٣.

٤. يُنظَرُ: المدخل إلى دراسة اللغات الجزرية: ٦٨.

العبرية، إذ تأثر رجال الماسورا الذين يُعنون بالنص العبري القديم بطريقة النساطرة المسيح في ضبط الحركات^(١).

إنَّ الملاحظ على تلك اللغات أنها استعملت تلك العلامات في نصّها المكتوب، دون إشارة من الباحث في تاريخ تلك اللغات إلى طبيعة النص المنطوق. أما اللغة الآرامية ولاسيما «اللهجة النبطية» فيُعتقد أنَّ الأنباط استعملوا الواو والضمة للرفع والكسرة للجر والفتحة للنصب، دون أن يُرفقوا الحركات بحرف النون كونه حرف رفع أو باقي العلامات الأخر^(٢).

وبعد هذا العرض، نجد بعض الباحثين من يعتقد بأن اللغات العروبية، وعلى الرغم من كونها تتماثل في النظم والقواعد الصوتية، قد اعتمدت الأصوات الصامتة دون الأصوات المتحركة في نهاية الكلمات، والقول بأنها اعتمدت هذه الحركات في عصور متأخرة غير دقيق^(٣)، كون اللغة الاكديّة قد استعملت تلك العلامات فضلاً عن الفينيقية التي استوعبت تلك الحركات في داخل المباني الصرفية ومن هنا جاء هذا الأثر الصوتي إلى اللغة العربية، لكن بعض الباحثين يرى أن ظاهرة الإعراب وحركاتها أنها بقايا ضمائر وأدواتٍ إشارية، وأما ظاهرة التنوين في اللغة العربية التي تقابل التميميم قيل فيها أن العربي لما أقرَّ لغته في اللفظية «وهنا الحديث عن الجوانب النطقية للغة لا الكتابي» قد استوى منطلقه على اشده كره الصوتية في الحركات الإعرابية التي يقتضي مدُّها عند الوقف عليها ظاهرةً، فقطع المدَّ بالتنوين، وقد ظهرت محاولته هذه في تنوين الترتم^(٤)، ومن مثيل ذلك قول الشاعر:

١. يُنظَر: علم اللغة العربية: ١٦٨.

2. the nolde ck die seitischen sprachen cleipzig 1199 pp:51 fp

٣. يُنظَر: قول الدكتور هادي نهر في الأساس في فقه اللغة العربية وأرومتها، ط٢. دار الامل،

١٣٥:م٢٠٠٥

٤. يُنظَر: المقدمة لدرس لغة العرب، للشيخ عبدالله العلايلي، الطبعة «٢. دار الجديد، بيروت،

١٩٩٧:٣٥٨.

«اقلِي اللّوم عاذلَ والعتابين»^(١)

وبعد هذا العرض آن الأوان لبيان موقع هذه العلامات من المباني والتراكيب سواء في النص المكتوب أو النُّطوق، قال ابن جنِّي في حده للإعراب «هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ»^(٢)، أن هذا القول يقودنا إلى امرين: الأول: جعل العلامة الإعرابية جزءاً من تركيبية الكلمة سواءً في فاء الكلمة كما هو الحال في التميِّز بين كَتَبَ المبني للمعلوم وکُتِبَ المبني للمجهول وكذلك في الاسم المفرد والمجموع «أَسَدُ، أُسْدُ» وفي المصدر والفعل «فَرَحَ، فَرِحَ» أو في الأسماء كـ: بِرٍ «الإحسان» و بَرٍ «الأرض» و بُرٍ «القمح أو في عين الكلمة كاسمي الفاعل والمفعول في حال اشتقاقها من الفعل الرباعي، يقال: مُفْعِلٌ ومُفَعَّلٌ، أو في نهاية الكلمة كهيئات وهيئاتٍ، وعَلَّ هذا الأمر يقودنا إلى ما كان موجوداً في اللغة الفينيقية، كون هذه الحركات أماراتٍ ورسومٍ تبين ما كان مختلفاً من المباني الصرفية ذات المادة اللغوية الواحدة.

والثَّاني: أنه كُنِيَ عن الحركات بالألفاظ، وبالتالي يتطابق هذا التحديد مع ما جاء به الزجاجي كون أن الأسماء لما كانت تعتورها المعاني فتكون فاعلة ومفعولة ومضافة ومضافا إليها ولم تكن في صورها و أبنيتها أدلة على هذه المعاني بل كانت مشتركة جعلت حركات الإعراب فيها تنبئ عن هذه المعاني^(٣)، وقيل إن الإعراب هو الإبانة عن معنى جديد أو حال انتقل إليها الشيء^(٤)، أو كونه نتاج صوتي يكون في أواخر الكلم سببه الترابط العضوي للعوامل النحوية بالمعمولات في تركيبها^(٥).

في حقيقة الأمر لا نريد أن نَسْتَبِقَ نتائج الدِّراسة لهذه الظاهرة، لكن النظر في

١. يُنظَرُ: الشاهد الكتابُ لابي بشر بن عمرو عثمان بن قنبر (١٨٠ هـ، تحقيق: عبد السلام هارون، عالم

الكتب بيروت: ٢٠٨: ٤. ويُنظَرُ: شرح أبيات سيبويه: ٣٤٩: ٢.

٢. الخصائص: الخصائص، لأبي فتح عثمان بن جنِّي، تح: عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية،

بيروت، ط (٢)، لسنة ١٤٠٤-٢٠٠٣، ١: ٨٩.

٣. يُنظَرُ: الايضاح في علل النحو: ٦٩-٧٠.

٤. يُنظَرُ: دلالة الاعراب: ٢١.

٥. يُنظَرُ: الامالي الشجرية: ٢٤: ١.

تكوين وصناعة النص المنطوق تجعل من وظيفة هذه الظاهرة منوطةً بعامل التوافق الصوتي، كون العملية البلاغية «التمثيل الصوتي» تكون بعد مرحلة نتاج وتحديد المعنى لان هذه الرموز الصوتية تكون ألفاظاً دالةً على ما تقرر ابتداءً في البنية العميقة أو ما يعرف بالبنية الضحلة، وما لأهمية تلك الألفاظ عند العرب لذا أصلحوها وحسنوها وهذبوها وصقلوا عروبوها، «أطرافها» وجاءت عنايتهم بالألفاظ كونها عندهم خدم للمعاني وتنويه بها وتشريف منها^(١).

لكن الباحث في التراث اللغوي والى جانب تلك الدلائل التي تسهم في الكشف عن حقيقة وطبيعة ظاهرة الإعراب، يلحظ أن النحويين جعلوا من الإعراب نظرية كاملة عرفت بنظرية العامل وتكلموا عن الحركات، وجعلوها دليلاً على المعاني (٢)، مع أنهم انفسهم لم يجوزوا أن تدخل دلالة على دلالةٍ أخرى، كون الألفاظ في مباحثهم اللغوية تدلُّ على المعاني، والإعراب كمفهوم لغوي وفي ضوء الحد الذي قال به القدماء هو الآخر يكون دالاً على المعاني، وإن أوجدوا لهذا الأمر تعليلاً، فلاحظ العلاقة بين الألفاظ والحركات في الدلالة على المعاني:

قولنا: «يا رجلاً» الكلمة أصلٌ في التركيب لكن ثمة تناقضا في الحركة «حركة نصب» كونها «تدل على الفضلة»، وكذلك قولنا: يا رجلٌ «الكلمة أصل في التركيب» تناقض في الحركة «حركة بناء «في موضع نصب»، و قولنا: يا غلامٌ زيدٍ «الكلمة أصل في التركيب» «تناقض في الحركة» حركة نصب «تدل على الفضلة»، و قولنا: لم يضرب «الفعل أصل في التركيب» «تطابق المعنى مع الحركة» السكون «انقطاع الحركة لا معنى»، و قولنا: لن يقوموا «الفعل أصل في التركيب» «تطابق» حذف الحرف علامة على الإعراب، و قولنا: يقومون «الفعل أصل في التركيب» «تطابق» ثبوت النون، لا يدل على معنى في هذه الحال.

وبعد هذا العرض يحق لنا أن نسأل: ما هو السبيل إلى معرفة دلالة الإعراب

١. يُنظَرُ: الخصائص: ٢٣٨: ١.

٢. يُنظَرُ: اللغة العربية معناها ومبناها: ٢٠٥.

عندما تكون دلالة الحركة الإعرابية صفراً، إذا ما قارنا ذلك بقولهم إن الإعراب عبارة عن معنى يحلُّ بالحركات والحروف، والعلامة هنا هي السكون وحذف الحرف وسقوطه من الكلمة ف«الدلالة صفر»، وكثيراً ما يكون ذلك في النص المنطوق، أي أنك تلاحظ في حديث من يخشى الوقوع في اللحن يلجأ إلى تسكين أواخر المباني.

وهذا يدفعنا إلى القول بأن الكلام لم يعرب للدلالة على المعاني، لأن الكلام في هذه الحال صار ذا هيئة ما عن طريق المعاني، وعلامات الإعراب في حقيقة الأمر هي عناصر صوتية حادثة في مرحلة ما بعد التلفظ بالمباني كون الكلام في أوله شرحاً مع ربط قصد المتكلم به، أي الافتراض في ذهن المتكلم وغير المصرح به في القول^(١)، والذي يؤيد هذا المعنى هو عدم تمكن العلامة الإعرابية من أن تحد من الانحراف أو عدو التلاؤم بين المعاني، إذ لا بد من وجود تلاؤم دلالي بين المباني التي تشكل منها التركيب، ولا دخل لعلامات الإعراب في عملية السبك وتلاقح المباني^(٢)، نلاحظ هذا النص القرآني الذي يفصح عن التجاذب بين المعنى والإعراب، قال تعالى: «إنه على رجعه لقادرٌ، يومٌ تُبلى السرائرُ» الطارق: ٨-٩. قيل فالمعنى في هذا «إنه على رجعه يوم تبلى السرائر لقادر»^(٣)، وقيل في «يوم تبلى السرائر» أوجه، الأول: هو معمول «قادر»، والثاني «على التبيين، أي: يُرجع يومٌ تُبلى»، والثالث: «تقديره: اذكر، ولا يجوز أن يعمل فيه «رجعه» للفصل بينهما بالخبر، وقيل «الهاء» في «رجعه» للهاء أي: قادرٌ على ردِّ الماء في الإحليل أو في الصُّلب، فعلى هذا يكون منقطعاً عن قوله تعالى: «يوم تبلى السرائر» فيعمل فيه «اذكر»^(٤)، ويرى ابن جنبي إذا «حملته على في الإعراب على «إنه على رجعه يوم تبلى السرائر» كان خطأً، لفصلك بين الظرف الذي هو «يوم تبلى» وبين ما

١. يُنظَرُ: اللسانية التحويلية: ٧٩.

٢. يُنظَرُ: المصدر نفسه: ٥٦.

٣. يُنظَرُ: الخصائص: ٤٥٩: ٢.

٤. يُنظَرُ: التبيان في إعراب القرآن للعكبري: ٥٦٣: ٢.

هو معلقٌ به من المصدر الذي هو الرجوع، والظرف من صلته، والفصل بين الصلة والموصول الأجنبي أمر لا يجوز، فأذ كان المعنى مقتضياً له والإعراب مانعاً منه احتات له، بأن تضمّر ناصباً يتناول الظرف، ويكون المصدر الملفوظ به دالاً على ذلك الفعل..^(٣١)، تلحظ كيف تجاذب المعنى والإعراب، وجيء بها هو خارج عن التركيب «الفعل المضمر» ليُصحح الإعراب كونه لا ينسجم وهذه الحال مع أصل التركيب «إنه على رجعه يوم تبلى السرائر لقادر»، أن هذه النظرة تذهب بنا إلى ما عرف بقصدية الراوي اللغوي وما مدى ارتباطها بالمعاني الوضعية، إذ نلاحظ موقع هذه المعاني بألفاظها الدالة عليها مبهمة من الناحية الإعرابية، ويمكن تحديد العلامة الإعرابية مع ما يتوائم والمعنى الذي قصده الواضع اللغوي، ونذكر من ذلك أن دلالة التركيب محصورة بالمعنى الوضعي ليس إلا، كون علامات الإعراب لم تكن موجودة في أصل الوضع اللغوي لمثل تلك التراكيب، وقد حذر ابن جني من الوقوع في الخطأ في تقدير العلامة الإعرابية وتعارضها مع المعنى. قال: «إذا مرَّ بك شيء من هذا من أصحابنا فأحفظ نفسك منه، ولا تسترسل إليه، فإن أمكنك أن يكون تقدير الإعراب على سمت تفسير المعنى، فهو ما لا غاية وراءه، وأن كان تفسير الإعراب مخالفاً لتفسير المعنى تقبلت تفسير المعنى على ما هو عليه، وصححت طريق تقدير الإعراب حتى لا يشذ شيء منها عليك، وإياك أن تسترسل فتفسد ما تؤثر إصلاحه»^(٣٢)، فالإعراب يأتي في مرحلة ما بعد تفسير المعنى، إن طابقه فتلك هي الوجهة المطلوبة، وإن خالفه علينا تصحيح ما خالف به المعنى وتأويله للوجهة الحسنة، وفي قول الرماني دليلٌ آخر على وقوع الإعراب بعدما أكتسب اللفظ دلالاته، قال: «لا تنظر إلى ظاهر الإعراب، وتغفل المعنى الذي وقع عليه الإعراب»^(٣٣).

إنَّ النظر في طبيعة النصوص التي يراعى فيها الإعراب أو الموازنة بينه والمعاني

١. الخصائص: ٤٥٩: ٢.

٢. الخصائص: ٢٩٢: ١.

٣. شرح كتاب سيبويه للرماني: ١٥: ٢، نقلاً عن دلالة الأعراب: ٤٩.

ودلالات النص، تكمن في النص المكتوب أكثر من المنطوق كون الأخير يكون اظهر من خلال النبر والتنغيم، وتجد أن اللغة المنطوقة «لغة التخاطب» تفتقر إلى مراعاة قواعد الإعراب في عملية التواصل اللغوي، أي أن الرّاي اللغوي يترخص من استعمال تلك العلامات، والمُخاطب يفهم ما قاله المَخاطب «الرّاي اللغوي» لأن الأخير لا يمكنه بشكل من الأشكال أن يستوعب تلك القواعد المتشعبة والدقيقة، فضلاً عن صعوبة التطبيق^(١)، لان الأمر في ذا منوط بملاحظة عناصر الجملة وعلاقة بعضها ببعض والتنبيه إلى اثر العامل بالمعمول وبيان حركة اقتضائه، وكل ذلك غير ممكن في لغة التخاطب، ويمكن أن نقصر هذا الفعل على من كان يتكلم على السليقة^(٢).

والدليل الأخر على علاقة الإعراب بالمعنى وكونه يأتي في مرحلة متأخرة بالنسبة للمعنى، قول ابن هشام يقول: «وأول واجب على المعرب أن يفهم ما يعربه مفرداً أو مركباً»^(٣)، أن هذا القول يفهم منه ويوظف في امرين:

الأول: عملية الإعراب وضبط الكلمات بتلك العلامات تكون في النص المكتوب، لان القول في ذا واضح، يقول: «الواجب على المعرب» وليس الواجب على المتلقي ان يبحث عن إسقاطات الراوي اللغوي في هذا الموضوع، علماً أن المعرب للكلام لا بد أن يكون على معرفة بالقواعد النحوية عامة، وهذا لا يتسنى لشخص ذي ثقافة لغوية قاصرة.

أما الأمر الثاني، فيفصح عن أن الإعراب يكون في الكلمة المفردة، وهذا ما تحدثنا عنه سلفاً، أي أن الحركات الموجودة والملازمة للصوت الصامت من الكلمة المفردة تفصح عن دلالتها من خلال التغيرات الحاصل في بنيتها الصوتية ولا سيما في حركة الصائت القصير، مثال ذلك: المبنى «نَكْدُ» قيل هو كلُّ شيء جَرَّ على صاحبه شراً،

١. يُنظَرُ: دروس في علم الأصوات العربية: ١٧٣.

٢. يُنظَرُ: التطور اللغوي التاريخي: ٥٦-٥٧.

٣. مغني اللبيب: ١٦٥: ٢.

و«نَكَدَ: عيشه، إشتدَّ، و «نَكَدَ الرجل»: قتل العطاء، وقيل في هذا المعنى:

نَكَدَتْ أَبَا زَيْبِيَّةَ، إِذْ سَأَلْنَا وَلَمْ يَنْكَدْ بِحَاجَتِنَا ضَبَابٌ^(١)

وَالنُّكْدُ وَالنُّكْدُ مِثْلُهُ،

وَأَعْطَهُمَا مَا أَعْطَيْتَهُ طَيْباً لَا خَيْرَ فِي الْمُنْكَودِ وَالنَّاكِدِ^(٢)

و«نَكَدَ: منعه، والنُّكْدُ، النوق التي ماتت أولادها فغرزت^(٣) ومن تلك الألفاظ

ايضاً «نكس» يقال: «نكسته» قلبته^(٤)، ونكس الرجل: ضعف وعجز، وقيل:

وَلَمْ يَنْتَكِسْ يَوْمًا فَيُظْلَمَ وَجْهُهُ لِيَمْرَضَ عَجْزًا أَوْ يَضَارِعَ مَأْتَمًا^(٥)

و «نكس» رأسه: إذا طأطأه من الذل، قال الشاعر:

وَإِذَا الرِّجَالُ رَأَوْا يَزِيدَ رَأْيَتَهُم خَضَعَ الرِّقَابَ نَوَاقِسَ الْإِبْصَارِ^(٦)

ويقال: نُكِسَ الْمَرِيضُ: عاودته العلة، ونكستُ الخطاب: إذا أعدت عليه مرة بعد

مرة^(٧).

إن طبيعة التحول في بنية الكلمة سواء كان على المستوى الصرفي أم على مستوى الزمن الذي تدل عليه من شأنه ان يترك تحولاً على مستوى الدلالة، ومن الأمثلة التي يمكن ان نسوقها في هذا المجال قول المتنبي^(٨):

وَإِنِّي لِأَعْشَقُ مَنْ عَشَقَكُمْ نَحْوِي وَكُلِّ امْرِئٍ نَاحِلٍ

١. يُنْظَرُ: لسان العرب: ٤٢٧: ٣.

٢. يُنْظَرُ: كتاب العين: ٤٢٨: ٣.

٣. يُنْظَرُ: لسان العرب: ٤٢٨: ٣.

٤. يُنْظَرُ: كتاب العين: ٣١٣: ٥.

٥. يُنْظَرُ: لسان العرب: ٢٤٢: ٦.

٦. يُنْظَرُ: المصدر نفسه: ٢٤١: ٦.

٧. يُنْظَرُ: المصدر نفسه: ٢٤٣: ٦.

٨. يُنْظَرُ: التبيان: ٢٢: ٣.

يمكن رصد اتجاهين على مستوى الدلالة من خلال كلمة «اعشق»، فقد أجازوا ان يكون فعلاً مضارعاً، فيكون معنى البيت «إني من فرط عشقي لكم اعشق نحولي، واعشق كل عاشق مثلي ناحل مثل نحولي للمشاركة التي بيننا».

كما أجازوا ان يكون «اعشق» اسم تفضيل على وزن «افعل»، فيكون المعنى «إني اعشق لكم، أي: اشد عشقاً لكم من عشقكم نحولي، وكل فتى ناحل، يعني: أنكم تعشقون نحولي ونحول كل فتى هذه صفته»^(١).

وغير خفي بعد المعنى المتولد من حسابان «اعشق» اسماً للتفضيل، إلا أننا يمكن ان نعده استغلالاً لإمكانات اللغة من قبل الشراح لتوليد ما امكن من الدلالات في النص.

وقال أبو الطيب أيضاً^(٢):

له أيادٍ إليّ سابقية أعد منها ولا أعددها

فمن الشراح من ذهب إلى أن الفعل «أعد» مبني للمجهول، فيتجه معنى البيت إلى ان الشاعر يقول للممدوح «انا غذي نعمته وريب احسانه، فنفسي من جملة نعمه، فأنا اعد منها». أما من ذهب إلى ان «أعد» مبني للمعلوم، فيكون معنى البيت عنده ان الشاعر يعد بعض أيادي الممدوح عليه «ولا يأتي على جميعها بالعد لكثرتها»^(٣)، نلاحظ التحول في بنية الكلمة يسهم في التحول الدلالي وهذا التحول يكون عن طريق التغيرات في حركة الصامت من الكلمة سواء في فائها أو عينها.

وعوداً على ما ترشح عن نص ابن هشام والقول بلزوم فهم ما يعربه المعرب نلاحظ ابتداء أن النص المقروء هو ملك لكل قارئ يجيد فعل القراءة، من هنا نجد الكتابة اكثر صعوبة لكثير من الناس، لان عملية الكتابة تستدعي الالتزام بالقواعد اللغوية «الصرفية والنحوية» والنسج على سمت العربية وقوانينها، فضلاً عن

١. معجز احمد: ٥٧: ٢.

٢. يُنظَرُ: التبيان: ٣٠٤: ١.

٣. يُنظَرُ: النظام: ٤٣٤: ٦.

الالتزام المعايير الفنية في عملية الكتابة لأن القارئ أو المعرب «في هذه الحال يمكنه أن يلحظ الإشارات السلبية التي تقف أمام قبول النص أو التركيب كونه تركيباً منحرفاً خارجاً عن قوانين اللغة.

أما المنطوق فالمتلقي لا يعول كثيراً على علامات الإعراب في فهم النص المنطوق، كونه يتجه في الأعم الأغلب إلى ما يعين على فهم النص ولاسيما النظر في دلالات الألفاظ الوضعية، فضلاً عن استعمالها المجازي في اللغة، لذلك تنحسر ملاحظات المتلقي في معالجته لبيان الفكرة المطروحة وطريقة التعبير بالألفاظ، ورصد ما يصاحب عملية القراءة من عيوب نطقية ظاهرة. وعلى الرغم من أن النص المنطوق سبق من النص المكتوب، إذما تحدثنا عن العملية التواصلية، لان الالتزام بالقواعد اللغوية «الصرفية والنحوية» قد أوجدها اللغويون «النحويون» من خلال استقراءهم للغة المنطوقة، وأن الالتزام بعلامات الإعراب في النص المكتوب يفوق الالتزام بها في النص المنطوق، لان اللغة المنطوقة لا تعتمد الإعراب في بيان المعنى، بل ثمة بدائل تعين على فهم المعنى عن طريق الإيحاء وتعابير الوجه وحركة اليدين ونبرة الصوت، لان اللغة ليست مجرد ألفاظ أو معانٍ بل فيها من الرمز والإيحاء الشيء الكثير^(١) ومثال على التباين في العلامة الإعرابية سواء في النص المكتوب أو المقروء نطرح قول الشاعر للتحليل:

قول المتنبي^(٢):

تظل الطير منها في حديث ترد به الصراصر والنعبا
وقد لبست دماءهم عليهم حداداً لم تشق لها جيوبا
فقد اختلف في تقدير وظيفة «دماءهم» النحوية، فمنهم من ذهب إلى النصب، ومنهم من ذهب إلى الرفع، فمن نصب جعلها مفعولاً به لفاعل مقدر يعود على

١. يُنظَرُ: دراسات في علم اللغة: ٢٢.

٢. ديوانه: ٢٩١: ١.

الطير، فيكون المعنى ان هذه الطير لبست دماء القتلى التي عليهم أي تلطخت بها وجفت عليها فاسودت وصارت كالحداد وهي الثياب السود تلبس عند المصيبة، ومن ذهب إلى رفع «دماءهم» على تقدير الفاعلية أراد أن الدماء اسودت على القتلى فكأنها لبست ثوباً غير ما كانت تلبس من الحمرة إلا أن المعنى في كلا التحليلين يفصح عن دلالة الإحداد على القتلى^(١).

ومن النصوص التي تباينت فيها الوظيفة النحوية من خلال العلامة الإعرابية ولكن المعنى لم يتحول عن وجهة:

ألا ليت شعري هل إلى أم جحدرٍ سبيلٌ فأما الصبرُ فلا صبرا^(٢)
يلحظ رواية الشاهد بنصب «الصبر» ورفعها، وهذا الاختلاف في العلامة الإعرابية لم يغير في المعنى شيء، فالنصب حجازي والرفع تميمي^(٣)، وكذلك نلاحظ الاختلاف في رواية الشاهد باختلاف العلامة الإعرابية، لأنها في هذا المورد أصبحت من المقاييس النقدية التي لجأ إليها النقاد في فحص النصوص الأدبية، ولا أرى لذلك معنى، كون الإعراب في تلك الحالات يخضع إلى التصويب النحوي من خلال التأويل، نلاحظ نص الشاعر عقبه بن هبيرة الاسدي:

معاوي إننا بشر فأسجع فلسنا بالجبال ولا الحديد^(٤)
قال سيبويه: «هذا باب ما يجري على الموضوع لا على الاسم الذي قبله.. والوجه فيه الجرُّ لأنك تريد أن تُشرك بين الخبرين، وليس ينقض إجراؤه عليك المعنى... وجرى هذا مجراه قبل أن تدخل الباء..»^(٥)، وقيل إن المبرد ردَّ تلك الرواية على سيبويه، وقيل إن الأخير قد غلط على الشاعر، وقد احتج بهذا النص في نسق

١. التبيان: ١٣٧: ١.

٢. يُنظَرُ: كتاب سيبويه: ٤٥٤: ١.

٣. يُنظَرُ: شرح الشاهد في شرح أبيات سيبويه: ٢٦٩: ١.

٤. يُنظَرُ: الشاهد في كتاب سيبويه: ٦٧: ١.

٥. الكتاب: ٦٧-١: ٦٨.

الاسم المنصوب على المخفوض، وقيل إن سبويه استثمر هذا النص والنصوص التي على شاكلته ليكون موافقاً للقاعدة النحوية، وهذا في حد ذاته سببٌ في تغيير النصوص عن حالتها الأصلية^(١)، والرغم من هذا الجدل في تغيير شكل النص من الخفض إلى النصب، لم نلاحظ أي حديث عن دلالة النصب ودلالة الخفض، إلا يشعر ذلك أن لا خلاف في المعنى الرغم من تباين العلامات! فالمسألة في هذه الحال هي مسألة شكلية لا علاقة لها بالمعنى لذلك جوز سبويه ذلك الاستعمال وجعله باباً يمكن القياس عليه ولا ينقض المعنى.

لذلك لا يمكن للقارئ أن يعول في البحث عن الدلالة النحوية عن الإعراب معولاً كاملاً^(٢) كونه يحدد المعنى النحوي، وإن كانت الإفادة منه ممكنة إلى حد ما، لان علم النحو هو علم الدلالة، ومفهوم الدلالة يتحقق من تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني على وجه من الوجوه المستعملة في لغة العرب بوصفها نصوصاً معيارية، عبر عنها الجرجاني بالرسوم التي رسمت للمستعمل اللغة^(٣).

ومن الملاحظ أيضاً، نجد أن العلامة الإعرابية يكون إقرارها في موضع ما من الكلمة «إذا قلنا بأنها تفصح عن المعنى ولا سيما في المعاني الصرفية» الذي يمثل البناء الخارجي لها، أما ما يعرف بموقعها من التركيب فهذا لا علاقة له بالإعراب، كون مجاله البنية الداخلية للتركيب، ولا إيجابي الحقيقة إذا قلنا إن هذا الأمر هو من يدفع بتقدير العلامة الاعربية فيما بعد، ويؤثر فيها بعد رصف المباني التي تشكل التركيب. ومن خلال النظر فيما روي عن القدماء من النحويين، نلاحظ اعتمادهم موقع الكلمة «معناها» في توجيه علامات الإعراب وهذا ما يتضح أكثر في تقدير ما سقط من التركيب، بحيث يتعذر تمثيل تلك الاصناف المعنوية غير البنائية بألفاظ في البنية الخارجية، وثمة امر آخر في هذا الضرب من التراكيب، هو كون العلامة الإعرابية

١. يُنظَرُ: قول عبد القادر البغدادي في خزائنه: ٢٦٠: ٢.

٢. يُنظَرُ: وصف اللغة العربية: ٢٩٦.

٣. يُنظَرُ: دلائل الاعجاز: ٤٢.

التمثلة على كلمة ما تكون دليلاً على ما سقط من التركيب، وظل قاراً في البنية العميقة للتركيب، وعنه قال ابن جنّي: «أعلم أن هذا الشرح غور من العربية بعيد ومذهب نازح فسيح قد ورد به القرآن وفصيح الكلام منشورا ومنضوما..»^(١) ومما جاء به القرآن: قواه تعالى: «بما أوحينا إليك هذا القرآن» يوسف: ٣، قال الفراء: «هذا القرآن، منصوب بوقوع الفعل عليه كأنك قلت: بوحينا إليك هذا القرآن»^(٢)، وقوله تعالى: «أضغاث أحلام» يوسف: ٤٤، بالرفع، لانهم ارادوا: ليس هذا بشيء إنما هي أضغاث أحلام، ولو قلت: رأيت أضغاث أحلام كان صواباً»^(٣).

وأما ما نقل عن العرب نلاحظ رفعهم ما يُنصبُ من المصادر على إضمار الفعل المتروك إظهاره في غير الدعاء، ونقل سيبويه قول العرب في نصبهم المصادر على إضمار الفعل يقولون «حمداً وشكراً ولا كفراً» «وإنما اختزل الفعل ههنا لأنهم جعلوا هذا بدلاً من اللفظ بالفعل، كما فعلوا ذلك في باب الدعاء»^(٤).

وجاء في كلام بعض العرب رفعهم تلك المباني «وزعم يونس أن رؤبة بن العجاج -التميمي- كان ينشد هذا البيت رفعاً وهو لبعض مذحج وهو هني بن أحمز الكناني:

عجبتُ لتلك قضية وإقامتي فيكم على تلك القضية أعجب^(٥)
وسمع عن بعض العرب الموثوق به يقال له: كيف أصبحت؟ يقول: «حمدُ الله وثناءُ عليه»^(٦) ومثل ذا قول المنذر بن درهم الكلبي، سماعاً «من بعض العرب الموثوق به يرويه:

١. الخصائص: ١٨٠: ٢.

٢. معاني القرآن للفراء: ٢٨: ٢.

٣. يُنظَرُ: المصدر نفسه: ٢٨: ٢.

٤. المصدر نفسه: ٣١٩: ١.

٥. المصدر نفسه: ٣١٩: ١، وجمع الهوامع: ١١٨: ٣.

٦. يُنظَرُ: المصدر نفسه: ٣١٩: ١.

فقال: حنانٌ ما أتى بك ههنا أذو نسبٍ أم انت بالحي عارف^(١)
وحمل قوله علي «أمرنا حنان»^(٢) أو ما يصيينا حنان^(٣). ومثله قول الملبد بن حرملة
من بني ربيعة بن ذهل بن شيبان البكري قال:
يشكو إلي جملي طول السُّرى صبرٌ جميلٌ فكلانا مبتلى^(٤)
وحمل هذا علي صبرٌ جميلٌ أصلح من الشكوى^(٥)، تلحظ أن الرفع والنصب
لا يؤثر في المعنى النحوي لتك التراكيب. ومن ذلك ما يجوز فيه الرفع مما ينصب في
المعرفة: «وذلك قولك: «هذا عبدُ الله منطلقٌ» حدثنا بذلك يونس وأبو الخطاب
عمّن يوثق به من العرب»^(٦).

وقد تمثل هذا الاستعمال بقراءة ابن مسعود عبد الله بن غافل بن حبيب الهذلي:
«وَهَذَا بَعْلِي شَيْخٌ»^(٧) هود: ٧٢، والرفع في ذا علي وجهين: الأول: إضمار هذا أو هو
علي إنه خبر لمبتدأ محذوف أي: هذا بعلي هو شيخ^(٨)، والوجه الثاني: أن يكونا جميعاً
خبراً لـ«هذا»^(٩)، وقيل نصبه في ذا الموضع علي الحال «من لطيف النحو وغامضه
لأنك إذا قلت: هذا زيدٌ قائماً وكان المخاطب لا يعرف زيداً لم يجز لأنه لا يكون زيداً
ما دام قائماً، فإذا زال ذلك لم يكن زيداً، فإذا كان يعرف زيداً صحّت المسألة والعمل

-
١. الكِتَابُ: ١: ٣٢٠، الكشاف: ٣: ١٠، همع الهوامع: ٣: ١١١.
 ٢. الكتاب: ١: ٣١٢٠، والمقتضب: ٣: ٢٢٥، وارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبى حيان الأندلسي
«ت ٧٤٥هـ،، تح: د. رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي، ط ١. لسنة ١٤١٨-١٩٩٨: ١٠٨٧: ٣.
 ٣. المصدر نفسه: ١: ٣٢٠.
 ٤. الكِتَابُ: ١: ٣٢١.
 ٥. شرح أبيات سيويه: ١: ٣١٨.
 ٦. الكِتَابُ: ٢: ٨٣.
 ٧. المصدر نفسه: ٢: ٨٣، معاني القرآن: ٢: ٢، إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس: ٢: ١٧٧.
 ٨. يُنظَرُ: الكشاف: ٢: ٣٨٨.
 ٩. الكِتَابُ: ٢: ٨٣.

في الحال التنبيه والإشارة»^(١).

ومثله فيما رُفِع في ذا الموضوع قول رؤبة بن العجاج التميمي:

من يـكُ ذابـتُ فهـذا بـتـي مـقـيـظُ مـصـيـفُ مـشـتـي^(٢)

فجاء بثلاثة أخبار، مقيظ ومصيف ومشتي^(٣) وسجل سيبويه ذا الاستعمال سماعاً من سجله من العرب أي رفع المباني في ذا الاستعمال اللغوي، وقد ثبت هذا المروي من مسجلي سيبويه ولم تختلف الروايات فيما نقل عنهم^(٤)، ولاثر لهذا التحول في العلامة الإعرابية بالمعنى.

ونقل عن لغة لطيء رفعهم الاسم المعرفة الواقع بعد الأسماء المبهمة في النداء، على البيان قال سيبويه: «قال الخليل رحمه الله: إذا قلت: «يا هذا» وأنت تريد أن تقف عليه، ثم تؤكده باسم يكون عطفاً عليه فأنت فيه بالخيار: إن شئت نصبت، وإن شئت رفعت، وذلك قولك: «يا هذا زيد» وإن شئت قلت: «زيداً» يصير كقولك: «يا تميم أجمعون وأجمعين...»^(٥).

والرفع في ذا الاستعمال لغة لطيء قال سيبويه: «وزعم لي بعض العرب أن يا هذا زيدٌ كثيرٌ في كلام طيء»^(٦)، وأين فعلت نصبت أم رفعت، فلا يغير في الأمر شيء. ومن الاستدلالات الأخرى التي تفصح عن التغير في العلامة الإعرابية والمعنى لا يتحول عن وجهة ما روي عن بني تميم وبعض البكرين وأسد وهوازن رفعهم الاستثناء الذي ليس من نوع المذكور قبله على البدل «الاستثناء المنقطع»، والحجازيون ينصبون ذلك، قال سيبويه في باب ما يُختار فيه النصب لأن الأخير ليس

١. إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس: ١٧٧: ٢.

٢. الكتاب: ٢: ٨٤، ويُظَرُّ: الإنصاف في مسائل الخلاف: م(١٠٤)، ٧٢٥: ٢.

٣. يُنظَرُّ: الأمالي الشجرية: ٢: ٢٥٥، وجمع الهوامع: ٢: ٥٣.

٤. الكتاب: ٢: ٨٤، الأمالي الشجرية: ٢: ٢٥٥، الإنصاف في مسائل الخلاف: م(١٠٤)، ٧٢٥: ٢، وبعد

٥. الكتاب: ٢: ١٩٢، يُنظَرُّ: ارتشاف الضرب: ٤: ٢٢٠٢.

٦. الكتاب: ٢: ١٩٢.

من نوع الأول^(١): «وهو لغة أهل الحجاز وذلك قولك: «ما منها أحدٌ إلا حمراً» جاءوا به على معنى: ولكن حماراً، وكرهوا أن يبدلوا الآخر من الأول، فيصير كأنه من نوعه، فحُمِلَ على معنى «ولكن» وعمل فيه ما قبله... وأما بنو تميم فيقولون: «لا أحدَ فيها إلا حمارٌ» أرادوا: ليس فيها إلا حمارٌ، ولكنه ذكر «أحداً» توكيداً لأن يعلم أن ليس فيها آدميٌّ ثم أبدل، فكأنه قال: ليس فيها إلا حمارٌ^(٢)».

وهذا ما يمثل بقول غيلان بن حريث التميمي:

لم يغذها الرسلُ ولا أيسارُها إلا طريُّ اللحمِ واستجزارها^(٣)
أبدل طريَّ اللحمِ من الرسل^(٤)، ومثله ما روي عن بعض بني تميم^(٥)، لقول النابغة الذبياني الغطفاني قال:

وقفت فيها أصيلاًنا أسائلها عيَّت جوابا وما بالربع من احد
إلا أوارى لاياما ابينها والنوى كالحوض بالمظلومة الجلد^(٦)

والمبرد يرى أن الوجه في ذا النصب وهو إنشاد أكثر الناس^(٧) وعلة النصب في ذا أن الإبدال لا يصح فيه من جهة أن المستثنى ليس من جنس المستثنى منه^(٨). ومثل ذلك إنشادهم قول عمرو بن الأيهم، رفعاً، أنشدوا:

١. الكتاب: ٢: ٣١٩.

٢. المصدر نفسه: ٢: ٣١٩-٣٢٠.

٣. المصدر نفسه: ٢: ٣٢٤، والشاهد منسوب في شرح أبيات سيبويه: ٢: ١١٠.

٤. شرح أبيات سيبويه: ٢: ١١٠.

٥. الكتاب: ٢: ٣٢٠.

٦. المصدر نفسه: ٢: ٣٢١، والمقتضب: ٤: ٤١٤.

٧. المقتضب: ٤: ٤١٤.

٨. شرح الكافية: ٢: ٦٩، وشرح التصريح: ١: ٥٤٧.

ليس بيني وبين قيس عتابٌ غير طعن الكلى وضرب الرقاب^(١)
 إن إنشاد بني تميم لهذا الكلام على البدل يفصح عن طبيعة اللغة التي يتحدث بها.
 وما جاء على البدل من غير تميم قول الحارث بن عباد بن ضبيعة:
 والحرب لا يبقى لجأ حمها التخييل والمراح
 إلا الفتى الصبار في النـ ————— نـجـدات والفرس الوقاح^(٢)
 ومثله قول ضرار بن مالك بن أوس بن خريمة الأسدي:
 عشية لا تغني الرماح مكانها ولا النبل إلا المشرفي المصمم^(٣)
 إذ جاء هذا القول في قافية مرفوعة. لضرار بن مالك الأسدي قالها في يوم الردة^(٤)،
 وقد ورد الشاهد نفسه في قافية أخرى منصوبة للحصين بن الحمام السري^(٥). ومثل ذا
 قول عامر بن الحارث:
 وبلدة ليس بها أنيسٌ إلا اليعافرٌ وإلا العيسُ^(٦)
 ونقل لنا قول النابغة الذبياني الغطفاني الذي تمثل قوله بلغة أهل الحجاز قال:

حلفت يمينا غير ذي مثنوية ولا علم إلا حسن طنٍ بصاحب^(٧)
 روى سيبويه هذا القول نصباً، إذ نصب ما بعد «إلا» على الاستثناء المنقطع لأن
 حسن الظن ليس من العلم، وقد ورد هذا رفعاً على البدل في خزانة الأدب^(٨)، وهذا

١. الكتاب: ٢: ٣٢٣.

٢. الكتاب: ٢: ٣٢٤.

٣. الكتاب: ٢: ٣٢٥، والشاهد منسوب في شرح أبيات سيبويه: ١٢٨: ٢، وخزانة الأدب: ٣: ٣١٨.

٤. يُنظر: المصدر نفسه: ٢: ٣٢٥. خزانة الأدب: ٣: ٣١٨-٣: ٣٢٣.

٥. خزانة الأدب: ٣: ٣١٨-٣: ٣٢٣.

٦. الكتاب: ٢: ٣٢٢، ويُنظر: شرح التصريح: ١: ٥٤٧.

٧. المصدر نفسه: ٢: ٣٢٢، وشرح أبيات سيبويه: ٢: ٥١.

٨. يُنظر: خزانة الأدب: ٣: ٣٢٧.

ما يتناسب مع ما سجله سيبويه للنابعة* فيما أجري على البدل في لغة تميم. ومن المسائل النحوية التي تباينت فيها العلامة الإعرابية والمعنى واحد جراء بعض بني أسد «لا» النافية للجنس النصب في المعرفة مجراها في النكرة. قيل إن المعارف الواقعة بعد «لا» التي للجنس لا تجري مجرى النكرات في باب «لا» النافية للجنس؛ لأنها لا تعمل في المعرفة، وما وقع ذا الموقع يوؤل على النكرة أو يكون على حذف المضاف^(١)، وقد تمثل استعمال «لا» النافية للجنس الداخلة على المعرفة بقول رجل من بني دبير^(٢):

لا هثيم الليلـة للمطـي^(٣)

ومثله قول عبد الله ابن الزبير بن الأشيم بن الأعشى بن بجرة الأسدي^(٤):
ارئى الحجـات عند أبي خـبيبٍ نكدن ولا امية بالبلاد^(٥)
إن ما قيل في ذا الموضع ظاهرٌ إعمالها في المعرفة وهذا ما ثبت بالنقل عن العرب، ومثله ما نقل عن رسول الله «ص»، قال: «إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده»^(٦).

وقد تأول النحويون قول الزبير في «ولا أمية في البلاد» قالوا: «فليس كما قال،

• يرى الدكتور عبد العال سالم مكرم أن مرجع الخلاف في نصب قول النابعة راجع إلى الخلاف القبلي في رواية الشاهد بين التميميين والحجازيين. يُنظر: قوله مفصلاً في شواهد سيبويه من المعلقات في ميزان النقد: ١٠٣-١٠٥.

١. يُنظر: الكتاب: ٢: ٢٩٦، والمقتضب: ٤: ٣٦٢-٣٦٣، وشرح جمل الزجاجي: ٢: ١٦٦.

٢. يُنظر: الدرر اللوامع على همع الهوامع: ٢: ٢١٣، وخزانة الأدب: ٢: ٥٩.

٣. الكتاب: ٢: ٢٩٦، الأصول في النحو: ١: ٣٨٢.

٤. يُنظر: المصدر نفسه: ٢: ٢٦٤، ٦١: ٤، وشواهد الشعر في كتاب سيبويه: ٢٨٤.

٥. الكتاب: ٢: ٢٩٧، و يُنظر: الأمالي الشجرية: ١: ٢٣٩.

٦. يُنظر: ارتشاف الضرب: ٣: ١٣٠٧، همع الهوامع: ٢: ١٩٥.

لأن الشَّاعر إنما أراد: لا أمثالَ أُميَّة ولا من يسدُّ مسدَّها...»^(١) وكذلك أجروا ذلك على القول الأول: لا هيثمَ الليلةَ قالوا: «لا مجرئ ولا سائقَ كسوق هيثم»^(٢)، إلا إن العمل والقول بظاهر النص أقوى من الإرادة التي نسبوها إلى الشاعر أو التقول بلسان الراوي اللغوي وإن كانتا من حيث تفسير المعاني والتراكيب أدخل في تحديد القواعد النحوية، وإذا ما أخذنا بهذه التأويلات نجد أن المباني قد أخذت موقع ما كان أصلاً في التركيب وسدَّت مسدَّه حكماً ومعنىً، وهذا ما يعود بنا إلى ظاهر النَّص، لتحقق من اصل العلامة الإعرابية

وبعد عملية التحقق والربط اللغوي بين المعاني والألفاظ وعلاقتها بالعلامات الإعرابية، نلاحظ أن عمليات الربط بين مكونات تلك التراكيب سواء في النص المنطوق أو في النص المروي أو المكتوب، تقوم على شبكة من العلاقات المنطقية عبر العناصر اللغوية التي مثلت تلك التراكيب، وهذا ما دعى سيبويه ومن جاء بعده وحذا حذوه إلى اعتماد الأساس المعياري المتمثل بالكفائة اللغوية، فضلاً عن اعتماده الصورة الثانية للتركيب التي وصفت بأنها لغة لقوم ما وخالفت، أو كانت صورة أو نمطاً ثانياً في الموضوع والمعنى نفسه لكن التغير قد تمثل في العلامات التي لم تغير من دلالة تلك التراكيب شيئاً، وإلى جانب ذلك كله، ندعوا مستعمل اللغة في اقتفاء الأثر اللغوي في كيفية نسج التراكيب النحوية التي تنسجم مع الواقع اللغوي بغض النظر عن توظيف علامات الإعراب التي لا تفصح عما سقط أو حذف من التراكيب، كونها لا تكون دليلاً على المعنى، لأنها قد تمثلت بحركتين مختلفتين «حركة الرفع + حركة النصب»، والمعنى لا يتنازع أي منهما كون المعنى والدلالة قد اتضحت من خلال المباني «الألفاظ» في النص المكتوب، أما المنطوق فإلى جانب الألفاظ ثمة دلائل تفصح عن المعاني والدلالات، أما طيبة تلك الحركات ومكانها في الحقل اللغوي، فيتضح ذلك إذا ربطنا الأمر بتحديد علامات الإعراب كونها تفصح

١. المقتضب: ٣٦٣: ٤، الأصول في النحو: ٣٨٢: ١-٣٨٣.

٢. يُنظَر: شرح الكافية: ١٣٦: ٢.

عن المعنى «سواء المعنى النحوي أم المعنى الصرفي»، ومن هنا نقول إن علامات الإعراب لا يمكن أن تكون الحركات الموجودة في أواخر المباني في التراكيب اللغوية، بل تلك الحركات الموجودة في «فاء الكلمة، وعين الكلمة» كونها تفصح عن دلالة أكبر وتميز بين المباني المتماثلة في الهيئة والشكل، ولا أُبَلِّغ إذا قلنا إنَّ الإعراب بدلالته منوط بالمباني الصرفية دون غيرها، كونه الأساس في عملية الإبداع والابتكار اللغوي.

الفصل الثامن

في اللهجات العربية

حظيت اللهجات العربية القديمة في جزيرة العرب بعناية اللغويين القدماء والمحدثين، فضلاً عن المستشرقين الذين سعوا إلى البحث في أصول تلك اللهجات في غربي جزيرة العرب وشرقيها، فجاءت كثير من الدراسات القديمة والحديثة لهذه الظاهرة على محورين:

- أولاً: إشارات وملحات ماثورة في كتب اللغة والنحو والتفسير، وهذه كثيرة جداً، كما نجد في كتاب سيبويه والمعاجم العربية القديمة كالعين، وجمهرة اللغة، وغيرهما.
- ثانياً: مؤلفات خاصة مستقلة تمثلت في كتاب في اللهجات العربية لإبراهيم أنيس، واللهجات العربية نشأة وتطوراً، عبدالفتاح حامد هلال واللهجات العربية القديمة لجمي راين، ولهجة تميم واثرها في العربية الموحدة لغالب المطلبي ولهجة قبيلة أسد لعلي ناصر غالب وغيرها كثير من الكتب والدراسات الأكاديمية التي عنيت بهذا الضرب من الدراسات اللغوية.

تعريف اللهجة

اللهجة، يقال: لَهَجَ بالأمر هَجَجًا: أولع به واعتاده، واللَّهَجَةُ واللَّهَجَةُ: طرف اللسان.. وجرس الكلام، وَيَقَالُ: فُلَانٌ فَصِيحُ اللهجة، وهي لغته التي جُبِلَ عَلَيْهَا، فاعتادها وَنَشَأَ عَلَيْهَا، وَاللهجة: اللسان^(١).

واللام والهاء والجيم: أصل يدل على المثابرة على الشيء وملازمته، وسمى اللسان لهجة، لأن كلاً يلهج بلغته وكلامه.

وفي الاصطلاح العلمي الحديث - كما يقول إبراهيم أنيس -: «مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي على بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة، وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع واشمل تضم عدة لهجات، لكل منها خصائصها، ولكنها تشترك جميعاً في مجموعة من الظواهر اللغوية التي يسر- اتصال أفراد هذه البيئات بعضها ببعض...»^(٢).

فاللهجة هي مجموعة من الظواهر اللغوية تنتمي إلى بيئة جغرافية معينة ويشترك في هذه الظواهر جميع أفراد هذه البيئة^(٣). والمقصود بالظواهر اللغوية في هذا التعريف هي صفات تتعلق بتدقيق مخارج الحروف وكيفية نطقها ووضع أعضاء النطق مع بعض الأصوات ومقياس أصوات اللين وكيفية إمالتها وكيفية التفاعل بين الأصوات المتجاورة حين يتأثر بعضها ببعض. فإذا تفشت هذه الصفات في بيئة جغرافية معينة وسمت لهجة أهل هذه البيئة بما يميزها عن سواها من لهجات البيئات المجاورة. وقد تتسع هذه السمات قليلاً لتشمل بعض المفردات والتراكيب، ولكن إن اتسعت رقعة التمايز لدرجة اختلفتا اختلافاً بيناً من حيث المفردات ودلالاتها ومن

١. يُنظَر: لسان العرب: ١٨٣: ٣.

٢. في اللهجات العربية: ١٦.

٣. فقه اللغة د. محمد النادري: ١٦.

حيث صيغ الأفعال وأنواع الجموع وأداة التعريف وقواعد النحو تحولتا إلى لغتين^(١). وقد عرفت اللغة العربية اختلاف اللهجات منذ العصر الجاهلي فقد كان لكل قبيلة من قبائل العرب التي صدر عنها الابتكار اللغوي «قريش، تميم، أسد، غطفان، هذيل، طيء...» لهجتها المختلفة عن لهجات سائر القبائل، ومن هذه الاختلافات ما يتعلق بالجانب الصوتي (الحركات):

- الحركات بين الفتح والكسر نحو «نستعين» وقد وردت النون مفتوحة بلغة قريش وأسد ومكسورة بلغة غيرهم.
- الحركة بين الضم والسكون نحو «وهو» بضم الهاء وسكونها.
- بتحقيق الهمزة أو تسهيلها نحو الذئب أو الذيب.
- بالتقديم والتأخير نحو صاعقة وصاقعة.
- بالفتح والإمالة، والإمالة هي الجنوح بالحرف نحو الكسر.
- بالتذكير والتأنيث فبعض القبائل تقول «هذه البقر» وأخرى تقول «هذا البقر».
- بالجمع نحو أسرى وأسارى.

والجدير بالذكر أن مصطلح اللهجة لم يستخدمه اللغويون القدماء، بل استخدموا مصطلح اللسان، فقالوا لسان قريش وتميم. وأحيانا كانوا يستخدمون مصطلح اللغة وهم يعنون به اللهجة كأن يرد في كتب اللغة كـ(كتاب اللغات) ليونس بن حبيب أبي عبد الرحمن الضبي النحوي المتوفى سنة ١٨٢^(٢) هـ، وكتاب اللغات للفرّاء يجيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي المتوفى سنة ٢٠٧^(٣) هـ، وكتاب اللغات لأبي عبيدة مُعَمَّر بن المثنى أبي عبيدة التميمي البصري المتوفى سنة ٢٠٩^(٤) هـ، وكتاب

١. في اللهجات العربية: ١٧.

٢. أنباه الرواة على أنباه النحاة: ٤، ٦٨، ٧١.

٣. أنباه الرواة على أنباه النحاة: ٤، ١٦-١.

٤. المصدر نفسه: ٣: ٢٧٦-٢٨٦.

اللغاتِ لأبي زيد الأنصاريّ سعيد بن أوس بن ثابت المتوفى سنة ٢١٥ هـ، وكتابٍ في لغاتِ القرآنِ لأبي زيد الأنصاريّ أيضاً، وكتابِ اللغاتِ للأصمعيّ عبد الملك بن قريب بن قيس عيلان المتوفى سنة ٢١٢ هـ، وكتابِ اللغاتِ لابن دريد أبي بكر محمد بن الحسن المتوفى سنة ٣٢١ هـ، و(ما ورد في القرآن من لغاتِ القبائل) لأبي عبد القاسم بن سلام الهرويّ المتوفى سنة ٢٢٤ هـ، وكتابِ (اللغاتِ في القرآنِ الكريم) رواية إسماعيل بن عمرو بن حسنون المقرئ المتوفى سنة ٤٢٩ هـ، و(كتابِ اللغاتِ) لابن بريّ عبد الله بن عبد الجبار النحوي اللغوي المتوفى سنة ٥٨٢ هـ.

ومجموع هذه اللهجات تنتمي إلى بيئة لغوية اصطلاح على تسميتها باللغة الفصحى، وثمة علاقة بينها وبين مفهوم اللهجة وهي علاقة الخاص بالعام، فاللغة العربية الفصحى تشمل على لهجات عدة لكل منها ما يميزها عن غيرها من اللهجات ولا سيما في النظام الصوتي والدلالي. ومفهوم الفصحى: الفصاحة: البيان، تقول: رجل فصيح، وكلام فصيح، أي: بليغ، وأفصح: تكلم بالفصاحة، وكذلك الصبي إذا فهمت ما يقول في أول ما يتكلم، وتفصح الرجل في كلامه، وتفصيح: تكلف الفصاحة. والفصيح في اللغة: المنطلق اللسان في القول، الذي يعرف جيد الكلام من رديئه، والفصيح: اللسان، الطليق، والكلام العربي، والعربية الفصحى: عبارة عن لهجة أو مجموعة لهجات لها صفات خاصة، كالإعراب والبيان، وتسمى اللهجة - أحيانا - لغة، ونجده كثيراً في كتب النحو والمعاجم، مثل: لغة هذيل، ولغة طيء ولغة قريش ولغة تميم ولغة اسد ولغة باهله.

١. المصدر نفسه: ٣٠/٢ - ٣٥.

٢. المصدر نفسه: ١٩٧/٢ - ٢٠٤.

٣. المصدر نفسه: ٩٢/٣ - ٩٦.

٤. المصدر نفسه: ١٢/٣ - ٢١.

٥. المصدر نفسه: ١١٠/٢ - ١١١.

خصائص اللهجات ومظاهر اختلافها

هناك خصائص لغوية تحملها بعض اللهجات، تميزها عن غيرها، وأهمها:

▪ على المستوى الصوتي:

الأصوات وكيفية صدورها، كتحقيق الهمز وتخفيفه، فقبيلة «تميم» تحقق الهمز بعكس أهل الحجاز، وكذلك الإمالة والإبدال «فيروى... أن قبيلة تميم كانوا يقولون في فزت: فزد كما كانوا ينطقون بالهمز عيناً» ولعل الإبدال أبرز الظواهر الصوتية الفارقة بين اللهجات الذي تشتهر به قبيلة ويروى عنها كالاستنطاء والعنونة والفحفة والكشكشة وغيرها من اللهجات المذمومة.

▪ على المستوى الصرفي

تتميز بعض اللهجات بطريقة صياغة الأبنية الصرفية من ذلك اسم المفعول من الثلاثي معتل الوسط بالياء فالقياس حذف الياء أو واو مفعول على خلاف فيقال في «باع وخاط»: مبيع ومخيطة إلا قبيلة تميم فإنها تصححه فيقولون: مبيوع ومخيوط ومنه قول العباس بن مرداس:

قد كان قومك يحسبونك سيداً وإخال أنك سيدٌ معيون

▪ على المستوى الدلالي

تنفرد بعض اللهجات بدلالات خاصة وقد نشأ من تنوع الدلالات وجود المشترك اللفظي والترادف من ذلك أن أبا هريرة (رضي الله عنه) لم يفهم معنى «السكين» لما طلبها منه النبي (صلى الله عليه وسلم) وقال: المدية تريد؟ ف قيل له: نعم فقال: أو تسمى عندكم سكيناً؟ ثم قال: والله لم أكن سمعتها إلا يومئذ.

إلا أن هذا الاختلاف في الدلالة لا يكون كثيراً فإن اللهجة إذا اختلفت معاني معظم كلماتها واتخذت أسساً خاصة في بنية كلماتها وقواعد خاصة في تركيب جملها لا تسمى حينئذٍ لهجة بل لغة مستقلة.

■ كيف تتكون اللهجات

كثير من اللغات ترجع إلى أصول واحدة ولكنها تباينت مع تقادم الزمن وكلما طال الزمن زادت تباعداً وانقساماً فاللغات العربية ترجع إلى أصل واحد وهذا ما يفسر اتفاقها في بعض الخصائص ثم إنها تفرقت وأصبحت لغات كثيرة تحمل كل واحدة منها سمات وخصائص تنفرد بها وهذا التباعد الزمني يضاف إليه التباعد الجغرافي «الانعزال الجغرافي والاجتماعي بين بيئات الشعب الواحد» والهجرات وكانت الهجرات كثيرة في الجزيرة العربية لانعدام عوامل الاستقرار. فضلا عن ذلك سعة الرقعة الجغرافية للجزيرة العربية وانعزال بعض قبائل العرب عن بعضها الآخر ومجاورة بعضها للغات أخرى ولما جاء الإسلام واتسعت رقعة العربية وكثر المتكلمون بها واختلط العرب بغيرهم وكثرت الهجرات والفتوحات «الصراع اللغوي الناجم عن الغزو أو الهجرة أو التَّجاور» أثر ذلك على خصائص كثير من اللهجات وأضاف سمات جديدة إليها^(١).

فالذين ينتمون إلى لغة ما حين تفرق بهم السبل وتكون العزلة فيما بينهم وتنقطع وشائج القربى والوصال، تصبح الاستعمالات اللغوية متغايرة وهذا يفصح عن انعزال لغوي بعد ما كان جغرافيا لان هذا الانعزال يفرض على أبناء هذه البيئات اللغوية شكلا لغويا صوتيا وداليا خاصا، وهذا لا يكون في زمن قريب بل يحتاج إلى تاريخ طويل من التطور اللغوي من حيث التوالد والموات نتيجة التواصل اللغوي بين أبناء هذه البيئية.

١. يُنظَر: اللغة لفندريس: ٣١٥.

ما يواجهه الباحث في اللهجات العربية القديمة من صعوبات

أ. أن علماء اللغة العرب القدماء لم يهتموا إلا بلهجة قريش، أما سائر اللهجات فقد مروا عليها مرور الكرام، ولا نبالغ إذ نقول أنه لولا القراءات القرآنية لاندثرت هذه اللهجات في طيات الزمن.

ب. انتبه العلماء إلى اللهجات في مؤلفاتهم ولكن وقعوا في لغط كبير حين لم يهتموا بنسبة اللهجة إلى أصحابها، فمثلاً كانوا يذكرون لفظة قريش، ثم يذكرون اللفظة الأخرى ويقولون وهي لغة، دون الاهتمام بنسبها لقوم محددین.

ت. إذا أردنا دراسة اللهجات فإننا لن نجد في المكتبة العربية كتاباً قديماً يُعنى باللهجات، وبالفروق بينها فعلى الدارس أن يتقن ثانياً الكتب والمعاجم عن أية إشارات تثبت أن هذه الألفاظ هي لهجات بل «إن هذه الدراسة تتطلب تصفح جميع المؤلفات العربية لأن اهتمام العرب بالمسائل اللغوية لم يقتصر على اللغويين والنحويين، فإننا نجد الاهتمام عند الجغرافيين والمؤرخين، بل عند الفلاسفة والأطباء والرياضيين بمناسبة وغير مناسبة ولذلك فإننا كثيراً ما نعثر على ملاحظات مهمة عن اللهجات العربية في غير كتب اللغويين»^(١).

ومن الجدير ذكره في هذا المجال أن أهم مصادر دراسة اللهجات العربية هي:

القراءات القرآنية	المعاجم	كتب النوادر
كتب الأمثال	كتب النحو	كتب اللغة

أ. تعد القراءات القرآنية من أهم مصادر دراسة اللهجات على الإطلاق، وهذا يعود للمنهج الذي اتبعه أصحاب القراءات، وهو منهج يمتاز بدقته عن

١. فصول في فقه العربية رمضان عبد التواب: ٧٤

كل ما تبقى من مناهج ومصادر لارتباطه الوثيق بالنص القرآني، ولشدة
عناية المسلمين بعلم القراءات واشتراطهم التلقي والعرض في عملية النقل
وذلك أن أصحاب القراءات «لم يكتفوا بالسماع من لفظ الشيخ في التحمل،
وإن اكتفوا به في الحديث، وقالوا: إن المقصود هنا كيفية الأداء، وليس كل
من سمع لفظ الشيخ يقدر على الأداء بل لا بد من قراءة الطالب على
الشيخ»^(١).

ب. تعد المعاجم من المصادر المهمة أيضا في دراسة اللهجات ولكن لا بد أن
نذكر أن المعاجم ليست على نوع واحد، نذكر أمثلة على ذلك:

- كتب اللغات، وهو عنوان مشترك لأكثر من كتاب لم يصل من هذه الكتب
شيء ولكننا عرفناها بحديث اللاحقين عنها، ومن كتب اللغات كتاب
يونس بن حبيب، والأصمعي، وأبو زيد، وابن دريد.
- «كتب لغات القرآن، وأيضا هو عنوان مشترك لأكثر من مؤلف نذكر منهم
على سبيل المثال لا الحصر، الفراء، والهيثم بن عدي»^(٢). وإذا كانت كتب
لغات القرآن - ولاحظ ذكر القدماء اللغة بمعنى اللهجة - من أهم
مصادر دراسة اللهجات فمن المؤسف أن نعرف أنه لم يصل من هذه
الكتب الكثيرة إلا كتابان.
- المعاجم اللغوية العامة كلسان العرب لابن منظور، والجمهرة لابن دريد.
- المعاجم اللغوية الخاصة، والمقصود بها تلك التي ألفها صاحبها في موضوع
واحد ككتاب النخل والكرم للأصمعي.

ت. كتب النوادر ومن أشهرها نوادر ابن الأعرابي، ونوادر أبي زيد ويتميز كتاب
أبي زيد بأنه يعزو اللهجات إلى أصحابها فيقول قال فلان من تميم، أو فلان
الهدلي نسبة إلى هذيل، أو راجز من حمير.

١. إتخاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر البنا الدمياطي: ٣.

٢. الفهرست ابن النديم: ٥٣.

ث. أما كتب الأمثال فيعتبرها الدكتور عبده الراجحي^(١) مصدراً غنياً لدراسة اللهجات لأنها تُقال بلسان القوم وتنتقل كما هي دون إخضاع اللهجات الأخرى هذه المقولة للهجتها بل تمضي مثلاً كما هي.

ج. كتب النحو أيضاً من الكتب المهمة لدراسة اللهجات، ومن الحري ذكره أن سيبويه نقل بعض اللهجات وأرجعها إلى أصحابها ولكن لم يفعل ذلك في مواضع كثيرة بل اكتفى بعرض القول وركز أكثر على القياس لأن غايته النحو ومما يغفر له أنه من النحاة لا من اللغويين.

ومن الملاحظ أن النحاة المتأخرين كابن مالك كانوا أكثر اهتماماً باللهجات من النحاة المتقدمين.

تصنيف اللهجات

- صنفت اللهجات العربية القديمة على ضربين
- أولاً: اللهجات العربية الفصحى، وهي اللهجات التي شكلت اللغة العربية المشتركة التي عرفت بلغة القرآن أو بلغة قريش لان هنالك ارتباطاً وثيقاً بين لغة القرآن وتعدد اللهجات في الجزيرة العربية فلم يكن القرآن بكل جملة ومفرداته قد نزل بلهجة قبيلة دون غيرها وإنما نزل بأكثر من لهجة بغية أن يكون كتاباً شاملاً لكل ما تعارف عليه العرب من كلمات في ذلك الوقت وعلى الرغم من اختلاف وتعدد اللسان العربي، والذي يعود إلى عدة عوامل جعل من اللغة العربية في منطقة الجزيرة العربية تنتقل من شكلها الأولي البسيط وتبدأ بعملية من التعدد في اللهجات المندرجة تحت تلك اللغة حتى أصبحت أكثر تعقيداً وأكثر كلمات وأعلى مستوى ولعل

١. يُنظَر: اللهجات العربية في القراءات القرآنية د. عبده الراجحي: ٥٦.

ذلك يندرج تحت ما يسمى بالتطور اللغوي إلى أن وصلت اللغة العربية إلى شكلها الأكبر والأقوى في القرن السابع الميلادي وهو زمن نزول القرآن. إلا أن قريشاً كانت لها السيادة في اللهجات العربية فلقد استطاعت قريش أن تخرج لهجتها الأصلية من مكامن الزلل التي تقع به اللهجات الأخرى للعرب، وكانت قريش من القبائل التي تصهر في بوتقة لهجتها لهجات العرب الآخرين فتنتقي الكلمات وتستحسنها فتجمعها في لهجتها وبذلك تشكلت لهجة لقريش على مرور الزمن أفصح من أي لهجة أخرى مع اقترابها من كافة لهجات القبائل في الجزيرة العربية^(١)، ولقد أوردته السيوطي في المزهري «كانت العرب تحضر المواسم في كل عام، وتحج إلى البيت في الجاهلية، وقريش يسمعون لغات العرب، فما استحسونه من لغاتهم تكلموا به، فصاروا بذلك أفصح العرب، وخلت لغتهم من مستبشع اللغات، ومستقبح الألفاظ»^(٢)، ولذلك كان يعتبر أهل قريش أفصح العرب وأفضلهم لساناً ولقد دأب العلماء السابقون على اعتبار لهجة قريش هي الفصحى ولا شيء سواها.

قال أبو نصر الفارابي: «كانت قريش أجود العرب انتقاءً للأفصح من الألفاظ، وأسهلها على اللسان عند النطق، وأحسنها مسموعاً، وأبينها إيابة عند النطق»^(٣). فلم تكن تسمع في كلامهم عنعنة تميم، ولا عجرية قيس، ولا كشكشة أسد، ولا كسكسة ربيعة، ولا الكسر الذي تسمعه من أسد، وقيس مثل: تعلمون، ونعلم، ومثل: شعير، وبعير.

ونسأل هنا سؤالاً مهماً كيف تشكلت لقريش كل هذه الفصاحة؟ ولماذا كانت قريش أفصح العرب؟ وكيف استطاعت قريش أن تزوج لهجتها باللهجات الأخرى؟.

١. فصول في فقه اللغة: ٧٧.

٢. المزهري في علوم اللغة وأنواعها: ١٢٨.

٣. يُنظَر: نص الفارابي في كتابه الحروف: ١٤٥.

أ. العامل الجغرافي

يقول أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) «وقريش هم أوسط العرب في العرب داراً، وأحسنه جواراً، وأعربه ألسنة»، فلقد كانت قريش ذات موقع جغرافي يبعد عن كل ما يمكن أن يعكّر صفو لغتها فلم تكن قريبة من بلاد الروم ولا من بلاد فارس فلا تختلط لغتها العربية بأي لغة أخرى مما قد يؤدي إلى انحراف لهجتها عن اللغة الأصلية ناهيك على أنها لم تتعرض لأي احتلال رومي أو فارسي مما جعلها تحمي لغتها بشكل سليم جداً والإبقاء على نقاء ما لديها.

ب. العامل الديني:

يقول سبحانه وتعالى في محكم كتابه العزيز لنبينا إبراهيم بعد أن أتّم بناء الكعبة الشريفة في أرض الحجاز ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ (الآية ٢٧، سورة الحج) إذا نحن نتكلم هنا عن أرض بدأت كل القبائل العرب تؤمها منذ زمن سيدنا إبراهيم إلى أن بعث الله نبينا محمداً بالإسلام وأنزل عليه القرآن، فلقد حظيت قريش بشرف خدمة الحجاج الآتين إلى كعبته الشريفة وبذلك قدر للهجتهم أن تختلط مع لهجات العرب الآخرين بكل ما فيها وبما أننا أوضحنا كيف أخذت قريش من لهجات العرب أفضلها وأبعدها عن الكسر والثقل فلقد كانت قريش أكثر العرب احتكاكاً مع غيرهم من القبائل ولذلك كانت أوسعهم اضطلاعاً على لهجات غيرهم.

ج. العامل الثقافي:

لا يمكن لنا أن نتحدث عن العامل الثقافي دون أن نركّز على أهم مركز للثقافة في كل الجزيرة العربية وهو سوق عكاظ، حيث كانت القبائل العربية تجتمع في تلك السوق وتبازر بالشعر والخطابة بلهجة قريش وذلك مما أعطى لهجة قريش انتشاراً

واسعا بين القبائل العربية واعتبارها اللهجة الأسهل للتفاهم بين القبائل والتقارب بين اللهجات ومن جانب آخر فإن قريشاً كانت تستمع لما يخرج به عرب القبائل الأخرى من اختيار لأحسن الألفاظ لكي يظهرها مدى قوئى لهجاتهم فكانت تتخير قريش أفضلها وتضيفها إلى لهجتها.

د. العامل الاقتصادي:

مع فضل الحج للكعبة الشريفة في مكة، فلقد أصبحت قريش مركزاً تجارياً هائلاً بين القبائل فلقد كانت القوافل العربية تنطلق من قريش في الشتاء وفي الصيف، واختلاط التجار القرشيين مع غيرهم من التجار جعل من لغتهم أوسع انتشاراً، فلقد كانت التجارة على شقيها من حيث التجار القادمين لمكة أو تجار مكة الخارجين منها إلى البلاد الأخرى والقبائل البعيدة مما أتاح لفصحاء قريش القدرة على انتقاء ما أعجبهم من لهجات القبائل الأخرى وتصفية لغتهم أيها صفاء.

لعل هذه هي أهم العوامل التي أثرت وبشكل جلي في تشكّل لهجة قريش وتفردتها عن غيرها من اللهجات، التي أدت فيما بعد من كونها أكثر اللهجات فصاحة واقتراباً من اللهجة الأم، التي وصلت إلى مرحلة من المراحل لتكون اللهجة الأوسع انتشاراً بين القبائل العربية بكونها لهجة مركزية وشاملة.



■ أولاً: في المستوى الصوتي:

ثمة خلاف لغوي على المستوى الصوتي بين لهجتي قريش التي تمثل البيئة الحجازية وتميم التي تمثل البيئة النجدية. فمثال ذلك نجد صوت الثاء عند تميم يقابله صوت الفاء عند أهل الحجاز. ف(اللاثم وثم) عند التميميين هي (اللفام وفُم) عند الحجازيين. وقد جاء أن العرب تبدل الفاء ثاءً فيقولون جدف و جدث القبر، ووقع قي عافور شر وعاثور شر. ونلاحظ أن القرآن استخدم ثم ولم يستخدم فُم. ومن الخلاف أيضاً إلحاق تميم القاف باللهاء حتى تغلظ كثيراً، فيقولون للقوم: الكوم فتأتي بين الكاف والقاف، وهذه لهجة معروفة في بني تميم^(١). من ذلك أيضاً اختلاف لهجتي الحجاز وتميم في «ض، ظ» فأولهما صوت شديد نسب إلى تميم، والثاني رخو نسب إلى الحجاز.

وقد ورد في لسان العرب: فاضت نفسه تفيض فيضاً: خرجت، وهي لغة تميم. وحكى المازني عن أبي زيد قال: كل العرب تقول فاظت نفسه إلا بني ضبة فإنهم يقولون فاضت نفسه بالضاد، وأهل الحجاز وطيء يقولون فاظت نفسه. وقضاعة وتميم وقيس يقولون فاضت نفسه مثل فاضت عينه^(٢).

ومن الجدير ذكره أن الخلاف حول صوتي الضاد والطاء شغل النحويين قديماً إلى درجة أنهم ألفوا فيه، ومن ذلك كتاب ابن مالك «الاعتضاد في معرفة الطاء والضاد».

ومن الخلاف أيضاً إبدال التميميين التاء طاءً، وفي هذا يقول ابن سيده في المخصص «وقد أبدلت الطاء من التاء في فعلت إذا كانت بعد حرف من حروف

١. ابن دريد: جمهرة اللغة: ٤٢

٢. ابن منظور: لسان العرب: ف: ٧: ٢١١

الإطباق. وهي لغة تميم قالوا: فحصط برجلك وهم يريدون فحصت^(١). وكذلك إبداهم التاء دالاً، فقالوا فزُدْ مكان فرتُ. فالدال والتاء من الحروف النطعية غير الأولى مجهور والثاني مهموس ففضلوا الأولى على الثاني. ولاحظ هنا ميل تميم إلى شديد الألفاظ وهذا ما ينسجم مع بداوتها.

ومن أوجه الاختلاف أيضاً ما عرف بظاهرة الاتباع، والاتباع هو أن تتبع حركة الفاء «أول الكلمة» حركة العين كما في شهيق بالكسر، وبِعير، وهي لهجة تميم وقيس وأسد. الحجازيون يفكون إدغام المثلين في الماضي عند إسناده إلى ضمير الرفع نحو: شددتُ وظللتُ في حين تقول تميم: ظلَّتْ. الحجازيون يفكون الإدغام المضارع فيقولون: لم يحلل، أما تميم فتقول: لم يحل. الحجازيون يفكون الإدغام في الأمر في جميع أحواله، فيقولون: أعدد و أعدده. أما التميميون فيبقون الإدغام فيقولون: أعدَّ و شُدَّ.

وفي هذا يقول جرير وهو من تميم معيراً الراعي النميري:

فغَضَّ الطرف إنك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وقد نزل القرآن بلهجة قريش في هذه النقطة، حيث يقول ربنا تعالى:

«أَشْدُدْ بِهِ أَزْرِي» طه: ٣٦

«وَمَنْ يَجْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي» طه: ٨١

«وَلَا تَمَنََّنَّ تَسْتَكْثِرُ» المدثر: ٦.

□

١. ابن سيدة: المخصص: ١٣: ٢٧٠

▪ ثانياً: المستويان الصرفي والنحوي

١. في التذكير والتأنيث:

تقول قريش: هي التمر والبر والشعير والذهب بينما تذكّر تميم هذا كله^(١)، فتقول هذا التمر والبر.

إن أهل الحجاز أنثوا أعضاء الجسم كالعنق والعضد بينما جعلها التميميون من المذكر فيقولون هذا عنق. أنث أهل الحجاز أسماء الأماكن كالطريق والسبيل والسوق والصراط، بينما أجزتها تميم مجرى المذكر أيضاً فتقول: هذا طريق، وهذا سوق.

٢. في العدد:

إنّ «اثنتين» في لهجة الحجاز تصبح «ثنتين» في لهجة تميم بدون ألف. وإن «عشرة» إذا كان مركباً مختوماً بالتاء نحو: «فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً» البقرة: ٦٠. تُسكّن شينها عند الحجازيين أما بنو تميم فيكسرونها.

٣. في الموصول:

يشدد التميميون النون في الأسماء الموصولة وأسماء الإشارة حين تكون بصيغة المثني: اللذان، اللتان، وهذان، هاتان. في حيف يخفف الحجازيون وسائر العرب هذه النون^(٢)

٤. في أسماء الإشارة:

إنّ الحجازيين يقولون «ذلك و تلك» بينما يقول التميميون «ذاك و تيك». إنّ الحجازيين يمدون اسم الإشارة «أولاء» أما التميميون فيقصرونه ويقولون «أولى». إن قريشا تقول «هذه» وصلاً ووقفاً، أما بنو تميم فيقولون «هذه» في الوقف و «هذي» في الوصل نحو: هذي ورقة.

١. المزهر: ٢: ٢٧٧

٢. شرح التصريح: ١: ١٣٢

٥. في المصدر بعد «أما»:

إن التمييزين يرجحون نصب المصدر النكرة بعد أما نحو: أما علماً فعالمه، ويجزون الرفع نحو أما علمٌ فعالمه، غير أنهم يوجبون رفع المصدر إذا كان معرفة وليس للنصب إليه سبيل نحو: أما العلمُ فعالمه. أما الحجازيون فينصبون مطلقاً في المصدر النكرة، ويرجحون رفع المصدر المعرفة.

٦. في اسم العلم على وزن فعال:

إن التمييزين يمنعون من الصرف ما جاء على وزن فعال من أسماء العلم وهي بالمناسبة أسماء مؤنثة نحو: حذام، قطام، رقاش. أما إن ختم بالراء نحو: ظفار وهو اسم بلدة في اليمن، أو وبار وهو اسم قبيلة من العرب البائدة، فإن غالبية تميم تبنيه على الكسر مطلقاً، وأقلهم يمنعونه من الصرف، وقد اجتمعت اللهجتان في قول الأعرشي:

ومرّ دهرٌ على وبارٍ فهلكتُ جهرةً وباراً
أما قریش فتبني هذا كله _ ما ختم بالراء وما لم يختم بها _ على الكسر^(١) كقول
لجيم بن صعّب في امرأته وكان اسمها حذام:

إذا قالت حذام فصدقوها فإنّ القول ما قالت حذام

٧. في اسم الفعل:

إن التمييزين يصرّفون اسم فعل الأمر «هلمّ» فيقولون هلمّا، هلموا، وهلمّي، وهلمّا أما الحجازيون فلا يصرّفون فيه: قال تعالى: ﴿هَلُمَّ شُهَدَاءَ كُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ﴾^(٢) الانعام: ١٥٠ وتصريفه ليس بالفصح عند أغلب العرب. أن اسم الفعل الماضي «هيهات» عند التميميين هو «اياهات» عند الحجازيين.

٨. في تمييز كم الخبرية:

إن التمييزين يجزون نصب تمييز كم الخبرية إذا كان الخبر مفرداً، بينما قياس النحو جره كقول الفرزدق:

١. شرح التصريح: ٢:٢٢٥

كم عمّة لك يا جرير وخالّة فدعاء قد حلبت عليّ عشاري

٩. في صيغ الأسماء:

- إن الصيغة الدالة على أسماء الزراعة في «فعال» عند الحجازيين بكسر الفاء، بينما هي فعال عند التميميين بفتحها. فقريش تقول: حِصاد، قَطاف. بينما تقول تميم: حِصاد و قَطاف. بينما نزل القرآن بلهجة تميم بفتح أسماء الزراعة حيث يقول ربنا تعالى في محكم التنزيل: ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ الأنعام: ١٤١.
- إن الحجازيين قالوا مرية بالكسر، بينما قالت تميم مرية بالضم.
- الحجازيون يقولون: كراهة، و تميم تقول: كراهية.
- فال الحجازيون: قلنسية، وقالت تميم: قلنسوة.
- قالت قريش: الهدى مخففا كالرمي، وقالت تميم: الهدى مشددا كالعشي^(١).

١٠. في الاستثناء:

إن الحجازيين يوجبون نصب المستثنى إذا وقع في كلام تام غير موجب^(٢) وكان الاستثناء منقطعا^(٣) كأن نقول: ما نزل من السفينة إلا البضائع، وما اقتربت من الصيادين إلا الكلاب، نحو قول ربنا تعالى: ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتَّبَاعَ الظَّنِّ﴾ النساء: ١٥٧.

أما التميميون فيختارون النصب في هذا الموقع ولكنهم يجيزون الاتباع كقول شاعرهم:

وبلدة ليس بها أنيس إلا اليعافير وإلا العيس
أما إذا كان الاستثناء بـ «غير» فالحكم هو الاتباع مطلقاً فيقولون: ما قام أحد غير

١. فقه اللغة: ٢٢٢

٢. المزهري: ٢: ٢٧٦

٣. ابن منظور: لسان العرب: ٣: ٥٠٩

ناقة، أما البقية فيقولون غيرَ بالنصب.

١١. في صيغ الفعل

- إن التميميين يميلون غالباً إلى كسر عين الماضي المفتوحة عند الحجازيين.
- فيقول الحجازيون: زهد و حقد، بينما تقول تميم: زهد و حقد.
- تقول قريش: برأتُ من المرض وتقول تميم: برئتُ.
- وتقول قريش في هذا الباب أنا منك براء. بينما تقول تميم وسائر العرب: أنا بريء منك. واللهجتان في القرآن^(١).

- تقول قريش: قلوْتُ البُرَّ. بينما تقول تميم: قليتُ.
- قريش تقول «لاته» أي نقصه حقه، بينما تقولها تميم «الاته» واللهجتان في القرآن، حيث يقول ربنا تعالى: ﴿لا يلتكم من أعمالكم شيئاً﴾ الحجرات: ١٤، ويقول تعالى أيضاً ﴿وما ألتناهم من عملهم من شيء﴾ الطور: ٢١
- تقول قريش أوصدت الباب. بينما تقول تميم أصدت الباب.
- الواو الواقعة فاء للفعل الماضي في لهجة الحجازيين تقلب همزة في لهجة تميم، فيقول الحجازيون: وكَّد. ويقول التميميون: أكَّد.

١٢. في النواسخ

- إن التميميين يرفعون خبر ليس إذا اقترن بعدها بإلا نحو: «ليس الفاتك إلا الاسد» حملاً على ما في الإهمال عند انتقاض النفي، كما حمل أهل الحجاز ما على ليس في الأعمال عند استيفاء شروطها^(٢)
- إن الحجازيين يعملون ما عمل ليس بشروط أربعة هي:
 - ❖ أن لا يتقدم خبرها على اسمها.
 - ❖ ألا يتقدم معمول خبرها على اسمها.
 - ❖ ألا تقع بعدها أن الزائدة.

١. المزهري: ٢: ٢٧٦

٢. . فقه اللغة: ٢١٦

❖ ألا ينتقض نفي خبرها بيّالا.

ومن أعمالها بهذه الشروط قوله تعالى في محكم التنزيل « مَا هَذَا بَشَرًا » يوسف: ٣١ وقوله جل وعلا: « مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ » المجادلة: ٢. أما تميم فتهملها لذلك تسمى العاملة ما الحجازية» ٢٥ .

• إن حذف خبر لا النافية للجنس غالب في لهجة الحجازيين، دائم في لهجة تميم فلم يلفظوا به أصلا نحو: لا ضير، ونحو: لا ضرر ولا ضرار.

▪ ثالثا. المستوى الدلالي:

سبق أن أشرنا - حين تحدثنا عن اللغة واللهجة - أن اللهجات لا بد أن تشترك فيما بينها بقدر كبير من المفردات والدلالات وصيغ الأفعال وأنواع الجموع وأداة التعريف وقواعد النحو، وإن لم يتوفر هذا الكم الكبير من الاشتراك تحولت إلى لغات لا إلى لهجات تنتمي إلى لغة واحدة. لذلك من البديهي أن لا نجد في هذا الباب كثيرا لنذكره إذ المقارنة بين لهجتين لا بين لغتين، ولكن على هذا الصعيد نذكر:

بالنسبة لتمييم:

- تقول تميم «الأعفك» أي الأعسر.
- وقالت تميم: «بع لي تمرا» أي اشتر لي.
- قالوا «الجبي» وهو ما حول البئر.
- وقالوا: «جذب» وهم يريدون بها جذب فأبدلوا مكان الحرفين.
- وقالت تميم أيضا: «جل الشيء» أي معظمه.
- وتستخدم تميم البغي بمعنى الحسد، وبهذا المعنى وردت في محكم التنزيل: «بَغِيًّا بَيْنَهُمْ» البقرة: ٢١٣ أي حسدا.
- الأمة عند تميم تعني النسيان، وقد وردت بهذا المعنى في القرآن الكريم أيضا، حيث يقول ربنا تعالى: «وَأَذَكَّرْ بَعْدُ أُمَّةً» يوسف

٤٥:

- تستخدم تميم «خشع» بمعنى اقشعر، ومنها قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً﴾ فصلت: ٣٩
- حرص بمعنى كذب لهجة تميم، وقد وافق القرآن لسانها حيث يقول الله تعالى في محكم التنزيل: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ الزخرف: ٢٠

بالنسبة لقريش:

- قالت قريش: الفرسك وتريد به ثمر الخوخ.
- وقالت: الدجر وهو عندها اللوبياء.
- سمو الأسد السرحان.
- قالت قريش: المسطح وهو المكان الذي ينشر فيه التمر.
- قالوا: الضال الأشكل، أي الصدر الجبلي.
- وقالوا: أرخصه أي اغسله.

■ ثانياً: اللهجات الشاذة «المذمومة»

يراد باللهجات المذمومة هي الظواهر اللغوية الصوتية التي نقلت عن بعض العرب ولم تطرد في لغة الاستعمال كونها خرجت عن الأصل الموضوع لها في النطق. وقد عرفت هذه اللهجات بمجموعة من المصطلحات اللغوية التي عرف بالألقاب اللهجية وقيل إن أقدم خبر في تلقيب اللهجات العربية القديمة هو، ما رواه الجاحظ في كتابه «البيان والتبيين» من أن رجلاً جُرْمياً - لم تذكر المصادر اسمه - كان في مجلس معاوية، حين قال معاوية:

«من أفصح الناس؟ فقام رجل من السباط، من عامة الناس فقال: هم قوم ارتفعوا عن «لخلخانية» الفرات، وتيامنوا عن «كسكسة» بكر، ليس لهم «غمغمة»

قضاة، ولا «طُطْمانية» حير.

فقال معاوية: من هم؟ قال الرجل: قومك يا أمير المؤمنين، قريش.

قال معاوية: بمن أنت؟ قال: من جرم. قال معاوية: وجرم، من فصحاء

الناس^(١)، وزادت بعض الروايات:

«تلتلة»	بهراء،	«تضجع»	قيس
«عجرفية»	ضبة	«كشكشة»	هوازن،
«عجعة»	قضاة		

ومن هذه العيوب اللهجية:

١- الاستنطاء:

الاستنطاء: هو جعل العين نونا، إذا جاورت الطاء في كلمة واحدة «اعطى»

انطى»، وقد روي أن هذا اللقب للهجة، سعد بن بكر، وهذيل والإزد، وقيس، والأنصار، واهل اليمن^(٢) فيقولون:

«أنطاك، وانطاني، وانطني» في: «أعطاك، وأعطاني، واعطني». وقرء شاذاً قوله

تعالى: ﴿إِنَّا أَنْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ الكوثر: ١.

وفي كتاب رسول الله ﷺ إلى وائل قال: «وأنطوا الشجة»^(٣) أي: اعطوا الوسط

في الصدقة لا من خيار المال ولا من رذالته^(٤).

وفي الحديث: «إن مال الله مؤول ومنطى» ومثله أيضا «اليد المنطية خير من اليد

الاسفلى»^(٥).

وما جاء من الشعر في هذه الظاهرة قولاً للأعشى:

١. البيان والتبين: ٢١٢: ٣-٢١٣.

٢. يُنظَرُ: المزمهر: ٢٢٢: ١.

٣. الكشاف: ٤: ٨٠٦.

٤. يُنظَرُ: لسان العرب: ٢: ٢٢٠.

٥. المصدر نفسه: ١٥: ٣٣٢.

جِإذُكْ فِي الصَّيْفِ فِي نَعْمَةٍ تُصَانُ الْجَلَالَ وَتَنْطَى الشَّعِيرَا^(١)
وروي عن ثعلب انه قال:

من المنطياتِ المواكبِ المعجِ بعدما يُرى في فُرُوعِ المقلتينِ نُصُوبُ^(٢)
وقيل ان الوضع العام في اللغة العربية يدل على ان الفعل «أنطى» الصيغة المعداة
بالهمزة من الفعل «نطى» وهو الفعل الأقدم الذي استبدل به في الشرق الفعل
«عطى» الذي صار مرادفا لفعل «نطى» وقد كان «فوللرز» أول من افترض
أن «اعطى» العربي يناظر «ناط» في العبرية، وقد استغرقت الصيغة الجديدة بعض
الوقت حتى شاعت في المناطق الغربية^(٣).

٢- التضعج:

التضعج: لغة القعود عن الأمر والتقصير فيه^(٤) والإضجاع في باب الحركات مثل
الإمالة والحفض^(٥) ولعل المراد بالتضعج هنا، التباطؤ في الكلام، والتعقر فيه. وعرف
هذا اللقب في لهجة قيس، فروي القول: وتضعج قيس^(٦). ولعله ما يعرف اليوم، بمد
الصوت المجرد من لفظ الحروف بين الكلمات، وكأن المتحدث بعد كل كلمة يمد
صوته «بألف، أو واو» حتى يستجمع الكلمات التالية، ويتذكرها، وقد عرفت هذه
الظاهرة بالتراخي الصوتي^(٧).

٣- التلتلة:

هي كسر حرف المضارع، وقد عرفت بها قبيلة بهراء، من ذلك قولهم: «أنا إعلم،

١. يُنْظَرُ: الشاهد على غير هذه الرواية في ديوان الاعشى: ١: ١٣٥.

٢. يُنْظَرُ: لسان العرب: ١٥: ٣٣٣.

٣. يُنْظَرُ: اللهجات العربية الغربية القديمة: ٧١-٧٢.

٤. يُنْظَرُ: لسان العرب: ٨: ٢٢٠.

٥. المصدر نفسه

٦. يُنْظَرُ: الخصائص: ١١: ٢.

٧. يُنْظَرُ: اللهجات العربية الغربية القديمة: ١٨٩.

وَأَنْتِ تَعْلَمُ، وَنَحْنُ نَعْلَمُ»^(١)

قال سيويوه: «هذا بابٌ ما تُكسّرُ فيه أوائلُ الأفعالِ المضارعةِ للأسماءِ كما كَسَرَتْ ثانيَ الحرفِ حينَ قلتَ فَعَلْ، وذلكَ في لغةِ جميعِ العربِ إلّا أهلَ الحجازِ، وذلكَ قولُهُم: أَنْتِ تَعْلَمُ ذاكِ، وَأَنَا عِلْمُ، وَهِيَ تَعْلَمُ، وَنَحْنُ نَعْلَمُ ذاكِ»^(٢).

قد تَعْلَمُ الخيلُ أياماً تُطاعنُها من أي شنشنة أ أنت ابن منصور
إذ نسبت هذه الظاهرة إلى قبيلة قيس وتيم واسد وربيعه.

وقال الرضيُّ في شرح الشافية: «إنَّ جميعَ العربِ إلّا أهلَ الحجازِ يمجّزونَ كَسَرَ- حرفِ المضارعةِ سوى الياءِ في الثلاثيِّ المبنيِّ للفاعلِ، إذا كانَ الماضيَ على فِعَلٍ بكسِرِ- العينِ... وكذا في المثالِ والأجوفِ الناقصِ والمضاعفِ، نحو إيجَلٌ وإِخَالٌ»^(٣).

فغربت بعدكم بعيش ناصب وإخال اني لاحق مستتبع
وإشقى وإعص، والكسرة في همزة «إخال» وحدة أكثر وأفصح من الفتح»^(٤)،
وعلّل سببَ الكسْرِ في الأحرِفِ المضارعةِ بأنّها كُسرَتْ تشبيهاً لكسْرِ عينِ الماضي، ولم يكسِرِ الفاءَ لهذا المعنى لأنَّ أصلَه في المضارعِ السكونُ، ولم يكسِرِ العينَ لثلاثاً يلتبسَ «يَفْعَلُ» المفتوحُ و«يَفْعَلُ» المكسورُ فلم يبقَ إلّا كسْرُ حروفِ المضارعةِ، ولم يكسِرِ-وا الياءَ استثنائاً، إلّا إذا كانَ الفاءُ واواً نحو: «ييجَلُ» لاستثناهم الواو التي بعد الياءِ المفتوحةِ وكرهوا قلبَ الواوِ ياءً من غيرِ كسْرِ ما قبلها^(٥)، ويرى أحدُ الباحثين أنَّ الفتحَ في أحرِفِ المضارعةِ حادثٌ في اللغةِ العربيةِ القديمةِ، بدليلِ عدمِ وجودِهِ في

١. يُنظَرُ: مجالس ثعلب: ١: ٨١.

٢. الكتاب: ٤: ١١٠، ويُنظَرُ: ٤: ١١١-١١٣.

٣. ((إن الفعل (إخال) المشهور فيه كسر همزة المتكلم، ولكن بني أسد كانوا ينطقونها مفتوحة... يُنظَرُ: في اللهجات العربية: ٨٨، يُنظَرُ: اللهجات العربية في التراث: ١: ٣٨٨.

٣. شرح الشافية: ١: ٩٩.

٤. شرح الشافية: ١: ٩٩.

٥. يُنظَرُ: شرح الشافية: ١: ٩٩، الأدب الجاهلي بين لهجات القبائل و اللغة الموحدة: ١٥٥

اللغات السامية الأخرى، ووجود ظاهرة الكسر في اللغات السامية كالعبرية والسرانية والحبشية، فضلاً عما بقي من الكسر في بعض اللهجات العربية القديمة^(١)، ويرى الدكتور المطلي أن لهجة تميم «كانت تفتح مع حرف المضارعة حين يكون الحرف «ياء» وتُكسر في مواضع مما يقودنا - والتعبير له - إلى الاستنتاج بأنها تمثل مرحلة وسطى بين الكسر - الذي وجد في اللغات السامية القديمة في أحرف المضارعة - وبين الفتح الذي استقرت عليه عربية القرآن ولهجة أهل الحجاز^(٢)». إن اختيار فتح أحرف المضارعة له ما يبرره إذا علمنا أن حركة عين المضارعة تتمثل بثلاث حركات «فتحة - كسرة - ضمة»، إذ نجد أن الانتقال في النطق من كسر - الذي هو في أدنى اللسان - إلى فتح، والفتح أدخل إلى الفم من الكسر، والارتداد من الكسر إلى الفتح فيه من الصعوبة والجهد العضلي، فضلاً عن الضمة التي هي أبعد ما تكون عليه من الكسرة، لذلك اختير الفتح في الأحرف المضارعة ليتناسب من حيث الأداء والميل إلى الاقتصاد في المجهود مع الكسرة والضمة في عين الأفعال المضارعة للأسماء.

٤- الشنينة:

في لغة اليمن تجعل الكاف شينا مطلقا كلبيش اللهم ليش أي لبيك، ومن العرب من يجعل الكاف جيما كالجعبة يريد الكعبة. وقيل هذه الظاهرة موجود في قبيلة تغلب الذين يشننون^(٣) وقيل ان أهل حضرموت ما يزالون يشننون في بعض مقولاتهم «عَليش» بدلا من «عليك»^(٤)، وبعضهم جعل مصطلح الفشفشة مقابلا لمصطلح الشنينة لان الفشفشة هي الأخرى قلب الكاف شينا التي نسبت إلى بعض قبائل اليمن «شحر» و«عمان»^(٥)

١. فصول في فقه اللغة: ١٠٦.

٢. لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة: ١٣٦، ويُنظر: دراسات وتعليقات في اللغة: ٧٨.

٣. يُنظر: المزمهر: ١: ٢٢٢، والعقد الفريد: ٤٧٥: ٢.

٤. يُنظر: اللهجات العربية الغربية القديمة: ٩٧-٩٨.

٥. يُنظر: محاضرات في فقه اللغة: ١٢٣.

٥- الطمطمانية:

لغة هي العُجْمَة لان الطمطماني و الطمطم و الطمطمى و الطمطم هو الأعجم^(١)، و الطمطمانية: هي إبدال اللام في «ال» ميما، ولم تنزل هذه اللهجة منتشرة، متداولة إلى يومنا هذا، وبكثرة، وعلى نطاق واسع، وتنسب الطمطمانية إلى قبائل منها: «طي، والإزد، وحمير، ودوس وقبائل جنوب جزيرة العرب، وبعض قبائل اليمن»^(٢) فهم يقولون:

« طاب امهواء، وصفا امجو» يريدون طاب الهواء، وصفا الجو.

وقد روي عن بجير بن عنمة الطائي - احد بني بولان - قوله:

ذاك خليلي وذو يعاتبني يرمي ورائي بامسهم وامسلمة^(٣)

وروي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، أن رجلا من أهل اليمن سأله: «هل من امبر امصيام في

امسفر؟»، فرد عليه (صلى الله عليه وآله وسلم): «ليس من امبر امصوم في امسفر»^(٤)

وروي عن الرسول الكريم أيضا قوله: «من زنى من امبكر فاصقعوه مئة»^(٥)

ويرى بعض الباحثين في تحليلهم لهذه الظاهرة ان الأصوات المائعة «اللام والميم

والنون والراء» ومعروف أنه في كل اللغات العروبية يغير احد الصوتين المائعين

الموجودين في كلمة ما مخرجه^(٦).

١. يُنظَر: لسان العرب: ١٢: ٣٧١.

٢. يُنظَر: فقه اللغة وسر العربية: ١٢٧. و مجالس ثعلب: ١: ٥٨.

٣. يُنظَر: مغني اللبيب: ١: ٤٨.

٤. يُنظَر: سر صناعة الاعراب: ١: ٤٢٣.

٥. يُنظَر: لسان العرب: ٨: ٢٠١.

٦. يُنظَر: محاضرات في فقه اللغة: ٩٢.

٦- العججة:

العججة لغة هي رفع الصوت قيل: عَجَّ يعج عجا، وضج ضجا رفع صوته وصاح بالدعاء والاستغاثة^(١)
وهي قلب «الياء المشددة» في آخر الكلمة «جيمًا»، وتنسب العججة إلى قبيلة قضاة^(٢)، فيقولون:

«الراعج خرج معج» يريدون قول: الراعي خرج معي. وأنشدوا لبعضهم رجزا فقالوا:

خـــــــــــــــــالي عويــــــــــــــــق وأبــــــــــــــــو علــــــــــــــــج
لمطــــــــــــــــعمان اللــــــــــــــــحم بالعشــــــــــــــــج
وبالغــــــــــــــــداة فلــــــــــــــــق البرنــــــــــــــــج^(٣).

وقد أرادوا بذلك: أبو علي، والعشي: الليل، والبرني.
ويقول سيبويه: «واما ناس من بني سعد فانهم يدلون «الجيم» مكان «الياء» في الوقف لأنها خفية فابدلوا من موضعها بين الحروف وذلك قولهم: هذا تميمج يريدون: تميمي ..»^(٤).

وقال أبو عمر بن العلاء: قلت لرجل من بني حنظلة: ممن أنت؟ فقال: فقيمج. قلت: من أيهم؟ قال: مُرج، يريد: «فقيمي» و«مري» وأنشد لهميان بن قحافة السعدي من الرجز:

يــــــــــــــــطــــــــــــــــير عــــــــــــــــنها الــــــــــــــــوــــــــــــــــبــــــــــــــــر الصــــــــــــــــها بــــــــــــــــجا

١. يُنظَر: لسان العرب: ٢: ٣١٨.

٢. يُنظَر: المزمهر: ١: ٢٢، والاقتراح: ١٢٨.

٣. يُنظَر: الكتاب: ٤: ١٨٢، وسر صناعة الاعراب: ١: ١٧٦.

٤. الكتاب: ٤: ١٨٢.

يريد الصهابي^(١).

وقد قيد اللغويون هذه الظاهرة بشرطين هما الياء المشددة والوقف، ومتى خرجت الظاهرة عن هذين الشرطين عدوها شاذة.

٧-العننة:

ظاهرة صوتية تتلخص بقلب «الهمزة» «عينا» في أوائل «أن»، وتنسب العننة إلى تميم، وقيس، وأسد، وبعض أهل اليمن، فيقولون «عن» بدل عن «أن» من الشواهد، قول الشاعر ذي الرمة:

ععن ترسّمت من خرقاء منزلة ماء الصبابة من عينيك مسجوم

يريد بذلك: «أن ترسّمت»^(٢).

وروي أيضا للشاعر: جران العود قوله:

فما ابن حتى قلت: ياليت عنّا تراب وعنّ الأرض بالناس تخسف

يريد في «عنّا»: أننا، وفي «وعنّ»: وأنّ^(٣).

ان التبريد الصوتي لهذه الظاهرة هو ان صوتي العين والهمزة من أصوات الحلق ومخرجهما من اقصاه، وقيل فحيث وقعت العين وقعت الهمزة مكانها وفي ذلك نوع من المبالغة في النبر أي تحقيق الهمز إذ يقول بعضهم «عائى المال» و«خاسعين» و«عامنوا» و«متكعون»^(٤).

١. يُنظَر: سر صناعة الاعراب: ١٧٦: ١.

٢. يُنظَر: الصاحبي في فقه اللغة: ٥٣.

٣. يُنظَر: سر صناعة الاعراب: ٢٣٦: ١.

٤. يُنظَر: كتاب العين: ١: ٥٢ ومحاضرات في فقه اللغة: ٩٥.

٨- الفحفة:

الفحفة: هي قلب حرف «الحاء» «عينا»، وهذا لقب لهجة هذيل، فيقولون في حَتَّى: «عتى» ويبدو ان سبب هذا القلب صوتي كونها من أصوات الحلق والعين انصع من الحاء كونه صوتا مجهورا والحاء صوتا مهموسا^(١).

وقد روي: أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) سمع رجلا من هذيل يقرأ قول الله تعالى «ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَ جُنَّةً حَتَّى حِينٍ». يوسف: ٣٥ بفحفة هذيل:

«عتى عين» فقال للهذلي: من أقرأك هذا؟ قال الهذلي: ابن مسعود. فكتب إليه، فقال: «إن الله تعالى أنزل القرآن بلغة قريش، وجعله عربيا، فأقربى الناس بلغة قريش، ولا تقرئهم بلغة هذيل، والسلام»^(٢). ومثله قوله تعالى: «فتربصو به حتى حين» المؤمنون: ٢٥.

وقال ابن جنى العرب تبدل احد هذين الحرفين من صاحبه لتقاربهما من الخرج كقولهم «بحثر» ما في القبور، أي بعثر و«ضبعت الخيل» أي ضبحت، فعلى هذا يكون «عتى» و«حتى» في الكلام عينه لكن الأخذ بالأكثر استعمالا وهو «حتى» اما الآخر فجائز وغير خطأ^(٣).

٩- الكسكة:

من الظواهر الصوتية التي لم يتفق اللغويون على تحديدها هل هي في السين من الكاف ام في الشين فقليل هي إضافة حرف «السين» بعد «كاف المخاطبة» في الوقف أو في الوصل أو قلب الكاف المؤنث سينا، وهي في لهجة «تميم، ربيعة، ومضر، وبكر، وهوازن». فيقولون: السلام «عليكس» أي عليك وممرت «بِكِس» أي بك،

١. يُنظَر: كتاب العين: ١٠٥٢، والمزهر: ٢٢٢: ١.

٢. يُنظَر: سر صناعة الاعراب: ١٠٢٤١، والخصائص: ١٠٨٥، الإبدال لابي الطيب اللغوي: ٢٩٥: ١.

٣. يُنظَر: المحتسب: ٣٤٣: ١.

وقال عنها سيبويه بانها الحاق الكاف المؤنثة سينا في الوقف دون الوصل قال: «واعلم ان ناسا من العرب يلحقون الكاف السين ليينوا كسرة التأنيث، وإنما الحقوا لأنها قد لا تكون من حروف الزيادة في استفعل وذلك أعطيتكس، واكرمتكس، فاذا وصلوا يجيئون بها لان الكسرة ايين»^(١).

١٠- الكشكشة:

عن الخليل بن احمد هي لغة ربيعة يقولون: عليكش و إيكش، بزيادة شين بعد كاف المؤنث واستشهد على ذلك بقول رؤبة من الرجز:

تضحك مني أن رأتنني احترش
ولو حرشيت لكشفت عن حرش
عن واسع يغرق فيه القنقرش^(٢)

وقيل هي قلب الكاف سينا في آخر الكلمة، وهذا ما نقله سيبويه قال «فاما كثير من تميم وناس من اسد فانهم يجعلون مكان الكاف للمؤنث الشين وذلك قولهم: انش ذاهبة، ومالش ذاهبة، تريد: إنك ذاهبة، ومالك ذاهبة»^(٣) وقد نسبت الكشكشة إلى أهل اليمن، وحكي عن بعض أهل اليمن، وهو يلبي يوم عرفة، قائلا:

وقيل هي لغة وليست لهجة كما يقال ولقد كانت هذه لغة بني تميم حيث إنهم كانوا يكشكشون بمعنى يوشوشون ولذلك نزل عليهم القرآن بلغتهم لغة بني تميم وهي إحدى القراءات العشر في القرآن، ومن الآيات التي نزلت على لغتهم قوله تعالى في سورة مريم:

﴿وَهَزِيْ اِلَيْسِ بِجِدْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَیْهِ رُطْبًا جَنِيًّا﴾

١. الكتاب: ١٩٩: ٤.

٢. يُنظَر: العين: ٢٦٩: ٥.

٣. الكتاب: ١٩٩: ٤.

واستخدمت الشين بدلا من الكاف، وهذه القراءة متعارف عليها عند أهل القرآن، وأنشدوا من قول مجنون ليلي:

فعيناش عيناها ولونش لونها ولكن عظم الساق منش دقيق^(١)

وقد قيد اللغويون هذه الظاهرة بكاف المؤنث، ولكن نقل الينا بعض المصادر قايها في غير ذلك، إذ قال ابن جني: وقرأت على أبي بكر محمد بن الحسن عن أبي العباس احمد بن يحيى لبعضهم:

عـلـيَّ فـيـمـا اـبـتـغـيـ اـبـغـيـش
بـيـضـاء تـرـضـيـني و لا تـرـضـيـش
و تـطـيـب و دّ بـنـي اـبـيـش
إـذا دـنـوتُ جـعـلـتُ تـنـئـيـش
وإن نأيتُ جـعـلـتُ تـدـنـيـش
وإن تكلمت حثت في فـيـش
حـتـى تـنـقـي كـنـقـيـق الـسـدـيـش^(٢)

فقد جعل مكان الكاف شينا في لفظ «الديك».

ولعل هذا الإبدال أو الإلحاق مرده إلى ان أصوات اقصى الحنك «الكاف والجيم» الخالية من التعطيش تميل بمخرجها إلى نظائرها من أصوات أمامية حين يليها أمامي كالكسر، لان صوت اللين في مثل هذه الحال يجتذب إلى الإمام قليلا أصوات اقصى-الحنك، فتقلب إلى نظائرها من أصوات وسط الحنك «كصوت الشين»^(٣)

١. يُنظَر: سر صناعة الاعراب: ١: ٢٠٦.

٢. المصدر نفسه: ١: ٢٠٧.

٣. يُنظَر: في اللهجات العربية: ١٢٣.

١١- الوتة:

هو قلب «السين» في أواخر الكلمات «تاء»، ونسبت هذه الظاهرة إلى «قضاة» أو إلى بعض العرب فيقولون:

«النات، والأكيات» يريدون قول: الناس، والأكياس، ومن شواهد ذلك قول شاعرهم: علباء بن أرقم:

يـا قـبـح الله بنـي السـعـلـات
عـمـر و بـن يـر بـوع شـرار النـات
لـيـس و أـعـفـاء و لا أـكـيـات^(١)

يريدون بـ «شرار النات: شرار النَّاس، ويريدون بـ «ولا اكيات»: ولا أكياس، وقرأ بعضهم «قل أعوذ برب الناس» «قل أعوذ برب النات» بدل الناس.^(٢)

١٢_ الوكع:

هو كسر الكاف من ضمير المخاطبين «كم» اذا سبق بكسر أو ياء في لغة ربيعة وبكر بن وائل إذ يقولون: بكم وعليكم.

وقد قال سيبويه: «قال ناس من بكر ابن وائل: «من أحلامكم» و «بكم» شبهها بالهاء لأنها علم إضمار وقد وقعت بعد الكسرة فاتبع الكسرة الكسرة، حيث كانت حرف إضمار وكان أخف عليهم من أن يضما بعد أن يكسر»^(٣) وقد سجّل سيبويه سماعاً من أهل هذه اللغة من نقل عن الحطيئة جرول بن أوس بن مالك بن حويّة بن مخزوم بن مالك من غطفان^(٤)، وقيل من هذيل^(٥):

١. يُنظَر: سر صناعة الاعراب: ١٥٥: ١.

٢. يُنظَر: مختصر شواذ القرآن لابن خالويه: ١٧٣.

٣. الكتاب: ٤: ١٩٧.

٤. الأغاني: ٢: ١٤٩-١٩٤، الأعلام: ٢: ١١٨، خزنة الأدب: ٢: ٤٠٦، شواهد الشعر في كتاب

سيبويه: ٢٨٥.

٥. جمهرة أنساب العرب: ١٩٧.

وان قال مولاهم على جل حادث من الدهر ردوا فضل احلامكم ردوا^(١)
وقد عرفت هذه الظاهرة فيما بعد - أي بعد تأليف الكتاب - بالوكم^(٢)، ووُصِفَتْ
بأنها لغة رديئة جداً^(٣) وذهب المبرد إلى أنها غلطٌ منهم فاحش^(٤).

١٢_ الوهم:

هو كسر «الهاء» من ضمير الغائبين «هم» وإن لم يكن قبل الهاء ياء أو كسرة وذلك
قولهم: منهم وعنهم وبينهم وإن لم يكن قبل الهاء ياء ولا كسرة.
قال سيويو: «وعلم أن قوماً من ربيعة يقول: مِنْهُمْ أتبعوها الكسرة، ولم يكن
المسكنُ حاجزاً حصيناً عندهم»^(٥).

ويُطْلَعُنا القراءُ في معاني القرآنِ على لغتينِ في الهاءِ التي هي ضميرُ الغائبين، ويرى
لكلِّ لغةٍ مذهباً في العربية، إذ يقول: «فأما من رفع الهاءَ فإنه يقولُ أصلُها رفعٌ في
نصبِها وخفضِها ورفعِها، فأما الرفعُ فقولُهُم «هُم قالوا ذاك» في الابتداء، ألا ترى أنها
مرفوعةٌ، ولا يجوزُ فتحُها ولا كسرُها، فتركتُ في «عليهم» على جَهِتِها الأولى وأما من
قالَ «عليهم» فإنه استثقلَ الضمةَ في الهاءِ وقبلها ياءٌ ساكنةٌ، فقال: «عليهم» لكثرةِ
دورِ المُكْنَى في الكلامِ، وكذلك يفعلونَ بها إذا اتصلتْ بحرفٍ مكسورٍ مثل «بهم» و
«بهم» يجوزُ فيه الوجهانِ مع الكسرةِ والياءِ الساكنةِ^(٦)، أما إذا كان المسكنُ غيرَ الياءِ
نحو «من، وعن» فالساكنُ حاجزٌ غيرُ حصينٍ من تأثرِ الهاءِ بالصوتِ المكسورِ قبلَ

١. الكتاب: ١٩٧: ٤، المقتضب: ١: ٢٧٠.

٢. يُنظَر: الاقتراح: ١١٣.

٣. يُنظَر: الكتاب: ١٩٧: ٤.

٤. يُنظَر: المقتضب: ٢٦٩: ١-٢٧٠.

٥. الكتاب: ١٩٦: ٤.

٦. معاني القرآن: ١: ١٢، المقتضب: ١: ٣٧، ويُنظَر: إعراب القرآن للنحاس: ١: ٢١، الحجة في القراءات

السبع: ٢١، والتيسير في القراءات السبع: ٢٧، شرح التسهيل لابن مالك: ١: ١٤٤.

ذلك الساكن، وقد سُمِّيَتْ هذه الظاهرة «بالوهم»^(١) وقيل هي مطرّدةٌ في كلِّ حالاتِ هذا الضمير^(٢) - عند أناسٍ من ربيعة - سواءً سبقَ بكسرٍ أم بياءٍ أم لم يسبق، إلا أننا عدّمنا هذا القولَ في الكتابِ ولم يشرْ إليه سيبويه عندما وصفَ هذه الظاهرة.

١٤_ اللخاينية:

تعرض في لغة أعراب الشحر وعمان، وهي قولهم: مشا الله كان، يريدون ما شاء الله كان^(٣).

١٥_ الغمغمة:

لقد ورد هذا اللقب في قصة الجرمي أمام معاوية عندما قام مادحا «ليس فيهم غَمَغْمَةٌ قُضَاعَةٌ» الغمغمة والتغمغم كلام غير بيّن^(٤).

١٥_ الرثة:

هي تعذر الرجل اذا أراد الكلام أو هي عجلة في الكلام مع قلة الأناة فيه، أو هي عيب في النطق، كقلب «الراء» «غين» أو قلب «اللام» «ياء»، ونحو ذلك من العيوب النطقية التي تلحق لغة المستعربين. وقد نسبت هذه اللهجة إلى أهل العراق^(٥).

١٦- القُطعة:

هي نوع من الرخيم، أو الميل الشديد لتقصير الكلمات عند النداء، وقيل هي منسوبة إلى طيء كالعنعنة في تميم، إذ يقولون: يا أبا الحكا، وهم يريدون: يا أبا الحكم، فيقطع الكلام عن إبانة بقية الكلمة. وهذا يعني أن القطعة نوع من ترخيم اللفظ^(٦).

١. يُنظَر: المزهري: ١: ١٢٢.

٢. يُنظَر: محاضرات في فقه اللغة: ١٣٥.

٣. يُنظَر: فقه اللغة وسر العربية: ١٢٧.

٤. يُنظَر: جمهرة اللغة: ٢١٧: ١.

٥. يُنظَر: فقه اللغة وسر العربية: ١٢٥-١٢٧.

٦. يُنظَر: العين: ١: ١٣٧.

١٧- العجرفة:

العجرفة لغة: هي الجفوة في الكلام، والخرق في العمل^(١) وفي الاصطلاح اللغوي هي التعر في الكلام وتنسب إلى قبيلة ضبة^(٢).
فهذه بعض الظواهر اللهجية التي عرفت باللهجات المذمومة أو الشاذة، قدمنا بعضها كونه انحرافا لغويا تنبه له مستعملو اللغة وراحوا يرفعون عن استعماله، وبعضها مازال مستعملا إلى يومنا هذا كالكشكشة والعجعة لكن في بيئات محددة.

١. لسان العرب: ٩: ٢٣٤.

٢. يُنظَر: مجالس ثعلب: ١: ٨١.

الفصل التاسع

مظاهر التطور اللغوي

ثمة عوامل لها دور في إثراء اللغة العربية واتساعها على ما سواها من اللغات، وقد عدَّ بعض منها من وسائل إثراء اللغة، وقد حدد القدماء تلك العوامل بالمظاهر اللغوية الآتية:

١. المجاز
٢. الترادف
٣. المشترك اللفظي والأضداد
٤. الاشتقاق
٥. المعرب والدخيل

أولاً: الاستعمال المجازي للغة

يعد المجاز وسيلة من وسائل إثراء اللغة، إذ تكلم القدماء عن قيمته واثره في تنمية اللغة العربية وبيان دوره المتجلي في الاتساع، وذكروا ان الأمور التي تدعوهم إلى اللجوء إلى المجاز الاتساع، وقيل: إنما يقع المجاز ويعدل اليه عن الحقيقة لمعان ثلاثة وهي الاتساع والتوكيد والتشبيه^(١) ومثلوا لذلك بقول رسول الله ﷺ «في الفرس» (هو البحر) فيتجلى الاتساع في انه زاد في أسماء الفرس البحر، فيستعمل هذا اللفظ استعمال بقيه أسماء الفرس ولكن بشرط القرينة^(٢). أما المحدثون فقد اتفقوا

١. الخصائص: ٤٤٢: ٢.

٢. ينظر المجاز اللغوي واثره في إثراء اللغة العربية: ١٠١.

على دور المجاز في إثراء اللغة ولكنهم اختلفوا في بيان مكانته بين وسائل إثراء اللغة، إذ عدَّ عند بعضهم مظهراً من مظاهر التطور الدلالي^(١). وبناء على ما تقدم لننظر ما قيل في حد المجاز اللغوي وبيان أصله اللغوي.

يبدو أن المعنى الاصطلاحي لحقيقة المجاز مستمد من الأصل اللغوي، فلقد نقل ابن منظور^(٢) (ت: ٧١١هـ) قول اللغويين: «جزت الطريق، وجاز الموضع جوازا ومجازا: سار فيه وسلكه، وجاوزت الموضع بمعنى جزته، والمجاز والمجازة الموضع»^(٣).

وكان عبد القاهر الجرجاني^(٤) (ت: ٤٧١هـ) قد كشف العلاقة بين اللغة والاصطلاح في اشتقاق لفظ المجاز، فالمجاز عنده: «مفعل من جاز الشيء يجوزه إذا تعداه، وإذا عدل باللفظ عما توجه به أصل اللغة، وصف بأنه مجاز على معنى أنهم جازوا به موضعه الأصلي، أو جاز هو مكان الذي وضع به أولاً»^(٥).

وهو لا يكتفي بذلك حتى يحدد العلاقة بين الأصل والفرع في عملية العدول عن أصل اللغة، أو النقل الذي يثبت إرادة المجاز لهذا اللفظ أو ذاك دون الاستعمال الحقيقي فيقول: «ثم أعلم بعد: إن في إطلاق المجاز على اللفظ المنقول عن أصله شرطاً؛ وهو أن الاسم يقع لما تقول أنه مجاز فيه بسبب بينه وبين الذي تجعله فيه»^(٦).

ويراد بذلك المناسبة بين المعاني المنقولة والألفاظ التي جيء بها لها مع معناها الوضعي أي لا بد من شرط ملاحظة الأصل عند نقله إلى معناه الجديد، إذ يشترط أن تكون هناك علاقة كالتسببية في استخدام اليد مثلاً بمعنى النعمة لأنها سبب لها، أو كتسمية الاعتدال غصنا، والقوام باناً، والحلم طوداً، لافتراع الغصن استقامة، ورشاقة البان طولاً، ورسوخ الطود ثباتاً. فجاء النقل متساوقاً في مناسبته مع المعاني

١. ينظر دلالة الألفاظ: ١٢٤.

٢. ابن منظور، لسان العرب، مادة: جاز.

٣. عبد القاهر، أسرار البلاغة: ٣٦٥.

٤. المصدر نفسه: ٣٦٥.

الجديدة دون النبو عنها في شيء^(١).

ويؤكد عبد القاهر هذه المناسبة القائمة بين اللغة والاصطلاح في اشتقاق المجاز، متناولا قضية الوضع الحقيقي، وتجاوزه إلى المعنى الثانوي المستجد في المجاز، فيقول: «وأما المجاز فكل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها ملاحظة بين الثاني والأول، فهي مجاز، وإن شئت قلت:

كل كلمة جرت بها. ما وقعت له في وضع الواضع إلى ما لم توضع له من غير أن تستأنف فيها وضعا ملاحظة بين ما تجوز إليه وبين أصلها الذي وضعت له في وضع واضعها، فهي مجاز»^(٢).

ويقول أبو يعقوب السكاكي «ت: ٦٢٦ هـ»: «المجاز هنا هو الكلمة المستعملة في غير ما هي موضوعة له بالتحقيق استعمالا في الغير بالنسبة إلى نوع حقيقتها مع قرينة مانعة عن إرادة معناه في ذلك النوع»^(٣).

والمراد من ذلك هم مراقبة وتحديد الكلمة التي تتخطى حدودها بمرورها والاستعمالية من موقع إلى موقع، ويتجاوز اللفظ محله من معنى إلى معنى، مع إرادة المعنى الجديد بقرينة تدل على ذلك؛ فيكون أصل الوضع باقيا على معناه اللغوي، والنقل إضافة لغوية جديدة في معنى جديد، وبهذا يبدو لنا أن المجاز يتضمن عملية تطوير لدلالة اللفظ المنقول المعنى، وتحمله المعنى المستحدث بما لا يستوعبه اللفظ نفسه لو ترك وأصل وضعه الحقيقي^(٤).

وكان التحرر من الضيق اللفظي، والاتساع في رحاب اللغة، أساس هذا الاستعمال، فرارا من الجمود. وعلى هذا فالمجاز حدث لغوي فضلا عن كونه عنصرا بلاغيا نابضا بالاستنارة والعطاء، هذا الحدث يفسر لنا تطور اللغة العربية الفصحى

١. ينظر مجاز القرآن خصائصه الفنية وبلاغته العربية: ٥٩.

٢. أسرار البلاغة: ٣٢٥.

٣. مفتاح العلوم: ١٧٠.

٤. ينظر أصول البيان العربي: ٣٥.

بتطور دلالة ألفاظها على المعاني الجديدة، والمعاني الجديدة في عملية ابتداعها لا يمكن إدراكها إلا بالتعبير عنها، والتصوير اللفظي لها، وذلك لا يتحدد بزمن أو بيئة أو إقليم، وإنما هو متسع للعربية في أعصارها وأدوارها^(١).

ويتبين مما سبق أن للمجاز دورا هاما في إثراء اللغة، ولهذا الدور وجهان:
الأول: أن له دورا أساسيا في ثرائها، والثاني: ان له دورا في إيجاد وسيلتين غيره من وسائل الإثراء هما (الترادف والمشارك اللفظي) لان الألفاظ يمكن إضافتها والانتقال بها من الخاص إلى العام كما هو حال الصفات في الترادف.

ثانيا: الترادف في اللغة العربية

إن الترادف في اللغة هو امر طبيعيّ الوجود كونه مظهرا من مظاهر تطورها ونمو مفرداتها، فضلا عن حاجة الناس له في مقتضيات العملية التواصلية والفهم لها. فكان من الطبيعي أن نجد ألفاظاً كثيرة لتفسير المعنى الواحد حتى وإن بدت بعض معاني هذه الألفاظ المترادفة بهيئة صفات فيما بعد، وتمثلت بالألفاظ عدت كثرتها من الدواهي^(٢).

فالترادف إذن، هو التعبير عن الشيء الواحد بلفظين مختلفين أو اكثر. وأول من أشار إلى هذا المصطلح سيويوه حينما قسم علاقة الألفاظ بالمعاني على ثلاثة أقسام^(٣).

١. اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، وهذا امر طبيعي الوجود في اللغة كقولنا: فرس، شجر، بيت، رجل.....

٢.. اتفاق اللفظين واختلاف المعنى، نحو الجون الأبيض، والجون الأسود

٣. اختلاف اللفظين والمعنى واحد نحو: الناس والأنام، والذئب والسيد، وذهب

١. ينظر مجاز القرآن خصائصه الفنيّة وبلاغته العربيّة: ٦٠-١٦

٢. ينظر الصاحبي: ٦٥-٦٦، دراسات في فقه اللغة: صبحي الصالح: ٢٩٤.

٣. ينظر الكتاب: ٧:١-٨.

ومضى..

فهو التوسع باللفظ على حساب المعنى، أو اختلاف اللفظ واتفاق معناه. أو الألفاظ المترادفة والمتقاربة في المعنى.

وبدأ جمع تلك الألفاظ والاهتمام بها منذ شرع اللغويون الأوائل في جمع اللغة والنظر في ألفاظ القرآن الكريم وتفسيرها، وكان العمل في بداية الأمر عملاً تقريبياً أي ان الجمع لا يعنى كثيراً بالتدقيق في تحري عن النوع من هذه الألفاظ، ولعل هذا ما قاد إلى توسيع دائرة المترادف فيما بعد.^(١) وقد بالغ بعض اللغويين في جمع بعض الألفاظ التي لا تمت للألفاظ المترادفة بصلة واصبح ذلك من قبل الألفاظ المفتعلة، على سبيل المثال كان الأصمعي عبد الملك بن قريب «٢١٦هـ» يفخر بأن يحفظ للحجر «سبعين» اسماً^(٢).

جامعوا الألفاظ المترادفة

نورد بعض من صنف وعُني بجمع المترادفات من القدماء والمحدثين:

١. أبو عبيد معمر بن المثنى «٢١٠هـ»، «أسماء الخيل» و«كتاب السيف»
٢. الأصمعي عبد الملك بن قريب «٢١٦هـ»، «أسماء الخمر» و«ما اختلف لفظه وتفق معناه».
٣. أبو حاتم، سهل بن محمد بن عثمان السجستاني «٢٥٥هـ»، «كتاب السيوف والرماح».
٤. أبو الفضل العباس بن الفرّج بن علي الرياشي «٢٥٧هـ»، «ما اختلفت أسماؤه من كلام العرب»
٥. أبو عبد الله الحسين بن احمد بن خالويه «٣٧٠هـ» «أسماء الأسد» و«أسماء الحية»

١. ينظر مدخل إلى فقه اللغة: ٢٩٤.

٢. ينظر: الزهر: ١: ٣٢٥.

٦. أبو الحسن الرماني «٣٨٤هـ»، «الألفاظ المترادفة والمتقاربة المعنى»
٧. أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري «٥٧٧هـ»، «قبسة الأريب في أسماء الذيب»
٨. أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي «٨١٧هـ»، «أسماء النكاح»
٩. السيوطي جلال الدين «٩١١هـ»، «الإفصاح في أسماء النكاح»
١٠. إبراهيم اليازجي «نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد»
١١. رفائيل نخله اليسوعي «قاموس المترادفات والمتجانسات»

الترادف بين الإثبات والإنكار:

لاشك ان ظاهرة الترادف في اللغة كأى من الظواهر اللغوية التي مسها الخلاف وكثر الجدل حولها ولعل هذا الأمر «اعني الخلاف في مسائل اللغة والنحوي والتصريف» مرتبط بالعقلية العربية اللغوية التي بنيت أساسا على الرفض تارة والتشكيك تارة أخرى، ثم تعود من حيث ما بدأت، لأننا أوجدنا الحجة على من انكر الترادف وهذا ما ورد على ألسنتهم من مقولات واللفاظ تشي تناقضهم، ولكي نكون اكثر دقة لنقف عند ابن الأعرابي «٢٣١هـ» الذي انكر الترادف في اللغة قال: «كلُّ حرفين أوقعتهما العرب على معنى واحد، في كل واحد منهما معنى ليس في صاحبه ربما عرفناه فأخبرنا به وربما غمض علينا فلم نلزم العرب جهله»^(١) ثم أوجدناه يفسر الشعر بالمعنى، ويستغرب لمن ينكر عليه ذلك، ويستشهد لمسلكه هذا بالقران والحديث، قال ابن جني «٢٩٩هـ»: «اخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن عن أبي

١. ينظر الأضداد لابن الانباري: ٧.

العباس احمد بن يحيى قال: انشدني ابن الأعرابي:

وموضع زبن لا أريد مبيته كأي به من شدة الروع أنس

فقال له شيخ من أصحابه: ليس هكذا انشتنا، إنما انشتنا: وموضع ضيق، فقال: سبحان الله! تصحبنا منذ كذا وكذا، ولا تعلم أن الزبن والضيق واحد وقال الله تعالى وهو اكرم قبلا: ((قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيما تدعوا فله الأسماء الحسنی)) الاسراء: ١١٠ وقال رسول الله (ص): (نزل القرآن على سبع لغات كلها شافٍ كافٍ) «^(١)».

فضلا عن ذلك وجدنا إقراره الفعلي للترادف في قوله عن العمامة «يقال للعمامة: هي العمامة، والمشوذ، السَّب، والمقطعة، والعصابة، والعصاب، والتاج، والمكورة»^(٢).

أما أبو العباس ثعلب «٢٩١هـ» وهو تلميذ ابن الأعرابي فيرى ان كل ما يظن من المترادفات إنما هو من المتباينات التي تتباين في الصفات، كالإنسان والبشر، فالأول موضوع له باعتبار النسيان أو انه يؤنس، والثاني باعتبار انه بادي البشرية^(٣). وعلى الرغم من ترسمه آثار شيخه في الإنكار إلا انه وقع فيما وقع فيه شيخه من ذكره للألفاظ بمعنى واحد، قال: «ثوبٌ خلق، وسمل، وشبارق، ومزق، وطرائق، وطرايد، ومشقز.....»^(٤).

أما أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري «٣٢٨هـ» فتابع ابن الأعرابي وتمسك بمذهبه، القائل بان الأسماء سميت لعلة ظاهرة كانت أم خفية، لان مكة عنده

١. الخصائص: ٤٦٩: ٢.

٢. المزهري: ٤١٠: ١.

٣. ينظر المصدر نفسه: ٤٠٣: ١.

٤. المصدر نفسه: ٤١١: ١.

سميت بهذا الاسم لجذب الناس إليها، والكوفة لازدحام الناس بها، والبصرة للحجارة البيضاء الرخوة فيها^(١)، وابن الأنباري لم يختلف عن سابقه في إقرارهم الفعلي للترادف حينما وقف عند تقسيم الألفاظ وأنواعها، قال: «..والضرب الآخر ان يقع اللفظان المختلفان على المعنى الواحد، كقولك: البُر والحنطة، والعيير والحمار، والذئب والسيد، وجلس وقعد، وذهب ومضى»^(٢).

أما ابن فارس «٣٩٥هـ» الذي انكر الترادف في اللغة وسلك مسلك سابقه من العلماء المنكرين، فقال: «ويسمى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة نحو السيف والمهند والحسام. والذي نقوله في هذا: إن الاسم واحد وهو السيف وما بعده من الألقاب والصفات ومذهبنا ان كل صفة منها فمعناها غير معنى الأخرى.....»^(٣) ومع إنكاره نجده يورد ألفاظاً مختلفة ثم يفسرها بمعنى واحد، نحو المعطس والمرسن والراعى للأنف، ونجده يفخر باتساع العربية على اللغات بقوله: «ومما لا يمكن نقله البتة أو صاف السيف والأسد والرمح، وغير ذلك من الأسماء المترادفة، ومعلوم ان العجم لا تعرف للأسد اسماً غير واحد، فأما نحن فنخرج له خمسين ومئة اسم»^(٤).

أما ابن درستويه «٣٤٧هـ» فقال: «محال ان يختلف اللفظان والمعنى واحد كما يظن كثير من اللغويين والنحويين وإنما سمعوا العرب تتكلم بذلك على طباعها وما في نفوسها من معانيها المختلفة وعلى ما جرت به عاداتها وتعارفها ولم يعرف السامعون لذلك العلة فيه والفرق فظنوا انها بمعنى واحد.....»^(٥).

نجد ابن درستويه لم يقف عند علة التسمية والفرق في اصل الوضع عند ابن

١. ينظر نص ابن الأنباري في الأضداد: ٧-٨.

٢. الأضداد: ٦-٧.

٣. الصحابي: ١١٤-١١٥.

٤. الصحابي: ٢١.

٥. المزهر: ٣٨٦: ١.

الأعرابي وتابعيه، بل زاد على ذلك حكمة الواضع، استناداً إلى ان اللغة توقيف، وان واضعها حكيم عليم ودليل ذلك قوله تعالى «وعلم ادم الأسماء كلها»، علماً ان الآية لا دليل فيها على توقيف اللغة^(١) والى جانب ذلك يرى ان القول بالترادف ينافي العقل والقياس، علماً ان اللغة والنظر في ظواهرها اللغوية لا تؤخذ بالمنطق العقلي والحكمة لان ذلك لا يصدق على كثير من الظواهر اللغوية كونها يتعارضان مع الواقع اللغوي^(٢) ويعتقد الأستاذ محمد نور الدين المنجد أن ابن درستويه وضع يده على أسباب جوهرية لحدوث الترادف حسب النهج الوصفي منها:

١. الخطأ في الفهم والتأويل.

٢. كثرة استعمال التشبيه.

٣. اختلاف اللغات.

إذ يفهم من هذا ان تكون دلالة اللفظة صحيحة حقيقية في قبيلة واحدة^(٣). وممن انكر الترادف أبو هلال العسكري «٣٩٥هـ»، وقد وضع لهذا الغرض كتابه «الفروق في اللغة» قال فيه: «ان الاسم كلمة تدل على معنى دلالة الإشارة، واذا أشير إلى الشيء مرة واحدة فعرف، فالإشارة إليه ثانية وثالثة غير مفيدة، وواضع اللغة حكيم لا يأتي فيها بما لا يفيد، فان أشير منه في الثاني والثالث إلى خلاف ما أشير إليه الأول كان ذلك صواباً، فهذا يدل على ان كل اسمين يجريان على معنى من المعاني وعين من الأعيان في لغة واحدة، فان كل واحد منهما يقتضي خلاف ما يقتضيه الآخر.....»^(٤).

ولكن أبا هلال العسكري صنف كتاباً ذكر فيه من المترادفات الشيء الكثير اسمه «التلخيص في معرفة أسماء الأشياء» يقول في احد تضاعيفه: «الحلْبُوبُ، والحلْكوكُ،

١. ينظر أقوال العلماء في هذه الآية في البحر المحيط لابي حيان الاندلسي: ١٤٥-١: ١٤٦.

٢. الترادف في اللغة، حاكم الزيادي: ٢٠٧.

٣. ينظر الترادف في القران الكريم: ٤٨.

٤. الفروق في اللغة: ١٣.

والغريب، والمُسحَنَك، والحالك، والمحلولك.... كل ذلك الأسود»^(١).
بل وجدناه يذكر الترادف في كتابه الفروق ويذكر أمثلة قرآنية قال: «وعندنا ان قوله تعالى (أترك الله علينا)) [يوسف / ٩١] معناه انه فضلك الله علينا...»^(٢).
ان النظر في مقولات المنكرين نلاحظ ثمة تناقضا قد وقعوا فيه، لانهم قد اقرروا الترادف بشكل عملي حينما ذكروا طائفة من الألفاظ المترادفة على الرغم من إنكارهم النظري للترادف، وعلل الأستاذ محمد نور الدين هذا التناقض الذي وقف عنده الدكتور حاكم الزيايدي، بان المنكرين توصلوا ببعدهم نظرهم إلى ما توصل اليه علم اللغة الحديث الذي امعن النظر في هذه المسألة ففرق بين الترادف الكامل وأشباه الترادف فانكر الأول وافر الثاني، ولا يعدُّ ذلك من التناقض وإنما هي النظرة الموضوعية للظاهرة بمختلف مستوياتها^(٣).

والحق في ذلك لم نلاحظ أي إشارة من المنكرين القدماء في حديثهم عن الترادف بانه يقسم على قسمين تام وغير تام وأجازوا احدهما دون الآخر، بل جاء رفضهم وعدم الإقرار منهم بهذه الظاهرة، وهذا واضح من خلال العلل التي اعتلوا بها ولاسما قولهم بان الواضع واحد، أو ان الأسماء سميت لعلة، أو اذا أشير إلى الشيء مرة واحدة فعرف، فالإشارة اليه ثانية وثالثة غير مفيدة.

أما من اثبت الترادف فقد ذهب إلى:

١. إنها ظاهرة معروفة في اللغة. وشواهد ما معروفة في العاجم والكب اللغوية.

٢. الترادف نجم عن تعدد اللهجات العربية القديمة.

٣. وجوده ضروري لكثرة الوسائل إلى الإخبار عما في النفس، فانه ربما عسر استعمال احد اللفظين والنطق به أو نسي احدهما، فوجدوا

١. التلخيص: ١: ٢٣.

٢. الفروق: ١١٨.

٣. ينظر الترادف القران: ٥٢.

الترادفات لتعين على بيان القصد.

٤. ان الترادف واقع في اللغة لاحتياج أهل اللغة إلى الشرح والتفسير،
«لا ريب فيه، لا شك فيه» «إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي» أي
أزوجك.

٥. في الترادف إتاحة للتوسع في سلوك الفصاحة وأساليب البلاغة في
النظم والنثر، قال الخطيب:

إلا حبذا هندٌ وارضٌ بها هندٌ وهندٌ أتى من دونها النأي والبعُد^(١).

ومن علماء العربية الذين اثبتوا الترادف: أبو علي الفارسي (٣٧٧هـ) فقد كان
يستحسن الترادف ويعجب به، وما نقل عنه بأنه انكر الترادف مستدلين على ذلك
بحواره مع ابن خالويه حينما قال ابن خالويه: «احفظ للسيف خمسين اسما فتبسم أبو
علي، وقال: لا احفظ له إلا اسما واحدا وهو السيف. قال ابن خالويه: أين المهندس
والصارم و..... فقال أبو علي: هذه صفات.»^(٢) ففيه نظر لأنه هنا فرق بين الاسم
والصفة، وفي موضع آخر يقول: «ومن أسماء الحاجة عنده: الحوجاء، واللوجاء،
والإرب، واللُّبانة، والتَّلية..»^(٣) وكذا ابن جني إثبات شيخه للترادف قال: «كان أبو
علي رحمه الله اذا عبر عن معنى بلفظ ما ولم يفهمه القارئ عليه، وأعاد ذلك المعنى
بلفظ غيره ففهمه يقول: هذا اذا رأى ابنه في قميص احمر عرفه، فان راه في قميص
كحلي لم يعرفه»^(٤).

أما ابن جني فقد كان على راس القائلين بالترادف والمدافعين عنه، إذ جعله ميزة
للعربية تُشرف بها، ويراه من خصائص العربية^(٥).

١. ينظر: مدخل إلى فقه اللغة: ٢٩٤.

٢. المزهري: ٤٠٥: ١.

٣. الخصائص: ١٢٩: ٢.

٤. المصدر نفسه: ٤٧٠: ٢.

٥. ينظر الخصائص: ١١٥: ٢-١٢٥.

ويرى ابن جني في استعمال اللفظين وتساويهما في لغة العربي مرده إلى امرين:
أما إنها من لغة قومه وهو الأرجح وفائد ذلك التوسع في أوزان الشعر وسعة
التصرف في بديع النثر، وفي هذا ردُّ على من انكر الترادف زاعماً انه لا فائدة منه.
وأما ان تكون احدهما لغة قومه، والثانية مستفادة من قبيلة أخرى، لكنها لصقت
به لطول عهدٍ، وكثرة تكرارٍ، فتساوت مع لغته^(١)

أما في غلبة احد المترادفين على الآخر في استعمال العربي فيعود إلى احتمالين:
الأول: ان اللفظة الكثيرة الدوران على لسانه لغة له ولقومه، والقليلة الاستعمال
مستفادة من قوم آخرين. أما الثاني: فان اللفظين جميعاً من لسان قومه ولكن القليلة
منهما ضعيفة في نفس العربي شاذة عن قياسه^(٢)

أسباب الترادف:

١. الوضع اللغوي الأول: وهو ما تواضعه العرب طلباً للحاجة،
وسعة تصرف أقوالها.
٢. تداخل اللهجات: أي ما تواضعت القبائل العربية من ألفاظ على
معنى واحد في لسان العربي، واجتمعت هذه الألفاظ لشخص
واحد من هذه القبيلة أو تلك.
٣. الاقتراض اللغوي: وهي الألفاظ الوافدة على لغة العرب، مثلاً:
الياسمين «في العربية» والسمسق، والسَّجلاط، والرصاص
«اعجمي» والصَّرْفان «عربي»، الهاون «اعجمي»، والمنحاز،
والمهراس «عربي»، المسطح والمربد، والجرين والمربد «أهل البصرة
ونجد»، والجوخان «فارسي».
٤. التطور اللغوي: ويدخل فيه _القلب نحو: جذب وجذب، هجج
به وجهجه به «صاح به»

١. ينظر المصدر نفسه: ١:٣٧٣

٢. ينظر الخصائص: ١:٣٧٣

الإبدال: نحو: سراط، و صراط، و زراط.

_ كثرة استعمال الصفة وتناسي ملمحها الدقيق في الوصف يقود إلى تحولها إلى الاسم يضاف إلى الاسم الأصلي مثلا «الحسام».

_ تخصيص الدلالة، مثلا «اسكاف» تدل على كل صانع، أصبحت تدل على «الخراز» أو «الخفاف».

_ المجاز، وهو ما نقل عن طريق المجاز، مثلا «الوغى» الصوت في الحرب أصبح مرادفا للحرب.

آراء المحدثين العرب:

يرى الدكتور على وافي والدكتور اميل يعقوب ان العربية تمتاز بثرائها على أخواتها السامية، بل تعد من اغنى لغات العالم بالمترادفات^(١) أما إبراهيم أنيس فيرى الترادف واقعا في العربية المشتركة وفي القرآن الكريم، ويأتي بأثلة على ذلك منها: أثر وفضل، وحضر وجاء، وبعث وارسل، ومثوى ومأوى، وبارئ وخالق^(٢) أما رمضان عبد التواب فيرى عدم صحة الإنكار جملة مع من انكر، وإنما يجب الاعتراف بان بعض ما يتوهم انه من المترادف هو غير مترادف، وان أهل اللغة قد تساهلوا في كثير من المفردات بعدها من المترادف، وهذا لا يعني إنكار المترادف كله^(٣) أما الدكتور حاكم الزيايدي فيرى أن الترادف واقعا في اللغة العربية ولا سبيل إلى إنكاره، وهو موضوع ينمي التطور ويدعمه الاستعمال ويشهد به الواقع اللغوي^(٤).

١ . فقه اللغة وافي، ١٦٢ و فقه اللغة العربية وخصائصها، يعقوب: ١٧٤

٢ . في اللهجات العربية: ١٧٥

٣ . فصول في فقه اللغة: ٣١٥

٤ . الترادف في اللغة: ٣٠٦

وقد اشترط بعضهم شروطاً لوقوع الترادف في اللغة منها:

١. الاتفاق في المعنى بين الكلمتين اتفاقاً تاماً:

فمثلاً إذا فهم العربي من كلمة «جلس» شيئاً لا يستفيدة من كلمة «قعد» فهذا يُعتبر غير ترادف.

٢. الاتحاد في البيئة اللغوية: بحيث أن تنتمي الكلمتان إلى لهجة واحدة أو مجموعة منسجمة من اللهجتان، إلا أن رمضان عبدالتواب اشترط بالكلمتين أن تنتمي إلى لهجة واحدة باعتبارها بيئة لغوية منفصلة أو إذا كانت ضمن اللغة المشتركة فهي لبيئة لغوية منفصلة عن اللهجات الأخرى.

٣. الاتحاد في العصر: فعند قياس كلمتين بالترادف، فيجب النظر إليهما بكونهما استعملتا في نفس العصر، أي بنظرة وصفية لا على أساس النظرة التاريخية.

٤. ألا يكون أحد اللفظين نتيجة تطور صوت آخر: مثال «الجثل والجفل»

فكلاهما النمل، ويمكن أن تكون إحدى المفردتين متطورة صوتياً عن الأخرى وهذه الشروط حدّ المحدثون من كثرة الترادف والغلوّ فيه حتى صارت المترادفات بقدرٍ مقبول حتى كأنهم أدركوا الاضطراب والخلط في هذه المسألة^(١).

آراء اللغويين الغربيين:

بلوم فليد: يقول إننا ندعي ان كل كلمة من كلمات الترادف تؤدي معنى ثاباً مختلفاً عن الأخرى، لذا لا يوجد شيء اسمه ترادف حقيقي و«ستورك» يرى ان كل كلمة لها تأثير عاطف، وتملك تأثيراً إشارياً، وهذا لا تجد كلمات مترادفة. و«لايبن» يقول اذا كان الترادف مرهوناً بالسياق فمن غير الممكن ان تجد تعبيرين في أي لغة مترادفين. و«جودمان» يرى ان اللفظين لا يمكن ان يحل احدها محل الآخر دون

١. الترادف في اللغة: ٦٥-٦٦، وانظر فصول في فقه اللغة: ٣٢٢

تغير الدلالة الحقيقية. و«هاري» ان اشتراط التماثل التام بين المفردات ينفي وجود الترادف، ولكن قد يكون هنالك تشابه إلى حد كبير بين بعض المفردات^(١).

إثبات الترادف عند المشتغلين بعلوم القرآن

ان إثبات الترادف عند المشتغلين بعلوم القرآن غير مقصود لذاته بل كان وسيلة عندهم في الحديث عن بعض علوم القرآن وإعجازه، ولإثبات الترادف عند من اثبته طريقتان:

▪ الأولى: الترادف في الأحرف السبعة،

وهو الحد الأقصى المحتمل من المترادفات لكل لفظ من ألفاظ القرآن الكريم، أي عدد الأوجه التي تقرأ بها الكلمة، وهذا يعني ان ثمة أوجه من المعاني المتفقة بالألفاظ المختلفة^(٢).

ولكن يبقى ان ننبه على انه ليس لاحد ان يستبدل لفظا بلفظ من عند نفسه، بل ان هذه الأحرف أو المترادفات وردت عن النبي (ص)، وقد عرضها على جبريل (ع) على الوجه الذي فيه الإعجاز^(٣) من تلك الأحرف التي قُرأ بها:

«كالعهن المنفوش»	«كالصوف المنفوش»	عن ابن مسعود
«مشوا فيه»	«مروا فيه»، «سعوا فيه»	عن أبي
«انظرونا نقتبس من نوركم»	«أخرونا»، «أمهلونا»	عن ابن مسعود

١. ينظر: علم الدلالة . احمد مختار: ٢٢٤-٢٢٧

٢. ينظر البرهان في علوم القرآن: ١:٢٢٠، والجامع لأحكام القرآن: ٤٢:١

٣. المحرر الوجيز لابن عطية: ١:٦٠-٦١

ابن مسعود	«طعام الفاجر»	«طعام الأثيم»
ابن مسعود	«... بين الجبلين» في لهجة تميم	«ساوى بين الصدفين»
عن انس بن مالك	«أقوم قيلا» «أهياً قيلا»	«أصوب قيلا»
عن النبي (ص)		

▪ الثانية: الترادف من حيث التوكيد ويقسم على قسمين:

اللفظي، وهو تقرير معنى الأول بلفظه أو مرادفه. ومثاله:

الانبياء: ٣١	«فجاجا سبلا»
الانعام: ١٢٥	«ضيقا حرجا»
فاطر: ٢٧	«غرايب سود»

أما المعنوي فقد ذكره الزركشي، وذكر انه يحسن بالواو أو بأو التي نابت عن الواو، أو بثم الذي أجازته الفراء^(١).

مثال ذلك:

طه: ١١٢	«فلا يخاف ظلماً ولا هضماً»
المدثر: ٢٨	«لا تبقي ولا تذر»
المائدة: ٤٨	«شرعةً ومنهاجا»
الأحزاب: ٦٧	«إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا»
المرسلات: ٦	«عذرا أو نذرا»
النساء: ١٢٨	«نشوزا أو اعراضا»
هود: ٥١	«استغفروا ربكم ثم توبوا اليه»

١. ينظر البرهان: ٤٧٦: ٢.

أما الأمر الآخر فهو النظر إلى المترادف على أنه أحد أنواع التشابه في القرآن الكريم، وهذا ما يتضح في إيراد القصة الواحدة في صورتين وفواصل مختلفة.

لقمان	«وجدنا.....»	البقرة	«ما ألفينا عليه آباءنا»
الأعراف	«فانبجست»	البقرة	«فانفجرت»
الأعراف	«فوسوس لهما الشيطان»	البقرة	«فأزلهما الشيطان»
مريم	«أتى يكون لي غلامٌ»	آل عمران	«أتى يكون لي ولدٌ»
الزمر	«.....فصعق»	النحل	«ويوم يُنفخ في الصور»

ففرع»

فالذين اثبتوا هذه الظاهرة في القرآن واستدلوا بتلك الآيات القرآنية دعوتهم الحاجة إلى فهم النص القرآني وتفسير مفرداته وتقريب معانيه وتوضيح الغامض من ألفاظه.

ومن المحدثين الذين ذهبوا إلى الإقرار بوجود الترادف القرآن الكريم الدكتور صبحي الصالح، إذ يرى أن القرآن نزل بلغة قريش المثالية يجري على أساليبها وطرق تعبيرها، وقد أتاحت هذه اللغة طول احتكاكها باللهاجات العربية الأخرى اقتباس مفردات تملك أحياناً نظائرها ولا تملك منها شيئاً أحياناً أخرى، حتى إذا أصبحت جزءاً من محصلها اللغوي فلا غضاضة أن يستعمل القرآن الألفاظ الجديدة المقتبسة إلى جانب الألفاظ القرشية الخالصة القديمة^(١).

▪ أما من انكر الترادف في القرآن

فتفاوتت مقولاتهم فمنهم من يرى أن ثمة ألفاظاً أحسن من ألفاظ، ومعناها في اللغة واحد، وهو بذلك لا ينكر الترادف، وإنما يؤثر بعض الألفاظ على بعض، فالإنكار هنا في تساوي الفصاحة لا المعنى. وبهذا يرى الزركشي - أن من فصاحة القرآن اختلاف الكلام باختلاف المقام فلكل موضع ما يليق به ولا يحسن بمرادفه. ومنهم من يتحرج من القول بالترادف في بعض الألفاظ في كتاب الله يؤثر

١. دراسات في فقه اللغة: ٢٩٩.

الفروق بين ما يُظنُّ من المترادفات كالفرق بين الخوف والخشية.
وفريق ثالث يُنكر الترادف إنكاراً تاماً، مثل ابن الأعرابي الذي بينا رايه من قبل،
والأصفهاني الذي ذكر في مقدمته أنه يهدف بكتابه أن يحقّق من الألفاظ المترادفة على
المعنى الواحد وما بينهما من الفروق الغامضة^(١).

ومن العلماء الذين أنكروا بنت الشاطي، فهي تنكره باللغة العربية وأيضاً في
القرآن ما لم يكن الترادف ناتجاً عن اختلاف اللغات أو القرابة الصوتية^(٢) وكذلك
كان للدكتور عفيفي محمود عفيفي رأياً بذلك، فقد أثبت بالأدلة العلمية أنه لا
ترادف بين ألفاظ البصر والنظر والرؤية وأنّ لكلّ منها مجال استعمال محدّد في القرآن
الكريم^(٣).

▪ أمثلة للألفاظ مترادفة في القرآن الكريم:

- أتى، جاء:

أتى وجاء: يذكر ابن فارس في الإتيان أنه يدلّ على مجيء الشيء وصاحبه
وطاعته^(٤) وفي لسان العرب جاء بمعنى الإتيان، والإتيان بمعنى جاء^(٥) أي أنه لم يفرّق
بينهما، والأصفهاني يقول: الإتيان المجيء بسهولة ويقال للمجيء بالذات وبالأمْر
وبالتدبير^(٦). ويرى كذلك أنّ المجيء أعمّ والإتيان قد يقال باعتبار القصد، وإن لم
يكن منه الحصول، والمجيء يقال اعتباراً للحصول، وبهذا وردت في القرآن، بقوله
تعالى ((إذ قال لأهله إني آنستُ ناراً سأتيكم منها بخيرٍ أو آتيكم بشهابٍ قبسٍ لعلّكم
تصطلون، فلما جاءها نودي يا موسى...)). سورة النمل: ٧-٨

١. المفردات في غريب القرآن: ٦

٢. الإعجاز البياني ومسائل ابن الأزرقي: ١٩١

٣. ينظر: مقالته «أسرار بيولوجية في ألفاظ قرآنية» نشرت في مجلة منار الإسلام الإماراتية عدد جمادى
الأولى ١٤١٩هـ.

٤. مقاييس اللغة: ٤٩: ١ (أتى).

٥. لسان العرب: (جيء) و(أتى).

٦. المفردات: (أتى).

وتعليقاً على هذه الآية ذكر محمد المنجد أن الإتيان تحيط به ثلثة من معاني الغموض «الشك والجهل وعدم القصد» والمجيء تحيط به معاني العلم واليقين وتحقق الوقوع والقصد^(١).

ومن خلال رأيه نجد أنه ذكر في الآية في بدايته «سآتيكم» قبل الوصول إلى النار لأنه لديه شك بالوصول والحصول على شهابٍ قبس ثم بعد الوصول إليها قال الله تعالى «جاءها» أي تحقق اليقين بالوصول إليها وكذلك في قوله تعالى: ((قال إن كنت جئت بآية فات بها إن كنت من الصادقين» سورة الأعراف: ١٠٦ فالمجيء بالآية ذكر بحق موسى عليه السلام وما من شك أنه كان مستيقناً من تلك الآية، أما الإتيان بها فكان طلباً من فرعون على وجه التحدي وذلك يدل على شك في نفس فرعون^(٢) وقوله تعالى: «ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً» كانت المقابلة بالإتيان بالمثل وبالمجيء بالحق، ومقابلة المثل بالحق، تدل على أن المثل باطل وهذا الضلال أصله الجهل بينما الحق علمٌ ويقين^(٣). وقوله تعالى: ((ولولا أجلٌ مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتةً» سورة العنكبوت: ٥٣ فمجيء العذاب أمرٌ محقق، أما وقت التنفيذ فغيبٌ مجهول^(٤).

▪ أنس، أبصر، رأى، نظر

▪ أنس:

يقول ابن فارس: «الهمزة والنون والسين أصلٌ واحد وهو ظهور الشيء، وكل شيء خالف طريقه التوحش»^(٥) ويرى الراغب الأصفهاني، في قوله تعالى ((فإن أنستم منهم رشداً)) [٨٤] أنه بمعنى أبصرتم أنساً بهم^(٦). وبهذه الآية يقول ابن

١ . الترادف في القرآن: ١٤٦: ٢

٢ . الترادف في القرآن: ١٤٨: ٢

٣ . نفس المصدر: ١٤٩: ٢

٤ . الترادف في القرآن: ١٥٠: ٢

٥ . مقاييس اللغة (أنس): ١٤٥: ١

٦ . المفردات: (أنس).

حيان: «إن أنستم أي أحسستم، والنار على بُعد لا تُحسّ إلا بالبصر، والإيناس أعمّ من الرؤية، لأنك تقول: «أنستُ من فلانٍ خيراً»^(١).

وذكر محمد المنجد في كتابه أنه يميل إلى أنّ الإيناس إحساس بما يؤنس به، قد يكون هذا الإحساس عن طريق حاسة البصر أو عن غيرها^(٢) وبذلك اتبع رأي أبي هلال العسكري^(٣).

▪ أبصر

يقول ابن فارس: «الباء والصاد والراء: أصلان: أحدهما العلم بالشيء وأصل ذلك كله وضوح الشيء، ويقال: بصرتُ بالشيء إذا صرتُ به بصير «عالمًا» وأبصرته إذا رأيته»^(٤). والأصفهاني يقول «إنّ البصر يقال للجارحة وللقوة التي فيها»^(٥). ويبيّن محمد المنجد أنّ الإبصار قوة في العين تنقل صورة الأشياء فيدركها العقل، وتلك هي الرؤية، ثم يحصل العلم بالمرئي، فكأنها مراحل متتابعة، والإبصار مرحلة من تلك المراحل^(٦).

▪ رأى:

يقول ابن فارس: «الراء والهمزة والياء أصلٌ يدلّ على نظر وإبصار بعينٍ أو بصيرة، فالرأي ما يراه الإنسان في أمره... والرئي ما رأت العين من حالس حسنة»^(٧). ومن قول ابن فارس استدللّ أنّ الرأي والإبصار لديه مترادفان، لكن حسب المراحل التي ذكرها محمد المنجد، نجد أنّ الرأي غير الإبصار لأنّ الرؤية مرحلة بعد الإبصار الحسي، فهو يدلّ على الإدراك.

١. البحر المحيط: ٢٣٠: ٦.

٢. الترادف في القرآن: ١٨١: ٢.

٣. الفروق اللغوية: ٢٩.

٤. مقاييس اللغة (بصر): ٢٥٣: ١.

٥. المفردات: (بصر).

٦. الترادف في القرآن: ١٨٢.

٧. مقاييس اللغة (بصر): ٣٥٢: ١.

▪ نظر:

ورد توضيحه عند اللغويين بأنه عبارة عن تقليب الحدقة نحو المرئي التماساً لرؤيته، ولما كانت الرؤية من توابع النظر ولوازمه غالباً أُجري لفظ النظر على الرؤية على سبيل إطلاق اسم على المسبب^(١). ويذكر الأصفهاني أنه يراد به التأمل، كما في قوله تعالى: «قل انظروا ماذا في السماوات» سورة يونس: ١٠١ أي تأملوا^(٢). ويبيّن أبو حيّان في تفسيره لقوله تعالى: «قال ربّ أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقرّ مكانه فسوف تراني» سورة الأعراف: ١٤٣

أرني بمعنى اجعلني متمكناً من الرؤية التي هي للإدراك، علمٌ أنّ الطلب هو الرؤية لا النظر الذي لا إدراك معه، فقيل: لن تراني ولم يقللن تنظر إليّ^(٣).

وبذلك تتبع رأي محمد المنجد بأنّ لفظ «آنس» له خصوصية لا نجدها في رأى وأبصر ذلك لأنّ الرؤية والإبصار عاماً في كلّ ما يظهر للعيان فالإبصار: قوة في العين والرؤية: دالّة على الإدراك^(٤).

هذا الأمر يلزمنا الاعتناء بالمفردة القرآنية وتركيبها واستعمالها في اللسان العربي بما يُشرف السياق ويجلو الحكمة لا حسبما يقال دائماً أنّه جرى على ألسنة العرب من شواذٍّ ومن تخريجات وتقديرات، فالرحيم ليس الرحمن، والكافر ليس المشرك، بل «الذي كفر» ليس هو «الكافر»، و«الذين أشركوا» ليسوا «المشركين» وعلى هذا لكل كلمة في السياق القرآني لها موقع خاص وغرض معلوم لانّ ميزة الترادف تفرض المساواة بحيث يصح لنا إبدال كلمة مكان أخرى وهذا غير جائز في القران الاعتقاد بحكمة النسيج القرآني على مستوى فرادة مفرداته ومواقعها وتراكيبها.

١. مقاييس اللغة (نظر): ٤٤٤: ٥ وانظر المفردات (نظر). والفروق اللغوية: ٨٦.

٢. المفردات (نظر).

٣. البحر المحيط: ٣٨٣: ٤.

٤. الترادف في القرآن: ١٨١-١٨٣.

▪ **ثالثاً: المشترك اللفظي والأضداد:**

عُني اللغويون بالمشترك اللفظي عنايتهم بظاهرة الترادف، دون ان تشار حوله خصومات كتلك التي أوردناها عند دراستنا للترادف، وبدوا ان ورود أمثلة من المشترك اللفظي في القران دفعت باللغويين والمفسرين ودارسي الإعجاز والبلاغة إلى الاحتفاء به ودراسته، بل عدّ واحداً من وجوه إعجاز القران^(١).
والمشترك اللفظي هو ما اتفق لفظه وأختلف معناه أي ان المباني مترادفة والمعاني مختلفة، وقد ذكر سيبويه المشترك اللفظي في الكتاب، إذ يرى من كلامهم اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين^(٢).

▪ **ومن الكتب التي عنيت بهذه الظاهرة:**

«كتاب الوجوه والنظائر» لمقاتل بن سليمان البلخي (١٥٠)
«كتاب الوجوه والنظائر» لهارون بن موسى الأزدي (١٧٠)
«ما اتفق لفظه وأختلف معناه من القران المجيد» للمبرد (٢٨٥)
«الأشباه والنظائر في الألفاظ القرآنية التي ترادفت مبانيها وتنوعت معانيها»
للشعالبي (٤٢٩)
«الأجناس من كلام العرب وما اشتبه في اللفظ واختلف في المعنى» لابي عبيد
القاسم بن سلام (٢٢٤).

ومن الكتب التي عنيت بدراسة اللغة العربية كتاب «ما اتفق لفظه وأختلف معناه» لابي العميشل الأعرابي (٢٤٠) ويضم هذا الكتاب ثلاثمئة كلمة، وكتاب «النجذ فيما اتفق لفظه واختلف معناه» لكراع النمل (٣١٠)، ويضم تسعمئة كلمة «ينظر علم الدلالة: ١٥٢»، وكتاب «مختصر الوجوه في اللغة» للخوارزمي

١. ينظر علم الدلالة احمد مختار عمر: ١٤٨

٢. الكتاب: ١: ٢٤.

الكاتب «٣٨٧»، وهذا الكتاب هو اختصار لكتاب يقع في ألفي ورقة لإسحق بن محمد الذي جمعه من كتاب الوجوه للأصمعي، والعين للخليل والمواقيت لغلام ثعلب والجمهرة لابن دريد الأزدي.

ولقد اقر اغلب اللغويين بوقوع المشترك ومن هؤلاء سيبويه، وابن فارس في باب «الأسماء كيف تقع على المسميات»، بان الأشياء الكثير تسمى بالاسم الواحد، والى ذلك ذهب الثعالبي في فقه اللغة وسر العربية، إذ أورد جملة من الأمثلة في فصل «وقوع اسم واحد على أشياء مختلفة».

أما من ذهب مذهبا مغايرا، وجعل من المشترك اللفظي ليس بظاهرة عامة ابن درستويه عبدالله بن جعفر «٣٤٧»، فهو ينكر ان يكون المشترك اللفظي موضوعا في الأصل، لما في ذلك من الإلباس، فلو جاز ان نضع لفظ واحد للدلالة على معنيين مختلفين أو احدها ضد الآخر لما كان ذلك إبانة بل تعميمه وتغطية، فاللغة موضوعة للإبانة عن المعاني. والذي يرد منه قليل نادر، ولعله يأتي في لغتين متباينتين أو لحذف وقع في الكلام حتى اشتبه اللفظان وخفي سبب ذلك على السامع^(١).

والى ذلك ذهب أبو علي الفارسي «٣٧٧» حين ذكر ان اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين ينبغي إلا يكون قصدا في الوضع ولا أصلا، ولكنه من لغات تداخلت أو تكون كل لفظة تستعمل بمعنى، ثم تستعار لشيء، فتكثر وتغلب، فتصير بمنزلة الأصل^(٢).

ويبدو أن وجود المشترك اللفظي بما له من خصائص في وضعه واستعماله في السياق، كان يوهم بعض الذين انكروه بأن في ذلك مفسدة لا تجوز ان تصدر عن واضع واحد، وهذا الرأي عائد إلى ان اللغات توقيفية.

أما الذين أقروه، فقد ذكروا أنه ممكن الوقوع لجواز أن يقع من واضعين، بأن

١. المزهر: ٣٨٥: ١.

٢. دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح: ٣٠٤.

يضع أحدهم لفظا لمعنى، ثم يضعه الآخر لمعنى الآخر^(١).

▪ أسباب وقوع المشترك اللفظي:

الاقتراض اللغوي: كأن تكون اللفظة المقترضة تشبه في لفظها كلمة عربية، لكنها ذات دلالة مختلفة، ومن ذلك كلمة «سور»، وهي في لغة العرب تعني الحائط، وفي لسان العجم تعني الضيافة، وبهذا المعنى وردة على لسان النبي (ص) حين قال: «يا أهل الخندق، قوموا فقد صنع جابر سوراً» أي طعاماً. وكذلك لفظة «حُب» في العربية تعني الوداد وفي الفرسية تعني الجرة.

القلب والإبدال يكونان سببا في وجود المشترك اللفظي. أي اتفاق كلمتين كانتا في الأصل مختلفتين، ثم حدث تطور فيهما فتحدت صورتها اللفظية، كلفظة «حنك» التي تدل على السواد، وهي متطورة من «حلك» أي شدة السواد، قلبت فيه اللام نونا فهذه الكلمة تطابقت مع «حنك» الأصلية التي تدل على ما تحت الذقن من الإنسان.

التطور الدلالي عن طريق المجاز: فقد تنبه القدماء إلى ذلك حينما وقفوا على أشياء كثير منها:

العين، الجاسوس، الربيثة «الذي يرقب القوم»، الحر، سيد القوم، واحد الأخوة الأشقاء، هذا في باب التشبيه، أما في غيره، فيقولون: العين: هي الدينار، و اعوجاج في الميزان، وعين القبلة، ومطر ايلم كثير لا يقلع، وعين الركبة، وسحابة تأتي من جهة القبلة.

ومن ذلك «الهلال»: هلال السماء، و هلال الصيد، وقطعة الرحى^(٢). ولاشك في ان للمشارك اللفظي أثرا في تنمية ألفاظ اللغة العربية فهو يلبي الحاجة المتجددة للدلالة على معان تتولد باستمرار، وبات من الواضح ان أهل اللغة يميلون إلى التعبير عن المعاني المتعددة بكلمة واحدة لما لذلك من اقتصاد في بذل

١. ينظر المزهري: ٣٦٩: ١.

٢. المزهري: ٣٧٢: ١.

الجهد، فضلاً عن ان اللفاظ محدودة قاصرة عن الوفاء بمطالب التعبير ولا سيما في الأفكار المجردة^(١)

أما الأضداد فهو نوع من المشترك اللفظي ويتصل به اتصالاً وثيقاً، لأنَّ المشترك اللفظي يقع على شيئين ضدين وعلى مختلفين غير ضدين، فالذي يقع على الضدين: الجون، والجلل^(٢).

وقد اهتم اللغويون بهذه الظاهرة كونها ترد في القرآن الكريم، لذلك سعى بعضهم إلى بيان مقاصدها وتوضيحها لمن لا يعرف أسرار العربية، وفي ذلك ردُّ على الشعوبيين الذي يرمون العرب بكل نقيصة^(٣).

إن لمعرفة متناكر الدلالة خيارين مشروعين، يمكن أن نأخذ بأحدهما دون الآخر: الأول: يقتضي ان يكون مجيئه متغيراً بسبب الواضع على اختلاف، ونعني بالواضع مجموعة أشخاص، فالذي عناه الأول بالجون عناه الثاني ولكن على خلاف في التخصيص، والمقصود عند الطرفين هو اللون ولكن التغير أو التضاد حاصل في تخصيص اللون، فهو عند الأول ابيض وعند الثاني اسود. أما معرفتنا بقصد المتكلم، يكون الجواب هو ان كلام العرب يصحح بعضه بعضاً، ويرتبط أوله بأخره، ولا يعرف معنى الخطاب إلا باستيفائه واستكمال جميع حروفه...^(٤).

الثاني: إذ يحمل على محل التورية في التعبير بمقتضى حكمة الواضع الذي شاء أن يكون هذا الضرب ضرباً للترميز إلى ما يخشى عليه من خصم أو حسد أو نشر. ما كان متفقاً على كتامه، ناهيك بما لهذا الضرب البلاغي من نكتة لطيفة تقتضي التعبير عن الشيء السيِّء بالحسن، والأسود بالأبيض، والأعمى بالبصير، والجاهل بالعالم،

١. المدخل إلى فقه اللغة: ٢٨٦.

٢. ينظر المزهري: ٢٨٧: ١.

٣. ينظر مقدمة ابن الأنباري في كتابه الأضداد.

٤. ينظر كتاب الأضداد: ٢.

وربا يكون أساس وضعه بقصد التفاؤل بإصلاح الشيء^(١).

▪ الكتب المصنفة في الأضداد

من صنف تحت عنوان الأضداد

محمد بن المستنير «قطرب» (٢٠٦هـ)

أبو زكريا، يحيى بن زياد الفراء (٢٠٧هـ)

أبو عبيدة معمر بن المثنى (٢١٠هـ)

أبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي (٢١٦هـ)

أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي (٢٢٤هـ)

أبو محمد عبد الله بن محمد التوزي (٢٣٣هـ)

أبو يوسف يعقوب بن إسحاق، ابن السكيت (٢٤٤هـ)

أبو حاتم سهل السجستاني (٢٤٨هـ)

أبو العباس احمد بن يحيى ثعلب (٢٩١هـ)

أبو بكر محمد بن القاسم بن الأنباري (٣٢٨هـ)

أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي (٣٥١هـ)

أبو الحسن بن فارس بن زكريا الرازي (٣٩٥هـ)

أبو البركات عبد الرحمن بن الأنباري (٥٧٧هـ)

▪ أما من صنف في إبطال الأضداد:

ابن درستويه أبو محمد عبد الله بن جعفر بن محمد (٣٤٧هـ) الذي يؤمن بقدسية اللغة وحكمة واضعها وهو الله عز وجل، وأنه لا يمكن أن يضع الحكيم العليم ألفاظاً تكون سبباً في الإلباس والتعمية، يقول: «ليس إدخال الإلباس في الكلام من الحكمة والصواب، وواضع اللغة عز وجل حكيم عليم، وإنما اللغة موضوعة للإبانة عن المعاني، فلو جاز وضع لفظ واحد للدلالة على معنيين مختلفين، أو أحدهما ضدّ

١. ينظر: قول أبي حاتم السجستاني في كتاب الأضداد: ٩٩.

الآخر، لما كان ذلك إبانة بل تعميمه وتغطية»^(١).

الحسن بن بشر المعروف بالأمدي «٣٧٠هـ»، فقد ذُكر له كتاب عنوانه «الحروف الأصول في الأضداد»، إذ سلك فيه سبيل ابن درستويه، وكان من متابعيه حتى في منهجه الذي سعى من ورائه إلى إبطال الأضداد، إذ كان يرجع معني الضد إلى معني واحد يصلح ان يكون أصلاً لكلا المعنيين، يقول «وأما ما ذكر من أن «دون» تأتي بمعني خلف وأمام، وأنها عند أهل العربية من الأضداد، مثل «وراء»، فقد أخبرتك أن معناها عند أهل اللغة «التقصير عن الغاية»، وإذا كان الشيء وراء الشيء أو أمامه أو يمينه أو شأمة، صلح في ذلك كله ان تقول: هو دونه.... فليس هذا من الأضداد في شيء وإنما جعلها قوم من الأضداد لما رأوها تستعمل في هذه الوجوه لما فيها من الإبهام، وكذلك «وراء» إنما هي من الموارد والاستتار، فما استتر عنك فهو وراء، خلفك كان أم قدامك...»^(٢).

إن المدقق في نصي ابن درستويه والأمدي يرى بحثهما يقوم على أصول الكلمات في وضعها الأول، وليس إلى ما ألت اليه فيما بعد، وهذه النظر تنسجم مع ما يسنى حديثاً بالمنهج التاريخي.

وهذا الإنكار حمل جماعة من اللغويين على الرد والقول بالتضاد، ومنهم ابن فارس الذي قال: «وأنكر ناس هذا المذهب وأن العرب تأتي باسم واحد لشيءٍ وضده... وهذا ليس بشيء، وذلك أن الذين رووا أن العرب تُسمي السيف مهنداً، والفرس، طرفاً، هم الذين رووا أن العرب تسمي المتضادين باسم واحد، وقد جردنا في هذا كتاباً ذكرنا فيه ما احتجوا به وذكرنا رد ذلك ونقضه»^(٣).

وثمة من يرى أن الشعوبيين الذين كانوا يزرون بالعرب ويرمونهم بكل نقيصة

١. المزهري: ٣٨٥: ١.

٢. الصاحبي في فقه اللغة: ٦٦-٦٧.

٣. المصدر نفسه: ٦٦-٦٧.

هم الذين قالوا، بعدما وقفوا على الأضداد، إن لغة العرب خالية من الحكمة ومفتقرة إلى الدقة والبلاغة في إطلاق الألفاظ وتحديد المعاني، وهؤلاء هم الذين أطلق عليهم ابن الأنباري في كتابه الأضداد «أهل البع والزئغ والإزراء بالعرب»^(١) والواضح من هذا ان ابن الأنباري يريد ان يثبت حقيقة الأضداد والوجوه التي تنصرف إليها ليجيب عن الحجج التي أبدوها الشعبيون، يقول: «لا يراد بها حال التكلم والإخبار إلا معنى واحد فمن ذلك:

كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا الْمَوْتَ جَلَلٌ والفتى يسعى ويُلْهيه الأمل

فدل ما تقدم قبل جلال وتأخر بعده على أن معناه: كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا الْمَوْتَ يَسِيرٌ ولا يتوهم ذو عقل وتمييز أن «الجلل» ها هنا معناه «عظيم»^(٢).

وعلى هذا الاعتبار ففكرة التضاد تجيء نتيجة للتطورات الحاصلة من الاستعمال والدلالات الجديدة، لذلك تعد دراسة الأضداد، كالمجاز، من الموضوعات اللغوية التي يجب ان تدرس من ناحية الدلالة التاريخية، وبهذا يمكن ان نرد كثير مما عُدَّ من التضاد إلى هذه الحقيقة في التطور والاستعمال، واذا ما رجعنا إلى الألفاظ التي اشتهرت بالضدية، ندرك حقيقة هذا التطور الذي أفاد اللغة توسعا وشمولا^(٣).

■ أسباب نشأة الأضداد

ما جرى بالوضع / أي ان اصل الأضداد جرى بالوضع الأول للدلالة على معنيين متضادين، و هذا رأي ضعيف لم يقبله اللغويون كونه لا يتفق وقوانين تطور الدلالة.

اختلاف اللهجات / ويشترط في ذلك ان يكون استعمال اللفظ في لغة واحدة «أي لهجة واحدة»، ويقوا ابن دريد: الشُّعب: الافتراق، والشُّعب: الاجتماع، وليس من

١. الأضداد: ١.

٢. الأضداد: ٢.

٣. في قفه اللغة العربية، محمد فريد عبدالله: ٣٤٦-٣٤٧.

الأضداد، وإنما هي لغة قوم^(١).

الاقتراض اللغوي / وهذا ليس بكثير في لغة العرب، ومثال ذلك كلمة «بَسَل» المستعارة من العبرية والآرامية وتدل فيهما على غير الصالح أو غير الجائر، وبذلك غدت تدل على الحلال كما هي في العربية وعلى الحرام بعد الاقتراض^(٢).

جوانب صوتية / من ذلك اتحاد كلمتين في صيغة من الصيغ يثير دلالة ضدية، مثل: ضاع: اختفى وظهر وضاع في الأصل جاءت من اصلين: ضيع: اختفى وضوع: ظهر فانقلبت الياء والواو إلى الف، فأصبحت: ضاع.

ومثله في الإبدال / لمق: المحو والإثبات، والأصل فيهما: لمق: محأ.... نمق: كتب. فأبدلت النون لاما.

ومثله في القلب الكاني / قالوا: تلحح: أقام وذهب، فأن المعنى الثاني في الأصل لكلمة أخرى هي: تحلح، ثم حدث قلب مكاني فقدمت اللام وأخرت الحاء.

الصيغة الصرفية / استعمال صيغة فعيل للفاعل وللمفعول نحو «الغريم» للدائن والمدين. و«القنيص» للقنص والمقنوص.

ما تبعته العوامل النفسية والاجتماعية / ما اطلق تفاقواً نحو: القافلة إذ تطلق على الجماعة الذاهبة مع ان الأصل هو إطلاقها على الراجعة من السفر، وكذلك كلمة «السليم» للديغ، و«المفازة» للصحراء والقياس «المهلكة»

ما اطلق لأجل التأدب، مثل كلمة «بصير» للأعمى و«المولى» للعبد.

ويلاحظ ان الخوف والحسد يدفعان إلى استعمال كلمات تصف الجميل بالقبح والحسن بالبشاعة، ومن ذلك إطلاق كلمة «بلهاء» على المرأة كاملة العقل، مع ان البله نقصان في العقل. وإطلاق لفظة الأعور على الحديدي البصر، وهو في الأصل لمن

١. المزهر: ٣٩٦: ١

٢. علم الدلالة، احمد مختار: ٢٠٥

ذهبت احدئ عينيه^(١).

وما يستعمل للتهكم كقوله تعالى ((فبشرهم بعذاب أليم))

وما يترشح عن الاستعمال المجازي، فكلمة «الناهل» تطلق على العطشان والريان على ما سيكون، لان الناهل هو العطشان الذاهب إلى الشراب.

وهناك إضافة إلى ما ذكر عوامل ترجع إلى سبل التطور الدلالي كالتخصيص، كلفظة «طرب» التي تخصصت بالدلالة على الفرح، وكذلك لفظة «المأتم» للنساء المجتمعات في الحزن.

▪ رابعاً: المعرب والدخيل

ومن سبل نمو الثروة اللغوية اللفظية المعرب والدخيل، لانها يضيفان إلى اللغة عن طريق الاقتراض ألفاظاً لم يكن أهل اللغة بها عهد من قبل، ومسألة الاقتراض اللغوي امر مسلم به، لأنه يمثل ظاهرة إنسانية عامة تقوم على تبادل التأثير والتأثر^(٢).

فالمعرب هو لفظٌ استعارته العرب الخالص في عصر ما من أمة أخرى، واستعملوه في لسانهم، أي وضع في الصيغ والقوالب العربية.

أما الدخيل فهو لفظ أخذته العرب من غيرها من الأمم، دون تغيير في وزنه، وقد يلحقه تحريفٌ طفيفٌ في النطق^(٣).

ويبدو أن سبب هذا الاقتراض الذي لم يأت غالباً عن طريق الاختلاط، وإنما عن

١. ينظر فصول في فقه اللغة: ٣٥١

٢. دراسات في فقه اللغة:، صبحي الصالح ٣١٥

٣. ينظر فقه اللغة، علي وافي: ١٩٩

طريق التجارة ورحلة الشعراء والزمعء في زمن متقدم عن الفتوحات الإسلامية. لذلك نلحظ كثيراً من الكلمات المعربة والدخيلة في الشعر الجاهلي، علما ان المستعمل من هذه الألفاظ المعربة له نظائر في لغة العرب لكن استعمالها جاء لأسباب عدّة منها ما يتعلق بطبعة اللفظ كخفته وكثرة دورانه في الاستعمال ولاسيما في لغة الشعراء ذات الانتشار الواسع بين القبائل.

▪ المعرب في القرآن الكريم

ذكر ابو عبيد القاسم بن سلام أن الناس اختلفوا في لغات العجم الواردة في القرآن «سجيل، المشكاة، اليم، الطور، أباريق، استبرق» فذهب فريق إلى أن فيه أحرفا «كلمات» كثيرة بلغات العجم، على حين ذهب الفريق الآخر إلى ان القرآن ليس فيه من كلام العجم شيء، ومن أدلتهم: قوله تعالى «قرآنا عربيا» و«بلسان عربي مبين».

وقوله تعالى: «وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ. نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ. عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ. بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ { الشعراء / ١٩٢ - ١٩٥ }.

وقوله تعالى: { وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا { [الرعد / ٣٧].

وقوله تعالى: { وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا { [الشورى / ٧].

وقوله تعالى: { إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ { [الزخرف / ٣].

وقوله تعالى: { قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ { [الزمر / ٢٨]. ومنهم:

الفقيه الأصولي الإمام محمد بن إدريس الشافعي «ت ٢٠٤هـ - ٨٢٠م»، إمام فقه اللغة أبو عبيدة «ت ٢١٠هـ - ٨٣٥م»، المفسر والمؤرخ ابن جرير الطبري «ت ٣١٠هـ - ٩٢٣م»، والقاضي أبو بكر، وابن فارس^(١) وقال الإمام الشافعي - بعد أن ساق

١. الإلتقان في علوم القرآن: ١٣٧

الآيات السابقة: «فأقام حجته بأن كتابه عربي في كل آية ذكرناها، ثم أكد ذلك بأن نفى عنه جل ثناؤه كل لسان غير لسان العرب في آيتين من كتابه، فقال تبارك وتعالى: { ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين } [النحل / ١٠٣]، وقال: { ولو جعلناه أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته أعجمي وعربي } [فصلت / ٤٤]^(١).

وذهب فريق ثالث إلى تصديق القولين معاً، لان هذه الكلمات أصولها أعجمية، إلا إنها دخلت العربية فحوّلت عن ألفاظ العجم إلى ألفاظ العرب، فصارت عربية، ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الكلمات بكلام العرب، فمن قال إنها عربية فهو صادق، ومن قال إنها أعجمية فهو صادق، فهي باعتبار الأصل، عربية باعتبار الحال^(٢)، ونقل السيوطي عن ابن النقيب انه قال: «من خصائص القرآن على سائر الكتب المنزلة أنها نزلت بلغة القوم الذين أنزلت عليهم، ولم ينزل فيها شيء بلغة غيرهم، والقرآن احتوى على جميع لغات العرب، وانزل فيه بلغات غيرهم من الروم والفرس والحبشة شيء كثير»^(٣) ومن أصحاب هذا الرأي أبو عبيدة القاسم بن سلام «ت ٢٢٤هـ - ٨٣٨ م» الذي قال: والصواب عندي - والله أعلم - مذهب فيه تصديق القولين جميعاً، وذلك أن هذه الأحرف أصولها أعجمية كما قال الفقهاء، لكنها وقعت للعرب، فعربت بها بألستها وحولتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها فصارت عربية، ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب، فمن قال إنها عربية فهو صادق، ومن قال إنها أعجمية فهو صادق، وقد مال إلى هذا القول الجواليقي وابن الجوزي وآخرون. وهذا المذهب قد جمع بين القولين، فهو يقول: إن وجود بعض الألفاظ الأعجمية لا يُخرجه عن كونه عربياً؛ لأنها قليلة، والعبرة للأكثر، وأن هذه الألفاظ هي أعجمية في الأصل، عربية بالاستعمال والتعريب.

١. الرسالة الإمام الشافعي: ٤٦، ٤٧

٢. المزهري: ٢٦٩: ١

٣. الإتيقان في علوم القرآن: ١٣٧

ومهما يكن من شيء فإن الدراسة لهذا الضرب من الكلمات تفصح عن معرفة بعض علماء اللغة بكثير من الألفاظ الأجنبية التي دخلت إلى اللغة العربية، وأن بعضهم أشار إلى خصائص صوتية تتعلق ببعض اللغات المجاورة، مما يدل على معرفتهم بتلك اللغات، وقد انتهى القدماء إلى أن عجمة الاسم تعرف بوجوه:

النقل، بأن يُنقل ذلك احد أئمة العربية.

خروجه عن أوزان العربية، نحو «إبريسم» فإن هذا الوزن مفقود في ابنه الأسماء في اللسان العربي.

أن يكون أوله نون ثم راء، نحو «نرجس» فإن ذلك لا يكون في كلمة عربية. أن يكون آخره الزاي بعد الدال نحو «مهندز» فإن ذلك لا يكون في كلمة عربية. أن يجتمع فيه «الصاد» و «الجيم» نحو: الصولجان، والجص.

ان يجتمع فيه «الجيم» و «القاف» نحو: المنجنيق، والجوسق «القصر» ان يكون رباعيا أو خماسيا خاليا من حروف الذلاقة «الباء، والراء، والفاء، واللام، والنون، والميم»، فإنه متى كان عربيا، فلا بد ان يكون فيه شيء منها، نحو «سفرجل».

والخلاصة أنك تجد ان بعض الكلمات الأعجمية التي وفدت على لغة العرب أخذت أوزان كلماتها وهياً حركاتها لتشاكلها وتمثلها وتأتلف معها، وما كان منها ثقيل عند تعريبه، مُنع من الصرف «التنوين» حتى لا تزيد حرفه حرفا على المنطق^(١).

والعربية في باب الاشتقاق لم تحجم عن المعرب والدخيل، لان الأخير قلّ ان يبقى على حاله وهكذا يصير بعد تعريبه أصلا من أصول الكلام الذي يدخله الإعراب والتصريف، فكأنه والحال هذه لا يختلف عن كلام العرب إلا في اصل

١. ينظر مولد اللغة، لأحمد رضا: ١١٠

الوضع.

▪ خامساً: ظاهرة الاشتقاق/

الكلمات في اللغة العربية تنتمي إلى فصائل لغوية مشتركة تتمثل بقوالب صرفية تلتقي بها مع مثيلاتها في مادتها ومعناها: كتب - كاتب - مكتوب - كتابة - كتاب.. فتشترك هذه الكلمات في مقدار من حروفها وجزء من أصواتها. وتنتمي هذه الألفاظ إلى أصل واحد في قدر من المعنى وهو معنى المادة الأصلية العام وإن اشترك الألفاظ، المنتمية إلى أصل واحد في أصل المعنى وفي قدر عام منه يسري في جميع مشتقات الأصل الواحد مهما اختلف العصر أو البيئة.

والذي يعطي الكلمة العربية هذه المساحة من الحركة في قوالبها الصرفية هو الاشتقاق وهو

هو: عملية استخراج لفظ من لفظ أو صيغة من أخرى، والقياس هو الأساس الذي تبنى عليه هذه العملية.

ويقول ابن جني: «أن الاشتقاق عندي على ضربين، كبير وصغير، فالصغير ما في أيدي الناس وكتبهم. كأن تأخذ أصلاً من الأصول فتقرأه فتجمع بين معانيه، وإن اختلفت صيغته ومبانيه. ذلك كتركيب، من س ل م، فإنك تأخذ منه معنى السلامة في تصرفاته نحو سلم ويسلم وسالم وسلمى والسلامة..»^(١)

الاشتقاق من منظور عام هو أن تجد بين اللفظين تناسباً في أصل المعنى فترد أحدهما إلى الآخر، فالمرود مشتق والمرود إليه مشتق منه.

الاشتقاق هو: عملية استخراج لفظ من لفظ أو صيغة من أخرى، أو استخراج لفظ من آخر متفق معه في المعنى والحروف الأصلية. وقد عني علماء العربية بالاشتقاق منذ بدايات الدرس اللغوي حينما ربطوا بين الألفاظ ذات الأصوات

١. الخصائص: ٥٢٥: ١.

المتماثلة والمعاني المتشابهة، إذ اتضحت لهم ناحية الأصول والزيادة في مادة الكلمة. وقد اقتفى المحدثون ذلك الأثر فضلاً عن المستشرقين الذين اتجهوا إلى دراسة اللغات السامية إذ ظهر لهم أن ألفاظها تعتمد على جذور تعتبر الأصل في كل اشتقاق وأن الجذر الثلاثي الأصول هو الأكثر شيوعاً مثل: «ضرب - فهم - كتب»

▪ ويقسم الاشتقاق على أقسام عدة:

الاشتقاق الصغير: وهو نزعك لفظاً من لفظ، ولو مجازاً، بشرط أن يكون بين اللفظين اتفاق في الحروف الأصول وترتيبها، وتناسب في المعنى، كاشتقاقك الضارب من الضرب.

وقد عنوا بقولهم «ولو مجازاً» أحد أمرين: الأول أن تنزع المشتق من المشتق منه، وهو منطوق على معناه المجازي، كاستعمالك المثقف «اسم المفعول» بمعنى المؤدب والمعلم، اشتقاقاً من التثقيف بمعنى التأديب والتعليم، وعلى المجاز. والثاني أن تطلق «الضارب» مثلاً على من لم يضرب لأنه سيضرب، وهو في الحقيقة لمباشر الضرب، أو على من ضرب وهو لا يضرب الآن، كما ذهب إليه بعضهم.

أو هو أن تأخذ أصلاً من الأصول، فتتقراه فتجمع بين معانيه وإن اختلفت صيغته ومبانيه نحو: «س ل م» حيث يجتمع فيه معنى السلامة في صرفه نحو: سلم، يسلم سالم، سلمان، سلمى، السلامة، والسليم^(١) وهذا الاشتقاق نوع من التوسع في اللغة يساعدها على مسايرة التطور الاجتماعي. إي أن الاشتقاق العام نوع من التوسع في اللغة تلجأ إليها المجامع اللغوية للتعبير عما قد يستحدث من معانٍ، ومذهب جمهور العلماء بصدد هذا الاشتقاق أنه لا يصح القيام به إلا حين يكون له سند من نصوص اللغة، ولما ثبت لهم أن بعض المشتقات كاسم الفاعل واسم المفعول ونحوهما قد رويت كثيراً في أساليب العرب قالوا: إن هذا النوع من المشتقات قياسي يسمح لمستعملي اللغة من أيأتوا بصورة لفظية مشتقة تكون مقيسة على المروري من

١. ينظر الخصائص: ١: ٥٢٥، وينظر المثل السائر: ٢: ٣١٩.

أساليب العرب، وعلى هذا سيكون لاشتقاقهم أساس أو سند قوي يبرر تلك العملية الاشتقاقية، وهذا هو الاشتقاق الذي يعد محل إجماع العلماء قديمهم وحديثهم.

■ الاشتقاق الكبير:

أن تأخذ أصلاً من الأصول الثلاثة فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحداً، وتجتمع عليه التراكيب الستة، وما يتصرف من كل واحد منها عليه، وإن تباعد شيء من ذلك عنه رُدَّ بلطف الصنعة والتأويل إليه ومن أمثلته لفظة «جبر» وتقليباتها «جرب بجر برج رجب ريج» وتفيد كلها معنى «القوة والشدة» وهو عند ابن جنبي يعرف بالكبير والأكبر، إذ قال: «وأما الاشتقاق الأكبر - أي الكبير - فهو أن تأخذ أصلاً من الأصول الثلاثة فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحداً، وتجتمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد منها، عليه، وإن تباعد شيء من ذلك رُدَّ بلطف الصنعة والتأويل إليه. كما يفعل الاشتقاقيون ذلك في التركيب الواحد. وقد كنا قد منا ذكر طرف من هذا الضرب، من الاشتقاق، في أول هذا الكتاب «يقصد كتابه الخصائص» عند ذكر أصل الكلام والقول، وما يجيء من تقليب تراكيبها نحو: ك ل م، ك م ل، ل ك م، ل م ك، وكذلك في ق و ل، و ق ل،... وهذا أغوص مذهباً وأحزن مضطرباً، وذلك أنا عقدنا تقاليب الكلام الستة، على القوة والشدة، وتقاليب القول الستة، على الإسراع والخفة..»^(١) فالاشتقاق الكبير أن يكون اتفاق بين الحروف دون ترتيبها، إذ يعول فيه على ائتلاف الحروف في المادة دون ترتيبها، وهو يلزمك أبدأً أن تتلمس للحروف الأصلية المؤتلفة هذه، أصلاً مشتركاً من المعنى، على أي صورة شكلت. وإذا كان ابن فارس قد تذرّع في «المقاييس» بالاشتقاق الصغير ليرد مفردات المادة الواحدة إلى أصل من المعنى، فقد تذرّع ابن جنبي، وأستاذه أبو علي حيناً، بالاشتقاق الكبير، لينشد في تقاليب المادة كيف ركبت،

١. الخصائص: ٥٢٥: ١.

جنساً من المعنى.

ونتيجة ذلك نجد بعض العلماء قد تكلف من الجهد في تقليب الأصل الواحد على وجوهه كيف سُكلت، ما ذهب بهم إلى القول بعدم اطراده قال ابن جنبي: «واعلم أنّاً لا ندعي أن هذا مستمر في جميع اللغة، كما لا ندعي للاشتقاق الأصغر - أي صغير - أنه في جميع اللغة بل إذا كان ذلك الذي هو في القسمة سدس هذا أو خمسة متعدياً صعباً كان تطبيق هذا وإحاطته أصعب مذهباً وأعز ملتصقاً..»^(١).

قال ابن جنبي: «على أن هذا وإن لم يطرد وينقد في كل أصل، فالعذر على كل حال فيه، أيّن منه في الأصل الواحد، من غير تقليب لشيء من حروفه. فإذا جاز أن يخرج بعض الأصل الواحد من أن تنظمه قضية الاشتقاق، كان فيما تقلبت أصوله «فأوه وعينه ولامه» أسهل والمعدرة فيه أوضح»^(٢). وإلى هذا ذهب جلال الدين السيوطي إلى القول في كتابه المزهري حول الاشتقاق الكبير: «وهذا مما ابتدعه الإمام أبو الفتح وكان شيخه الفارسي يأنس به يسيراً، وليس معتمداً في اللغة ولا يصح أن يستنبط به اشتقاق في لغة العرب»^(٣). ولم يقف اللغويون عند تلك التقلبيات بل ذهبوا إلى الإيغال في معانيها إذ ربطوا تلك المباني المختلفة بمعنى له صفة العموم فيها معتمدين أصلاً مفترضا لها. وقد بحث هذا الاشتقاق ابن الأثير في المثل السائر: «واعلم أنا لا ندعي ان هذا يطرد في جميع اللغة، بل قد جاء شيء منها كذلك، وهذا ما يدل على شرفها وحماتها، لان الكلمة الواحدة تتقلب على ضروب من التقليب، وهي مع ذلك دالة على معنى واحد، وهذا من اعجب الأسرار التي توجد في لغة العرب وأغربها»^(٤). وذهب الشيخ العلابي إلى رد القول بان هذه التقلبيات تدل على

١. الخصائص: ٥٣٠: ١.

٢. الخصائص: ١١١: ١.

٣. المزهري: ٢٠٨١١.

٤. المثل السائر: ٣٢٢: ٢.

معنى واحد في اصل الوضع، بل هو تصور عقلي يعوزه التطبيق والاستقراء^(١). والاشتقاق الكبير وفي ضوء تلك المعطيات نجده يخالف الاشتقاق الأكبر الذي قيل فيه هو حُدّ تنفق في اللفظين بعض الحروف وتتقارب في الباقي نحو جبل وجبر، وحلف وحرف، وهمس وهمش. وهذا ما سنأتي عليه.

▪ الاشتقاق الأكبر:

أن تتحد الكلمات في بعض الحروف وتختلف في باقيها مع اتحادها في المخرج.. مثال: «أز، هزّ و نعق، نهق و الجثل، الجفل» أو انه إقامة حرف مكان حرف اخر في الكلمة نفسها بشرط المناسبة في الصفة والمخرج نحو نهق و نعق و ثلب و ثلم^(٢) والأجدر بهذا القسم أن يبحث عادة في وسيلة القلب والإبدال، كون الكلمة المشتقة (المبدلة احد أصولها) ترتبط مع الصور اللفظية الأخر ببعض المعاني ارتباطا عاما لا يتقيد بالأصوات نفسها بل بترتيبها الأصلي والذي ترشحت عنه، نحو كلمة «الصراط والسرط والزراط، و الهديل والهدير..

وقد جيء بهذا الضرب من الاشتقاق في الخصائص في باب «تصاقب الألقاط لتصاقب المعاني» واستدل عليه بجملة من المفردات إلى تمثلت بالمعنى عينه وبعض أصول الجذر اللغوي نحو: جنف وجرف وعسف و اسف^(٣).

ويرى الدكتور عبد الحسين المبارك ان سبب هذه الظاهرة الصوتية «الاشتقاق الأكبر» مترشح عن الإبدال الصوتي الذي جيء به نتيجة الخطأ في السمع أو التصحيف والتحريف فضلا عن التغاير اللهجي بين البيئات اللغوية^(٤).

١ . مقدمة لدرس لغة العرب: ٢٠٦

٢ . ينظر فقه العربية وخصائصها: ٢٠٦.

٣ . ينظر الخصائص: ١: ٥٣٨.

٤ . ينظر فقه اللغة: ١١٨.

سادسا: النحت في اللغة العربية

النحت اللغوي ضرب من الاشتقاق، إذ انقسم الباحثون من علماء اللغة إزاء نسبة النحت إلى الاشتقاق، إلى أربعة فرقاء:

الفريق الأول: ويرى «أن مراعاة معنى الاشتقاق و جعل النحت نوعاً منه: ففي كلّ منهما توليد شيء من شيء، وفي كل منهما فرع وأصل، ولا يتمثل الفرق بينهما إلا في اشتقاق كلمة من كلمتين أو أكثر على طريقة النحت واشتقاق كلمة من كلمة في قياس التصريف»^(١).

الفريق الثاني: ويذهب إلى أن النحت غريب عن نظام اللغة العربية الاشتقائي. لذلك لا يصحّ أن يعدّ قسماً من الاشتقاق فيها. وحيثه أن لغويينا المتقدمين لم يعتبروه من ضروب الاشتقاق، وأنه يكون في نزع كلمة من كلمتين أو أكثر، بينما يكون الاشتقاق في نزع كلمة من كلمة. زد على ذلك أن غاية الاشتقاق استحضار معنى جديد، أما غاية النحت فلاختصار ليس إلا^(٢).

الفريق الثالث: ويمثله الشيخ عبد القادر المغربي. وقد توسط بين الفريقين السابقين: فاعتبر النحت «من قبيل الاشتقاق وليس اشتقاقاً بالفعل، لأن الاشتقاق أن تنزع كلمة من كلمة. والنحت أن تنزع كلمة من كلمتين أو أكثر، وتسمى تلك الكلمة المنزوعة منحوته»^(٣).

الفريق الرابع: وقد انفرد به العلامة محمود شكري الألوسي. وقد أدرج النحت في باب الاشتقاق الأكبر.

فيقول: «و «النحت» بأنواعه، من قسم «الاشتقاق الأكبر»^(٤).

١. ينظر دراسات في فقه اللغة: د. صبحي الصالح: ٢٤٣-٢٤٤.
٢. ينظر الاشتقاق: للدكتور فؤاد ترزي: ٣٦٣ وفقه اللغة وخصائص العربية: لمحمد المبارك: ١٤٨-١٤٩.
٣. الاشتقاق والتعريب: للشيخ عبدالقادر المغربي: ١٣.
٤. كتاب النحت وبيان حقيقته ونبذة من قواعده، للعلامة السيد محمود شكري الألوسي، تحقيق وشرح محمد هبة الأثري: ٣٩، ط. المجمع العلمي العراقي، سنة ١٤٠٩ هـ.

وعنده أن الاشتقاق الأكبر هو: «أن يؤخذ لفظ من لفظ، من غير أن تعتبر جميع الحروف الأصول للمأخوذ منه، ولا الترتيب فيها، بل يكتفى بمناسبة الحروف في المخرج، ومثله بمثله: نعق، من النهق، والحوقلة من جملة: لاحول ولا قوة إلا بالله، للدلالة على التلفظ بها»^(١).

وما ذكره العلامة الألويسي -سلفا-، اعتبره خلطاً غير مُرضٍ، إذ النحت يتميز عن الاشتقاق الأكبر بتوليد جديد له بعض خواص الاشتقاق. ويمكننا القول ان النحت من قبيل الاشتقاق وليس اشتقاقاً بالفعل -كما قال الشيخ المغربي-، من حيث أن عنصر التوليد فيه ظاهر، والذي عليه مدار الاشتقاق وبينهما اختلاف غير يسير.

▪ حدُّ النحت في اللغة:

يعرف النحت بالاشتقاق الكبّار^(٢) وأصله في اللغة: هو النشر والبري والقطع^(٣). ويقال: نحت النجار الخشب والعود إذا براه وهذب سطوحه، ومثله في الحجارة والجبال، وقال تعالى: (وتنحتون من الجبال بيوتاً فرهين) الشعراء/ ١٤٩ والنحت في الاصطلاح: أن تعمد إلى كلمتين أو جملة فتتزع من مجموع حروف كلماتها كلمة تدل على ما كانت تدل عليه الجملة نفسها. ولما كان هذا النزاع يشبه

١. المصدر نفسه: ٣٨.

٢. ينظر موضوعة النحت في المزهرة للسيوطي، ٤٨٢: ١-٤٨٥. وكتاب النحت وبيان حقيقته ونبذة من قواعده: للعلامة السيد محمود شكري الألويسي، تحقيق وشرح محمد بهجة الأثري، مطبعة المجمع العلمي العراقي سنة ١٤٠٩ هـ. أو لاشتقاق: للأستاذ عبد الله أمين، ص ٣٨٩ وما بعدها. ومن أسرار اللغة: للدكتور إبراهيم أنيس: ٧١ وما بعدها. وكتاب النحت في اللغة العربية: للدكتور نهاد الموسى، الطبعة الأولى - دار العلوم للطباعة والنشر بالرياض سنة ١٤٠٥ هـ. ودراسات في فقه اللغة: ٢٤٣.

٣. ينظر: لسان العرب "و" تاج العروس "مادة: ن. ح، ت.

النحت من الخشب والحجارة سَمِّيَ نحتاً^(١).

وهو في الاصطلاح اللغوي: «أخذ كلمة من كلمتين متعاقبتين، واشتقاق فعل منها»^(٢).

ويعد الخليل بن أحمد «ت ١٧٥ هـ» هو أوّل من أكتشف ظاهرة النحت في اللغة العربية حين قال: «إن العين لا تأتلف مع الحاء في كلمة واحدة لقرب مخرجيهما كونهما من المخرج الصوتي نفسه، إلاّ أن يُشتقَّ فَعْلٌ من جمع بين كلمتين مثل «حيّ على» كقول الشاعر:

أقول لها ودمع العين جار ألم يحزنك حيلة المنادي

فهذه كلمة جمعت من «حيّ» ومن «على». ونقول منه «حيعل، يحيعل، حيعل»^(٣). ويعرّف الدكتور نهاد الموسى النحت بقوله: هو بناء كلمة جديدة من كلمتين أو أكثر أو من جملة، بحيث تكون الكلمتان أو الكلمات متباينتين في المعنى والصورة، إذ تكون الكلمة الجديدة آخذة منها جميعاً بحظ في اللفظ، دالة عليهما جميعاً في المعنى^(٤). ويعد تعريف الدكتور نهاد الموسى الذي أوردناه في ما سبق من القول، أشمل تعريف للنحت كونه قارب بين التعريفات التي ساقها اللغويون من قبل.

■ صور النحت في اللغة العربية:

لقد ورد النحت في اللغة العربية على صور عديدة أهمّها^(٥):

تأليف كلمة من جملة لتؤدّي مؤدّاها، وتفيد مدلولها، كبسمل المأخوذة من «بسم

١. ينظر الاشتقاق والتعريب: للأستاذ عبد القادر المغربي: ١٣

٢. ينظر: العين: للخليل بن أحمد، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي: ٦٠: ١، ط. دار الرشيد ببغداد، سنة ١٩٨٠ م.

٣. ينظر: النحت بين مؤيديه ومعارضيه: للدكتور فارس فندئى البطاينة: ١٢٢، بحث منشور بمجلة "اللسان العربي" (العدد ٣٤) سنة ١٩٩٠ م. ، وهي دورية متخصصة سنوية تصدر عن مكتب تنسيق التعريب بالمملكة المغربية.

٤. ينظر: النحت في اللغة العربية: ٦٥-٦٧

٥. ينظر فقه اللغة: د. علي عبدالواحدوافي: ١٨٦

الله الرحمن الرحيم»، وحيعل المأخوذة من «حي على الصلاة، حي على الفلاح». وما ورد في كلام العرب:

لقد «بَسَمَلْتُ» ليلي غداة لقيتها فيا حبذا ذات الحبيب المبسمل

تأليف كلمة من المضاف والمضاف إليه، عند قصد النسبة إلى المركب الإضافي إذا كان علماً كعبشمي في النسبة إلى عبد شمس، وعبد ري في النسبة إلى عبد الدار. تأليف كلمة من كلمتين أو أكثر، تستقل كل كلمة عن الأخرى في إفادة معناها تمام الاستقلال، لتفيد معنى جديداً بصورة مختصرة. وهذا النوع كثير الورد في اللغات الأوربية، قليل في العربية وأخواتها الساميات ولم تعرف منه إلا بعض ألفاظ نتيجة تخريج لبعض العلماء، من ذلك «لن» الناصبة، يرى الخليل أنّها مركبة من «لا» النافية و «أن» الناصبة. و «هلم»: يرى الفراء أنّها من «هل» الاستفهامية، ومن فعل الأمر «هلم» بمعنى أقصد وتعال. وقيل: إنّها مركبة من هاء التنبيه و «لم» بمعنى ضم. و«أيان» الشرطية مركبة من «أي أن» فحذفت همزة آن وجُعلت الكلمتان كلمة واحدة متضمّنة معناهما. وغير خاف أنّ وجود هذا القسم رهن بافتراضات جدليّة وخلافات بين العلماء.

▪ الغرض من النحت^(١):

تيسير التعبير بالاختصار والإيجاز. فالكلمتان أو الجملة تصير كلمة واحدة بفضل النحت.

يقول ابن فارس: «العرب تنحت من كلمتين كلمة واحدة، وهو جنس من الاختصار. وذلك» رجل عبشمي «منسوب إلى اسمين»^(٢) هما عبد وشمس. وسيلة من وسائل تنمية اللغة وتكثير مفرداتها؛ حيث اشتقاق كلمات حديثة، لمعان حديثة، ليس لها ألفاظ في اللغة، ولا تفي كلمة من الكلمات المنحوت منها بمعناها.

١. ينظر فقه اللغة: ٢٢.

٢. الصحابي: لابن فارس: ٢٢٧.

▪ أقسام النحت

قام المتأخرون من علماء اللغة من خلال استقراءهم للأمثلة التي أوردتها الخليل بن أحمد وابن فارس بتقسيم النحت إلى أقسام عدّة^(١) يمكن حصرها فيما يلي:

النحت الفعلي: وهو أن تنحت من الجملة فعلاً، يدل على النطق بها، أو على حدوث مضمونها، مثل: «جعفد» من: جعلت فداك «و بسمل» من: «بسم الله الرحمن الرحيم».

النحت الوصفي: وهو أن تنحت كلمة واحدة من كلمتين، تدل على صفة بمعناها أو بأشد منه، مثل: «ضَبَّرَ» للرجل الشديد، مأخوذة من ضَبَطَ وَضَبَرَ. و«الصَّلد» وهو الشديد الحافر، مأخوذة من الصلد والصدم.

النحت الاسمي: وهو أن تنحت من كلمتين اسماً، مثل «جلمود» من: جمد وجلد. و«حَبَّرُ» للبرد، وأصله حَبُّ قُرٍّ.

النحت النسبي: وهو أن تنسب شيئاً أو شخصاً إلى بلدتي: «طبرستان» و«خوارزم» مثلاً، تنحت من اسميهما اسماً واحداً على صيغة اسم المنسوب، فتقول: «طبرخزي» أي منسوب إلى المدينتين كليهما. ويقولون في النسبة إلى «الشافعي وأبي حنيفة»: «شفعتي» وإلى «أبي حنيفة والمعتزلة»: «حنفتي»، ونحو ذلك كثير.

النحت الحرفي: مثل قول بعض النحويين، إن «لكن» منحوتة، فقد رأى القراء أن أصلها «لكن أن» طرحت الهمزة للتخفيف ونون «لكن» للساكنين، وذهب غيره من الكوفيين إلى أن أصلها «لا» و«أن» والكاف الزائدة لا التشبيهيّة، وحذفت الهمزة تخفيفاً^(٢).

النحت التخفيفي: مثل بلعنبر في بني العنبر، وبلحارث في بني الحارث، وبلخزرج في بني الخزرج وذلك لقرب مخرجي النون واللام، فلما لم يمكنهم الإدغام

١. ينظر: الاشتقاق والتعريب، للأستاذ عبد القادر المغربي: ١٦ ودراسات في فقه اللغة: للدكتور صبحي

الصالح: ٢٤٩

٢. ينظر: النحت بين مؤيديه ومعارضيه: ١٢٢

لسكون اللّام حذفوا، كما قالوا: مست وظلت. وكذلك يفعلون بكلّ قبيلة تظهر فيها لام المعرفة، فأما إذا لم تظهر اللّام فلا يكون ذلك، مثل: بنى الصيّداء، وبنى الضباب، وبنى النجار^(١).

وهناك تأويلات ألفاظ قائمة على وجوه فكهة يمكن حملها على النحت، وذلك كالذي أورده الجاحظ «ت ٢٥٥هـ» عن أبي عبد الرحمن الثوري، إذ قال لابنه: «... أي بني، إنما صار تأويل الدرهم، دار الهمّ، وتأويل الدينار، يدني إلى النار»^(٢) ومنه: «كان عبد الأعلى إذا قيل له: لم سمّي الكلب سلوقيا؟ قال: لأنه يستل ويلقى، وإذا قيل له: لم سمّي العصفور عصفورا؟ قال: لأنه عصي وفرّ»^(٣).

هذا، وحين نستعرض الشواهد الصحيحة المرويّة عن العرب في النحت لانكاد نلاحظ نظاماً محدداً نشعر معه بما يجب الاحتفاظ به من حروف وما يمكن الاستغناء عنه. وليس يشترك بين كلّ تلك الأمثلة سوى أنّها في الكثرة الغالبة منها تتخذ صورة الفعل أو المصدر، وأنّ الكلمة المنحوتة - في غالب الأحيان - رباعيّة الأصل.

ومن أشهر الأمثلة الرباعيّة الأصول ما يلي:

كلمة منحوتة من كلمتين مثل «جعفل» «أي» جعلت فداك «وكذلك «جعفد» منحوتة من نفس الكلمتين في بعض الروايات.

كلمة منحوتة من ثلاث كلمات مثل: «حيعل» أي قال: «حي على الفلاح».

كلمة منحوتة من أربع كلمات مثل: «بسمل» أي قال: «بسم الله الرحمن الرحيم».

أو ربّما كانت هذه الكلمة منحوتة من كلمتين فقط هما «بسم الله».

أكبر عدد من الكلمات التي نحت منها كلمة واحدة هو ذلك القول المشهور «لا

حول ولا قوة إلا بالله»، فقيل من هذه العبارة: «حوقل» أو «حولق»^(٤).

١. فقه اللغة: د. إبراهيم أبوسكين: ٢٣.

٢. لبخلاء: للجاحظ، تحقيق طه الحاجري: ١٥، ط. دار المعارف: مصر، سنة ١٩٥٨م.

٣. المصدر نفسه: ١٠٦.

٤. من أسرار اللغة د: إبراهيم أنيس: ٧٢.

▪ مذهب ابن فارس في النحت:

لقد استهوت ابن فارس فكرة النحت وطبقتها على أمثلة كثيرة في كتابه «مقاييس اللغة» فخرج علينا بنظرية مفادها: أن أكثر الكلمات الزائدة على ثلاثة أحرف، منحوت من لفظين ثلاثيين.

يقول ابن فارس في كتابه «مقاييس اللغة»: «إعلم أن للرباعي والخماسي مذهبا في القياس، يستنبطه النظر الدقيق؛ وذلك أن أكثر ما تراه منه منحوت، ومعنى النحت: أن تؤخذ كلمتان وتنحت منها كلمة تكون آخذة منها جميعا بحظ. والأصل في ذلك ما ذكر الخليل من قولهم: حيعل الرجل إذا قال: حيّ علي»^(١).

كما يقول ابن فارس في كتابه «الصاحبي»:

«العرب تنحت من كلمتين كلمة واحدة، وهو جنس من الاختصار... وهذا مذهبنا في أن الأشياء الزائدة على ثلاثة أحرف فأكثرها منحوت. مثل قول العرب للرجل الشديد «ضَبَطْر» من ضَبَطَ وَضَبَرَ»^(٢).

مما سبق؛ نستنتج - كما استنتج أحد الباحثين من قبل^(٣) - بأن ابن فارس مسبوق في نظريته؛ حيث يشتم من نصّه في المقاييس بأن الخليل بن أحمد قد سبقه في مذهبه المذكور وأنه يسير على طريقته في ذلك.

▪ موقف المحدثين من النحت:

يقول الدكتور صبحي الصالح: «ولقد كان للنحت أنصار من أئمة اللغة في جميع العصور، وكلما امتدّ الزمان بالناس ازداد شعورهم بالحاجة إلى التوسّع في اللغة عن طريق هذا الاشتقاق الكبار، وانطلقوا يؤيدون شرعية ذلك التوسع اللغوي بما يحفظونه من الكلمات الفصيحات المنحوتات.

ولكن النحت ظلّ - مع ذلك - قصّة محكيّة، أو رواية ماثورة تتناقلها كتب اللغة

١. مقاييس اللغة: لابن فارس، تحقيق عبدالسلام هارون: ٣٢٨-٣٢٩، ط. دار إحياء الكتب العربية سنة ١٣٦٦هـ.

٢. الصاحبي: لابن فارس: ٢٧١.

٣. ينظر قول الأستاذ إبراهيم أبو سكين في فقه اللغة: ٢٤.

بأمثلتها الشائعة المحدودة، ولا يفكر العلماء تفكيراً جدياً في تجديد أصولها وضبط قواعدها، حتى كانت النهضة الأدبية واللغوية في عصرنا الحاضر؛ وانقسم العلماء في النحت إلى طائفتين:

طائفة تميل إلى جواز النحت والنقل اللفظي الكامل للمصطلحات. وطائفة يمثلها الكرمللي حيث يرى: «أن لغتنا ليست من اللغات التي تقبل النحت على وجه لغات أهل الغرب كما هو مدوّن في مصنفاتها. والمنحوتات عندنا عشرات، أمّا عندهم فمئات، بل ألوف، لأنّ تقديم المضاف إليه على المضاف معروفة عندهم، فساغ لهم النحت. أما عندنا فاللغة تأباه وتبترأ منه»^(١).

وقد وقف الدكتور صبحي الصالح من الطائفتين موقفاً وسطاً حيث يقول: «وكلتا الطائفتين مغالية فيما ذهبت إليه؛ فإن لكل لغة طبيعتها وأساليها في الاشتقاق والتوسّع في التعبير. وما من ريب في أنّ القول بالنحت إطلاقاً يفسد أمر هذه اللغة، ولا ينسجم مع النسيج العربي للمفردات والتركيبات، وربّما أبعد الكلمة المنحوتة عن أصلها العربي. وما أصوب الاستنتاج الذي ذهب إليه الدكتور مصطفى جواد حول ترجمة «الطب النفسي الجسمي psychosomatic»، فإنّه حكم بفساد النحت فيه «خشية التفريط في الاسم بإضاعة شيء من أحرفه، كأن يقال: «النفسي» أو النفسجي» ممّا يبعد الاسم عن أصله، فيختلط بغيره وتذهب الفائدة المرتجاة منه»^(٢).

▪ النحت بين السماع والقياس:

يقرّر الدكتور إبراهيم نجا -رحمة الله- أن: «النحت سماعي. وليس له قاعدة يسير وفقها القائلون، إلاّ في النسبة للمركب الإضافي. فقد قال العلماء إنه مبنيّ على تركيب كلمة من اللفظين على وزن «فعلل»، بأخذ الفاء والعين من كلّ لفظ ثم ينسب للفظ الجديد كعششمي في عبد شمس، وعبد ريّ في عبد الدار، وتيمليّ في تيم

١. دراسات في فقه اللغة: ٢٤٦-٢٦٦

٢. ينظر المصدر نفسه: ٢٦٦

اللات. وفي غير ذلك مبنى على السماع والأخذ عن العرب»^(١).
غير أن بعض الباحثين المتأخرين فهموا نصّ ابن فارس: «... وهذا مذهبنا في أن الأشياء الزائدة على ثلاثة أحرف فأكثرها منحوت»^(٢) -فهموه فهماً مختلفاً؛ فقد استنتج بعضهم من هذا النص أن ابن فارس يرى أن النحت قياسي.
يقول الدكتور إبراهيم أنيس: «ومع وفرة ما روي من أمثلة النحت تخرج معظم اللغويين في شأنه واعتبروه من السماع، فلم يبيحوا لنا نحن المولدين أن نهج نهجه أو أن ننسج على منواله. ومع هذا، فقد اعتبره ابن فارس قياسياً، وعده ابن مالك في كتابه التسهيل قياسياً كذلك»^(٣). حيث يقول «ابن مالك» في التسهيل: قد يُبنى من جُزأى المركب فعَلَّل بفاء كل منهما وعينه، فإن اعتلَّت عين الثاني كمل البناء بلامه أو بلام الأول ونسب إليه. وقال أبو حيَّان في شرحه: وهذا الحكم لا يطرد؛ إنَّما يقال منه ما قالته العرب، والمحفوظ عبَّسَميَّ في عبد شمس، وعبد ريَّ في عبد الدار، ومرقسىَّ في امرئ القيس، وعَبَّقَسَى في عبد القيس، وتيملي في تيم الله. انتهى^(٤). وقد علَّقت لجنة النحت بمجمع اللغة العربية في القاهرة على هذا الاختلاف بالقول: «... وقد نقلنا فيما تقدّم عبارة ابن فارس في فقه اللغة، وهي لا تفيد القياسية إلا إذا نظر إلى أن ابن فارس ادعى أكثرية النحت فيما زاد عن ثلاثة، ومع الكثرة تصحَّ القياسية والاتساع»^(٥).

وهكذا يظلُّ النحت بين قياس وسماع بين اللغويين، ووقف مجمع اللغة العربية من ظاهرة النحت موقف المتردّد في قبول قياسيته، حتى «تجدد البحث أخيراً حول إباحته أو منعه، فرأى رجال الطبِّ والصيدلة والعلوم الكيماوية والحيوانية والنباتية

١. فقه اللغة العربية: للدكتور إبراهيم محمد نجا: ٥٦، وفقه اللغة: للدكتور إبراهيم أبوسكين: ٢٥.

٢. الصحابي: لابن فارس: ٢٧١.

٣. من أسرار اللغة: د. إبراهيم أنيس: ٧٢.

٤. ينظر: المزهري، للسيوطي: ١: ٤٨٥.

٥. ينظر: مجلة المجمع: ٧: ٢٠٢ والنحت في اللغة العربية: للدكتور نهاد الموسى: ٢٤٨.

في إباحته وسيلة من خير الوسائل التي تساعدهم عند ترجمة المصطلحات الأجنبية إلى اللغة العربية»^(١).

ومن هنا؛ انتهى مجمع اللغة العربية بالقاهرة إلى قرار سنة ١٩٤٨م يفيد: «جواز النَّحت في العلوم والفنون للحاجة الملحة إلى التعبير عن معانيها بألفاظ عربيّة موجزة»^(٢).

ولكن بشرط انسجام الحروف عند تأليفها في الكلمة المنحوتة، وتنزيل هذه الكلمة على أحكام العربية، وصياغتها على وزن من أوزانها. وبتحقيق هذه الشروط يكون النَّحت -كجميع أنواع الاشتقاق- وسيلة رائعة لتنمية هذه اللغة وتجديد أساليبها في التعبير والبيان من غير تحيّف لطبيعتها، أو عدوان على نسيجها المحكم المتين^(٣).

١ . اللغة والنحو: عباس حسن: ٢٤٥، ط. دارا لمعارف في مصر، سنة ١٩٦٦، ومن أسرار اللغة: د.

إبراهيم أنيس، : ٧٤-٧٥

٢ . مجلة المجمع ٢٠: ٧.

٣ . دراسات في فقه اللغة: للدكتور صبحي الصالح : ٢٧٤

المصادر والمراجع

- الأبجدية، نشأة الكتابة وأشكالها عند الشعوب، لأحمد هبّو، دار الحوار، اللاذقية، ١٩٨٤م.
- أبو الأنبياء لعباس محمود العقاد، كتاب اليوم، ١٩٥٣م.
- ابو البركات البغدادي و فلسفته الالهية دراسة لموقفه النقدي من فلسفة ابن سينا، دجمال رجب سيدي، مكتبة وهبه/ : القاهرة/ ط(١) ١٩٩٦م.
- الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي، بيروت دار الفكر.
- الاحكام في أصول الاحكام، لابن حزم، تحقيق: أحمد شاكر، نشر: زكريا علي يوسف، مطبعة القاهرة.
- احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، للمقدسي المعروف بالبشاري، وضع مقدمته وحواشيه وفهارسه، د. محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤٠٨١٩٨٧.
- اختلاف الرواية في شواهد سيويه الشعرية، د. حسن موسى الشاعر، دار البشير، عمان، ط(١) لسنة ١٤١٣١٩٩٢.
- الأدب الجاهلي بين لهجات القبائل واللغة الموحدة، د. هاشم الطعان، منشورات وزارة الثقافة والفنون
- لسنة ١٩٧٨.
- ارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تح: د. رجب عثمان محمد، مراجعة د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، ط(١) لسنة ١٤١٨١٩٩٨.
- الاساس في فقه اللغة العربية وأرومتها، للدكتور هادي نهر، ط(٢) دار الامل للنشر- والتوزيع اربد، ٢٠٠٥
- الاساس في فقه اللغة لفولفد يتريش فيشر، ترجمة سعيد حسن بحيري، ط(١) مؤسسة المختار ٢٠٠٢م.
- أسس علم اللغة، ماريو باي، ترجمة: احمد مختار عمر، جامعة طرابلس، ١٩٧٣.
- الاشتقاق عبد الله امين، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة.
- الاشتقاق، لفؤاد حنا ترزي، دار الدعوة للطبع والتوزيع، ١٩٦٩م.
- الاشتقاق والتعريب، لعبد القادر المغربي، مطبعة الهلال، مصر— ١٩٠٨م.
- أصالة علم الأصوات عند الخليل من خلال مقدمة كتاب العين، د. احمد محمد قدور، دار الفكر، دمشق،

- الامالي الشجرية، للسيد ضياء الدين
ابي السعادات هبة الله بن علي بن حمزة
العلوي الشجري، دار المعرفة،
بيروت، لبنان.
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين
النحويين البصريين والكوفيين،
لكمال الدين ابي البركات الانباري
(ت ٥٧٧هـ)، دار إحياء التراث.
- ايجاز التعريف في علم التصريف،
لابن مالك (ت ٦٧٢هـ)، تح: د.
حسن احمد العثمان، مؤسسة الريان،
بيروت، ط (١) لسنة ١٤٢٥٢٠٠٤.
- الايضاح في علل النحو لابي القاسم
الزجاجي (٣٣٧) تحقيق: مازن
مبارك، ط (١) دار الضنآن، بيروت،
١٩٧٩م.
- بحوث ومقالات في اللغة، رمضان
عبد التواب، مكتبة الخانجي ط (٢)
القاهرة، ١٩٨٨م.
- البخلاء، للجاحظ، تحقيق: طه
الحاجري، دار المعرف بمصر،
١٩٥٨م.
- بحار الانوار للعلامة
المجلسي (١١١٠) مؤسسة الوفاء،
بيروت لبنان ١٤٠٢هـ.
- البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين
الزركشي، تحقيق/ محمد أبو الفضل
ابراهيم، دار التراث.
- البيان والتبين، للجاحظ، تحقيق: عبد

- ط (٢) لسنة ١٤٢٢٠٠٣.
- الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس،
مكتبة الانجلو المصرية، ط (٤) لسنة
١٩٩٩.
- الأصول دراسة أستمولوجيه للفكر
العربي عند العرب، للدكتور تمام
حسان، الهيئة العامة للكتاب، مصر-
١٩٨٢م.
- الأصول في النحو، لأبي بكر محمد
بن سهل بن السراج (ت ٣١٦هـ)،
تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة
الرسالة، بيروت، ط (٢) لسنة
١٤٠٧١٩٨٧.
- الاضداد لابن الانباري ابي محمد بكر
بن القاسم، تحقيق: محمد ابو الفضل
ابراهيم، دائرة المطبوعات والنشر،
الكويت، ١٩٦٠م.
- الاطلس اللغوي في التراث
العربي (دراسة في كتاب سيبويه)
للدكتور خالد نعيم، ط (١) دار
السياب لندن ٢٠١٠م.
- إعراب القرآن، لأبي جعفر احمد بن
محمد النحاس (ت ٣٣٨هـ)، وضع
حواشيه وعلق عليه عبد المنعم خليل
ابراهيم، دار الكتب العلمية،
بيروت، ط (١) لسنة ١٤٢١٢٠٠٢.
- الإعلام، لخير الدين الزركلي، دار
العلم للملايين، بيروت، ط (٦) لسنة
١٩٨٤.

- عليها عمر سلامي وعبد الكريم حامد، دار إحياء التراث العربي، ط ١ لسنة ١٤٢١٢٠٠١
- تهذيب المقدمة اللغوية، العلايلي، د. اسعد علي، دار النعمان، بيروت، ط ١ لسنة ١٣٨٨١٩٦٨.
 - جمهرة اللغة لابن دريد محمد بن الحسن الازدي، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، ط (١) ١٩٨٧ م.
 - خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، لعبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ط (٤)، لسنة ١٩٩٧.
 - الخصائص، لأبى فتح عثمان بن جني، تح: عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (٢)، لسنة ١٤٠٤٢٠٠٣.
 - الخط العربي و تطوره في العصور العباسية، سهيله الجبوري، مطبعة الزهراء بغداد، ١٩٦٢ م.
 - دراسات في علم اللغة، د. كمال محمد بشر، دار غريب للطباعة والنشر، مصر، ١٩٩٨.
 - دراسات في فقه اللغة، للدكتور صبحي الصالح، ط (٤) دار الملايين، بيروت ١٩٧٠ م.
 - دراسات في كتاب سيبويه، د. خديجة

- السلام محمد هارون، ط (٣٩) مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٦٨ م
- تاريخ اللغات السامية، لاسرائيل ولفنسو، مطبعة الاعتماد، مصر، ١٩٢٩ م.
 - التبيان في اعراب القرآن للعكبري لعبد الله بن الحسن بن عبد الله العكبري (٦١٦) ط (١) القاهرة ٢٠٠٨ م.
 - التبيان في شرح الديوان لابي البقاء العكبري، مطبعة مصطفى الباي الحلبي، مصر ١٩٧١ م.
 - التطور اللغوي التاريخي، إبراهيم السامرائي، بيروت - لبنان، ط ٢ لسنة ١٤٠١١٩٨١.
 - التطور النحوي للغة العربية، برجشتر آسر، أخرجه وصححه وعلق عليه، د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة ط ٤ لسنة ١٤٢٣ - ٢٠٠٣.
 - التعريفات، لعلي بن محمد الجرجاني، مكتبة لبنان، ١٩٨٥ م.
 - التلخيص في علوم البلاغة، لجلال الدين محمد القزويني، ضبطه وشرحه، عبد الرحمن البرقوقي، المكتبة التجارية الكبرى.
 - ٤٢. تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن احمد الأزهرى ت (٣٧٠هـ) إشراف محمد عوض مرعب، وعلق

- شرح أبيات سيبويه، لأبي جعفر احمد بن محمد النحاس (ت ٣٣٨هـ)، تح: زهير غازي زاهد، مطبعة الغري الحديثة، النجف، ط (١) لسنة ١٩٧٤
- شرح أبيات سيبويه، لأبي محمد يوسف بن ابي سعيد السيرافي، (ت ٣٨٥هـ)، تح: احمد علي سلطان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، مطبعة الحجاز، دمشق، لسنة ١٣٣٦١٩٧٦.
- شرح أشعار الهذليين، صنعه أبو سعيد الحسن السكري، (ت ٢٧٥هـ)، ضبطه وصححه خالد عبد الغني محفوظ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١ لسنة ١٤٢٧٢٠٠٦.
- شرح التصريح على التوضيح، للشيخ خالد بن عبدالله الازهري، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، لسنة ١٤٢٧٢٠٠٦.
- شرح جمل الزجاجي، لابن عصفور الاشيلي (ت ٦٦٩هـ)، تح: د. أنيس بديوي، دار إحياء التراث العربي، ط ١ لسنة ٢٠٠٣.
- شرح شافية ابن الحاجب، للشيخ رضي الدين الاسترابادي مع شرح شواهد لعبد القادر البغدادي (جزء ٤)، حققها محمد محي الدين عبد الحميد ورفاقه، دار احياء التراث

- الحديثي، الكويت، ١٩٨٠.
- الدرر اللوامع على همع الهوامع أبي الفرج البغدادي، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، ١٩٩٩
- دروس في علم الأصوات العربية، لجان كانتينو، ترجمة صالح القرمازي، الجامعة التونسية، ١٩٦٦.
- دلائل الإعجاز في علم المعاني، لعبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، تح: عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (١) لسنة ١٤٢٢٢٠٠١.
- دلالة الاعراب لدى النحاة القدماء، بتول قاسم ناصر، دار الشؤون الثقافية، ١٩٩٩م.
- ديوان الاعشى، شرح وتعليق: محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة، بيروت ط (٧) ١٩٨٣م.
- الرواية والاستشهاد باللغة، للدكتور محمد عيد، عالم الكتب، ١٩٧٢م.
- رواية اللغة، عبد الحميد الشلقاني، دار المعارف، مصر.
- سر صناعة الإعراب، لأبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ)، تح: محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، ط (١)، لسنة ٢٠٠٠.
- سفر التكوين والاصحاح الثاني والاصحاح العشر.

اصدارات المجمع الثقافي، ابو ظبي،
الامارات العربية المتحدة، ٢٠٠٤.

■ الصوت اللغوي في القرآن الكريم،
محمد حسن علي الصغير، دار المؤرخ
العربي، لبنان، ط ١ لسنة
١٤٢٠٢٠٠٠.

■ العربية بين أمسها وحاضرها، د.
إبراهيم السامرائي، منشورات وزارة
الثقافة والفنون، بغداد، ١٩٧٨.

■ العربية ولهجاتها، د. عبد الرحمن
أيوب، معهد البحوث والدراسات
العربية، لسنة ١٩٦٨.

■ العقد الفريد، لابن عبد ربه
الاندلسي، تحقيق: احمد امين
ورفاقه، مطبعة التتأليف
والتريجة، القاهرة، ١٩٤٠م.

■ علم الدلالة، احمد مختار، مكتبة دار
العروبة للنشر والتوزيع، ط (١)
١٩٨٢م.

■ علم الدلالة والمعجم العربي، لعبد
القادر ابو شريفه وزميلاه، ط (١) دار
الفكر الاردن، ١٩٨٩م.

■ علم اللغة العام (الأصوات العربية)،
كمال محمد بشر، مكتبة الشباب،
١٩٨٧.

■ علم اللغة العربية، مدخل تاريخي
مقارن في ضوء التراث واللغات
السامية، د. محمود فهمي حجازي،
كويت، ١٩٧٣.

العربي، بيروت، ط ١ لسنة
١٤٢٦٢٠٠٥.

■ شرح كافية ابن الحاجب، للشيخ
رضي الدين الاسترابادي، وضع
هوامشه د. اميل يعقوب، مؤسسة
التاريخ العربي، بيروت، لبنان،
ط (١) لسنة ٢٠٠٦.

■ شرح المفصل لابن يعيش النحوي،
(ت ٦٤٣هـ)، حققه وضبطه احمد
السيد احمد، وراجعته: إسماعيل عبد
الجواد عبد الغني، المكتبة التوفيقية،
القاهرة، مصر.

■ الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب
في كلامها، لأبي الحسن احمد بن
فارس، تح: السيد احمد صقر، دار
احياء الكتب.

■ صبح الاعشى في صناعة الانشاء،
لابي العباس القلقشندي (٨٢١)
الهيئة المصرية للكتاب، مصر—
١٩٨٥م.

■ الصحاح، لأبي نصر اسماعيل بن حماد
الجوهري، حققه وضبطه شهاب
الدين ابو عمرو، دار الفكر، ط ١
لسنة ١٤١٨١٩٩٨.

■ الصحاح ومدارس المعجمات
العربية، احمد عبد الغفور
القطار، ط (٢) بيروت، ١٩٦٧م.

■ صفة جزيرة العرب، للحسن بن احمد
بن يعقوب الهمداني (ت ٣٣٤هـ)،

- النهضة مصر - للطبع والنشر - / القاهرة.
- فقه اللغة، للدكتور عبد الحسين المبارك، مكتبة دار الفكر.
- فقه اللغة العربية، ابراهيم محمد نجا، دار الحديث القاهرة، ٢٠٠٨م.
- فقه اللغة وخصائص العربية، لمحمد المبارك، دار الفكر، دمشق، ١٩٦٤م.
- فقه اللغة العربية وخصائصها، أميل بديع يعقوب، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٢م.
- فقه اللغة وسر العربية، لابي منصور الثعالبي، تحقيق: مصطفى السقا و ابراهيم البياري و عبد الحفيظ شلبي، شركة مصطفى البابي الحلبي، بمصر، ١٩٧٤.
- فلسفة اللغة، كمال يوسف الحاج، دار النهضة، بيروت.
- الفن ومذاهبه في النثر العربي، لاحمد شوقي ضيف، دار المعارف بمصر.
- في البلاغة العربية والاسلوبيات اللسانية افاق جديدة، د. سعد مصلوح، جامعة الكويت، ط ١، ٢٠٠٣.
- في البحث الصوتي عند العرب، للدكتور خليل ابراهيم العطية، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٨٣م.
- في التطور اللغوي، د. عبد الصبور شاهين، ط ٣، ١٩٨٥.

- العمده في صناعة الشعر وآدابه ونقده، لابن رشيق القيرواني (٤٥٦) تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجبل ط (٤) بيروت ١٩٧٢م.
- العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي، تح: د. مهدي المخزومي ود. ابراهيم السامرائي، دار مكتبة الهلال.
- الفاضل في اللغة والأدب، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (٢٨٥هـ)، تح: عبد العزيز الميمني، القاهرة ١٩٥٠.
- الفروق اللغوية، لابي هلال العسكري، مكتبة القدي، القاهرة، ١٣٥٣هـ.
- فصول في فقه العربية، د. رمضان عبد التواب، الخانجي، القاهرة، ط ٣، ١٩٨٧.
- فصول في فقه اللغة، د. رمضان عبد التواب، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط ١، ١٩٧٣.
- الفصح في اللغة والنحو حتى اواخر القرن الرابع الهجري، د. عبد الفتاح محمد، دار جريـر، ط ١، ١٤٢٩٢٠٠٨.
- فقه اللغة في كتب العربية، عبده الراجحي، دار النهضة بيروت، ١٩٧٩م
- فقه اللغة، علي عبد الواحد وافي، دار

مؤسسة المختار، مصر، ط ١ لسنة ٢٠٠٤.

■ الكتاب، لعمر بن عثمان بن قنبر المعروف بسيبويه (ت ١٨٠هـ)، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، عالم الكتب، ط ٣، ١٤٠٣١٩٨٣.

■ كتاب الحروف للفارابي، تح: محسن مهدي، دار المشرق، بيروت، ١٩٦٩.

■ الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم محمد بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، تح: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٤٢١٢٠٠١.

■ لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفرريقي المصري، دار الفكر، ط ٦، ١٤١٧١٩٩٧.

■ اللسان والانسان مدخل الى معرفة اللغة، لحسن ظاظا، دار القلم؛ ١٤١٠ - ١٩٩٠م.

■ اللسانية التوليدية والتحويلية عادل فاخوري.. دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت..

■ اللغة لفندريس، ترجمة عبد الحميد الدواخلي، ومحمد القصاص، الانجلو المصرية، ١٩٩٥م.

■ لغات العرب (لغة هذيل) للدكتور

■ في علم اللغة العام، د. عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٣، ١٤٠٠١٩٨٠.

■ في فقه اللغة وقضايا العربية، د. سميح ابو مغلي، عمان، الأردن، ط ١، ١٤٠٧١٩٨٧.

■ في اللسان العربي وإشكالية التلقي، حافظ علوي ورفاقه، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، ط (١) ٢٠٠٧م.

■ في اللهجات العربية، د. إبراهيم انيس، ط (٣) مكتبة الانجلو المصرية.

■ الفهرست، لابن النديم محمد بن اسحاق، تح: محمد عوني عبد الرؤوف وايمان السعيد جلال، الهيئة العامة للقصور الثقافية، القاهرة، ٢٠٠٦.

■ القاعدة النحوية تحليل ونقد، د. محمود حسن الجاسم، دار الفكر، دمشق، ط ١، ١٤٤٨٢٠٠٧.

■ قاموس اللسانيات، عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٨٤م.

■ القاموس المحيط، للفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، ط (١) بيروت، ١٩٨٦م.

■ الكامل في اللغة والأدب، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥هـ)، تح: يحيى مراد،

محي الدين عبد الحميد، المكتبة
العصرية صيدا، بيروت ١٩٩٠م.

■ مجالس ثعلب، لأبي العباس احمد بن
يحيى الثعلب (ت ٢٩١هـ)، تح: عبد
السلام محمد هارون، دار المعارف،
٢٠٠٦.

■ مجالس العلماء، لأبي القاسم عبد
الرحمن بن إسحاق الزجاجي
(ت ٣٣٧هـ)، تح: عبد السلام محمد
هارون، الكويت، ١٩٦٢.

■ مجمل اللغة، لاحمد بن فارس، دراسة
وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان،
ط(١) مؤسسة الرسالة،
بيروت، ١٩٨٤م.

■ محاضرات في فقه اللغة، د. عصام نور
الدين، دار الكتب العلمية، بيروت،
لبنان، ط١، ١٤٢٤٢٠٠٣.

■ محاضرات في اللهجات والاسلوب،
انيس فريجه، معهد الدراسات
العربية، القاهرة، ١٩٥٥م.

■ المحتسب في تبيين وجوه شواذ
القراءات والايضاح عنها، لابن
جني، تحقيق: علي النجدي
ورفاقه، أحياء التراث الاسلامي،
القاهرة ١٣٨٦هـ.

■ المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله
العزيز لابن عطية محمد بن عبد
الحق، تحقيق: عبدالله بن ابراهيم
الانصاري، والسيد عبد العال السيد

عبد الجواد الطيب، مكتبة الاداب
للطباعة والنشر، ١٩٩١م.

■ لغات العرب واثرها في التوجيه
النحوي، لفتحي الدجني، مكتبة
الفلاح.

■ اللغة والنحو، لعباس حسن، دار
المعاف في مصر، ١٩٦٦م.

■ اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام
حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط ٤.

■ لهجة تميم واثرها في العربية الموحدة،
د. غالب فاضل المطليبي، منشورات
وزارة الثقافة، ١٩٧٨.

■ اللهجات العربية الغربية القديمة،
جيمي رابين، ترجمة عبد الرحمن
ايوب، منشورات جامعة الكويت،
١٩٨٦.

■ اللهجات العربية في غرب جزيرة
العرب، تميم رابين، ترجمة د. عبد
الكريم مجاهد، دار الفارس، الاردن،
ط١، ٢٠٠٢.

■ اللهجات العربية في القراءات
القرآنية، د. عبده الراجحي، دار
المعارف، مصر، ١٩٦٩.

■ لهجة قبيل اسد، د. علي ناصر غالب،
بغداد، ط١، ١٩٨٩.

■ اللهجات في القرآن الكريم، راضي
محمد نواصره، مؤسسة حماده
للدراستات الجامعية، اربد الأردن.

■ المثل السائر لابن الأثير، تحقيق: محمد

- مقدمة لدرس لغة العرب، للشيخ عبدالله العلايلي، ط (٢) دار الجديد بيروت ١٩٩٧م.
- المعلقة العربية الأولى، نجيب محمد الهبتي، دار الثقافة في الدار البيضاء ط (١) ١٩٨١م.
- مغني اللبيب عن كتب الاعاريب، لأبي محمد عبدالله جمال الدين بن هشام (ت ٧٦١هـ)، خرج آياته وعلق عليه أبو عبدالله علي عاشور الجنوبي، دار أحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠٠١.
- مفردات غريب القرآن، لابي الحسن الاصفهاني (٥٠٢) ضبط هيثم طعيمي، دار احياء التراث العربي، ط (١) بيروت لبنان.
- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١، ١٩٧١.
- المفصل في صنعة الأعراب، لأبي القاسم محمود الزمخشري، قدمه علي أبو ملح، مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ٢٠٠٣.
- مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار احياء التراث، ١٣٦٦هـ.
- المقتبس من اللهجات العربية والقرآنية، محمد سالم محيسن، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية،

- ابراهيم، ط (١) دار الكتب، لبنان، بيروت، ١٩٩٣م.
- ١٣٨. مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، د. مهدي المخزومي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.
- مدخل الى فقه اللغة العربية، احمد محمد قدوره، ط (٣) دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٣م.
- المدخل الى دراسة اللغات الجزرية، للدكتور سامي سعيد الاحمد، بغداد ١٩٨١م.
- مراتب النحويين، لابي الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي، تحقيق: محمد ابو الفضل، مكتبة النهضة بمصر.
- المزهري في علوم اللغة وانواعها، لجلال الدين السيوطي، شرحه وعلق حواشيه محمد ابو الفضل إبراهيم ورفاقه، دار احياء الكتب.
- المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، عبد العزيز الصيغ، دار الفكر، دمشق، ط ١، ١٤٢٧٢٠٠٧.
- معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ)، اعتنى به فاتن محمد خليل اللبون، دار احياء التراث، ط ١، ١٤٢٤٢٠٠٣.
- معجر احمد، لابي العلاء المعري، تحقيق: عبد المجيد ذياب، دار المعرف، ط (٢) مصر ١٩٩٣م.

١٩٨٦.

- المقتضب، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، تح: عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت
- مقدمة ابن خلدون، دار العلم، بيروت، لبنان، ط٦، ١٤٠٦١٩٨٦.
- مقدمة لدراسة فقه اللغة، محمد احمد ابو الفرج، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٦٦م.
- المنصف شرح ابن جنى النحوي لكتاب التصريف لأبي عثمان المازني، تح: إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط١، ١٣٧٣١٩٥٤.
- من اسرار اللغة، ابراهيم انيس، ط(٣) مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٦٦م.
- مولد في اللغة، حلمي السيد خليل، رسالة دكتوراه، ١٩٧٥م.
- النحت في اللغة العربية، نهاد الموسى ط(١) دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ١٤٠٥هـ.
- النحت بين مؤيديه ومعارضيه، لفارس فندي البطينه، مجلة اللسان، ع(٣٤) لسنة ١٩٩٠م.
- النحت وبيان حقيقة ونبذة من قواعده، للسيد محمود شكري اللوسي، تحقيق وشرح: محمد بهجه الاثري، مجمع العلمي العراقي،

١٤٠٩هـ.

- نشأة اللغة عند الإنسان والطفل، علي عبد الواحد وافي، ط(٢) دار نهضة، مصر.
- نشأة النحو وتاريخ اشهر النحاة، لمحمد الانطاكي، دار المعارف بمصر.
- وصف اللغة العربية دلاليًا في ضوء مفهوم الدلالة المركزية، لمحمد محمد يوسف علي، جامعة الفاتح ليبيا.
- وفيات الأعيان وأبناء الزمان، لاحمد بن محمد بن خلكان، تح: احسان عباس، دار صادر، بيروت

البحوث والدوريات

- الجغرافية اللغوية وأطلس برجشتر اسر، د. رمضان عبد التواب، مجلة مجمع العلمي القاهرة، ج/٣٧، لسنة ١٩٧٦.
- حديث مع زائر كريم. مجلة الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة، السنة السادسة، العدد(٤) ربيع الثاني ١٣٩٤هـ أبريل ١٩٧٤م.
- Amaidz; grammaire et the oio gie chez ipn hazm p;4344.

المحتويات

٥		مُتَلَمِّمًا
٢٦ - ٧	قراءة في مصطلح فقه اللغة	الفصل الأول
٨	مفهوم فقه اللغة باعتبارات معجمية	
١٢	فقه اللغة مصطلحاً علمياً	
١٣	فقه اللغة عند القدماء والمحدثين	
١٣	فقه اللغة عند الأوائل (القدماء)	
١٤	مفهوم فقه اللغة عند ابن فارس	
١٨	مفهوم فقه اللغة عند الثعالبي	
٢١	فقه اللغة عند المحدثين	
- ٢٧	القول في أولية اللغة	الفصل الثاني
٢٧	الاتجاهات في نشأة اللغة	
٢٨	اصل اللغة في مباحث القدماء والمحدثين	
٣٨	اولية اللغة و الواقع لغوي المغلوط	
٤٢	خلق اللغة	
٤٣	فمتى تكلم الانسان بلغته؟	
٤٦	تطور اللغة	
٩٠_ ٥١	فقه اللغات العروبية	الفصل الثالث
٥٣	حقيقة وطبيعة هذه اللغات	
٥٥	موطن العروبيين (الجزريين - الساميين)	
٥٨	التوزيع الجغرافي اللغات العروبية (السامية)	
٥٨	أولاً: اللغات الشرقية	

٥٨	اللغة الاكدية
٥٩	خصائص اللغة الاكدية
٦١	ثانياً اللغات الغربية
٦٢	الفرع الكنعاني:
٦٢	اللغة الاوغاريتية
٦٣	خصائص اللغة الاوغاريتية
٦٤	اللغة الفينيقية
٦٤	خصائص اللغة الفينيقية
٦٥	اللغة العبرية
٦٥	أطوار اللغة العبرية وخصائصها
٦٦	الطور العبري الأول
٦٦	الطور العبري الثاني (الكنعاني)
٦٧	الطور العبري الثالث (الحديث)
٦٨	اللغة المؤابية
٦٨	خصائص اللغة المؤابية
٦٨	الفرع الآرامي:
٦٩	الآرامية الشرقية:
٦٩	آرامية العراق وايران
٦٩-٧٠	اللهجات الشرقية لآرامية العراق وايران
٧٠-٧١	(آرامية الدولة) (السريانية) (المندائية) (البابلية الكلدانية)
	(ارمية العرب الأوائل)
٧٢	الآرامية الغربية:
٧٢	آرامية سوريا، وفلسطينية، وتركية، وآرامية سينا
٧٣	اللهجات الغربية لآرامية سوريا
٧٣	(آرامية شمال سوريا) (القلمون) (طور عابدين) (الرهاة)
٧٣	اللهجات الغربية لآرامية فلسطين
٧٣	(آرامية وسط فلسطين) (الجليل) (اللهجة السامرية) (العهد القديم)

- ٧٤ الغربية الجنوبية:
- ٧٤ اللغة الحبشية اللغة
- ٧٥ خصائص اللغة الحبشية ولهجاتها
- ٧٦ اللغة العربيّة
- ٧٧ عربية جنوبية (اليمنية القديمة) ولهجاتها
- ٧٨ المعينية، السبئية، الحجرية، القتبانية، الحضرمية
- ٧٨ عربية شمالية
- ٧٨ العربيّة البائدة (عربية النقوش) ولهجاتها
- ٧٨ اللحيانية، الثمودية، الصفوية
- ٧٩ عربية باقية (الفصحى)
- ٨٠ أسباب تكوين اللغة الأدبية الفصحى
- ٨١ اللغة العربيّة الفصحى والأثار المنقولة
- ٨٢ آراء المستشرقين في أصل العربيّة الفصحى
- ٨٣ خصائص اللغات العروبية والمثال العربي
- ٩٠-٨٤ في الصوت، في البنية الصرفية والتصريف، وبناء الجملة
والتركيب، و الاشتراك في الألفاظ الأساسية
- ١٠٦-٩١ **الكتابات العروبية وبدايات الخط العربي**
- ٩١ المرحلة الأولى: المرحلة الصوريّة
- ٩٢ المرحلة الثانية: المرحلة المقطعيّة
- ٩٤ الأبجدية الأوغاريتية
- ٩٥ الأبجدية الفينيقية
- ٩٥ الأبجدية الآرامية
- ٩٦ الأبجدية العبرية
- ٩٧ الأبجدية النبطية
- ٩٧ الأبجدية السريانية
- ١٠٠ الأبجدية العربيّة الشماليّة

الفصل الرابع

١٠١	هيئة الكتابة العربية	
١٠٢	الخط العربي بعد الإسلام	
١٠٢	الإعجام ونقط الإعراب	
١٠٦	عيوب ومشكلات الخط العربي	
١٣٤-١٠٧	اللغة العربية الفصحى جمعها وتدوين مصادرها	الفصل الخامس
١١٢	نوع المادة اللغوية	
١١٣	موقف القدماء العرب من المادة اللغوية	
١١٤	التحديد الجغرافي في البحث اللغوي عند العرب	
١٢١	أنواع الكيانات اللغوية عند العرب	
١٢٢	مناطق الكيانات اللغوية عند العرب	
١٢٣	منطقة المركز	
١٢٤	المنطقة الانتقالية	
١٢٥	الجزر اللغوية، أو ما يُعرف بمصطلح التعرف اللغوي	
١٢٦	منطقة المخلفات اللغوية	
١٢٧	نماذج من المادة اللغوية المسجلة عن العرب	
١٤٤-١٣٥	المعجم العربي	الفصل السادس
١٣٧	مدارس المعجمات العربية	
١٣٧	مدرسة الخليل بن أحمد الفراهيدي «ت ١٧٥ هـ»	
١٣٧	مدرسة أبي عبيد القاسم بن سلام «ت ٢٢٤ هـ»	
١٤٠	مدرسة الجوهري «ت ٤٠٠ هـ» «في معجمه الصحاح»	
١٤٢	مدرسة البرمكي «ت ٤١١ هـ»	
١٨٠-١٤٥	النظام الصوتي للغة العربية	الفصل السابع
١٤٥	أولاً: الأصوات اللغوية	
١٤٨	أعضاء النطق	
١٥١	صفات الأصوات	

١٥٦	الظواهر الصوتية في اللغة العربية	
١٥٩	ثانياً: ظاهرة الإعراب في لغة العرب	
٢١٤-١٨١	في اللهجات العربية	الفصل الثامن
١٨٢	تعريف اللهجة	
١٨٥	خصائص اللهجات ومظاهر اختلافها	
٢٠٠-١٨٩	تصنيف اللهجات:	
١٨٩	أولاً: اللهجات العربية الفصحى	
١٩٣	ظواهر لهجية فصيحة بين الحجازيين	
	والتميمين	
٢٠٠	ثانياً: اللهجات الشاذة «المدمومة»	
		الفصل التاسع
٢٦٢-٢١٥	مظاهر التطور اللغوي	
٢١٥	أولاً: الاستعمال المجازي للغة	
٢١٨	ثانياً: الترادف في اللغة العربية	
١٣٦	ثالثاً: المشترك اللفظي والأضداد	
٢٤٤	رابعاً: المعرب والدخيل	
٢٤٨	خامساً: الاشتقاق	
٢٥٣	سادساً: النحت في اللغة العربية	
٢٧٢-٢٦٣		قائمة المصادر والمراجع
٢٧٧-٢٧٣		المحتويات



كا و ما و نكه حرا مو
ي د لكا با و نكا ما لو
سك حله كولا و
سوا ك ح دي و ا
كا و ما و نكه لحو و لحو
ي د لكا با و نكا كولا با و نكا
سك حله كولا و الا و م د
سوا ك ح دي و ا



AL- JANOUB CO.
Republic Of Iraq
AL- BASHEER CO.
Lebanon - Beirut